



مجلة

مجمع اللغة العربية دمشق

«مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً»

مجلة محكمة فصلية

ربيع الآخر ١٤٣٨ هـ

كانون الثاني ٢٠١٧ م

# مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

أُنشئت سنة ١٣٣٩هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

المدير المسؤول: الدكتور مروان المحاسني، رئيس المجمع

## بجنته المجلة

الدكتور محمود السيد «رئيس التحرير»

الدكتور مكي الحسني الجزائري

الدكتور مازن المبارك

الدكتور ممدوح خسارة «المقرر»

الدكتور محمد محفل

الدكتورة لبانة مشوح

الدكتور وهب رومية

الدكتور عبد الناصر عساف

أمينة المجلة: ريم الملاح

## أغراض المجلة:

إن أغراض المجلة مستمدة من أغراض المجمع الواردة في قانونه ولائحته الداخلية وأبرزها:  
المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون، وملائمة لحاجات الحياة المتطورة، ووضع المصطلحات العلمية والأدبية والحضارية، ودراستها وفق منهج محدد، والسعي لتوحيدها في الأقطار العربية كافة.

## شروط النشر:

- ١- أن يتسم البحث بالجدة والأصالة والموضوعية.
- ٢- أن يُرفق البحث بالسيرة الذاتية والعنوان البريدي والإلكتروني.
- ٣- ألا يقلّ البحث عن عشر صفحات وألا يزيد على ثلاثين صفحة من صفحات المجلة (٧٠٠٠ كلمة)، أما المقالات والتعريف بالكتب فيقبل منها ما يقلُّ عن عشر صفحات.
- ٤- أن يرفق البحث بملخص بالعربية يُطبع في بدايته، يشير بوضوح إلى الجديد في البحث، وإلى أبرز نتائجه.
- ٥- أن يخلو البحث من أي إساءة إلى الكُتّاب والباحثين أو غيرهم، وأن يحترم المعتقدات الدينية والفكرية للشعوب.
- ٦- أن يُعدَّ الباحث - إذا رغب في ذلك - ملخصاً لبحثه بالإنكليزية أو الفرنسية.
- ٧- أن يلتزم الباحث المنهج العلميّ في التوثيق، فتُعطى الحواشي أرقاماً متسلسلة من بداية البحث حتى نهايته، وتذكر حواشي كل صفحة في أسفلها كما يلي: «اسم المؤلف أو الكاتب - اسم الكتاب أو المجلة - رقم الصفحة».

وفي المصادر والمراجع يكتب: «اسم الكتاب - اسم المؤلف - اسم دار النشر ومكانها - رقم الطبعة وتاريخها».

٨- أن تكون البحوث والمقالات المرسلة إلى المجلة منضدة بالحرف (Mylotus) أو (Traditional Arabic) قياس (١٦) وأن تشفع بقرص مدمج مسجل عليه العنوان، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.

٩- تُوضع الكلمات العربية أو المُعرَّبة قبل مقابلها الأجنبي عند ورودها أول مرة، نحو:

تِقانة (Technology)، حاسوب (Computer)، نفسية (Psychologic).  
١٠- أن يُعنى الكاتب بعلامات الترقيم: النقطة، الفاصلة، الفاصلة المنقوطة، ...إلخ.

١١- تنشر المجلة البحوث والمقالات التي ترد عليها بعد أن تخضع للتقويم السري.

١٢- ألا يكون البحث منشورًا أو مرسلًا للنشر في مجلة أخرى أو مستلًا من رسالة ويتعهد الباحث خطيًا بذلك.

١٣- تُرتب البحوث والمقالات وفق اعتبارات فنية.

١٤- البحوث والمقالات التي لا تُنشر لا تردُّ إلى أصحابها.

١٥- ترسل البحوث والمقالات إلى المجلة على العنوان الآتي:

دمشق ص. ب ٣٢٧. البريد الإلكتروني: E - mail: mla@net.sy

تُنشر المجلة في موقع المجمع على الشبكة (الإنترنت):

www.arbacademy.gov.sy

\* \* \*

## فهرس الجزء الأول

من المجلد التسعين

### البحوث والدراسات

- ٥ - معجم الإبدال اللغوي من لسان العرب د. ممدوح خسارة  
٢٧ - نظرات نقدية في ديوان ابن الخيمي د. عباس الجراخ

### المقالات والآراء

- ٦٥ - وقفة لغوية مع سورة الناس د. مازن المبارك  
- من قواعد القراءة:  
٧٧ - التقاء الساكنين وما يترتب عليه د. مكى الحسني  
- مشروع لكتابة المعجم التاريخي  
٨٧ - للاصطلاحات الطبية ج٢ د. نشأت الحمارنة  
١٠٩ - اللغة العربية في مواجهة التحديات أ. محمد عدنان سالم  
١١٩ - إطلاق سراح العلم د. عمر شابسيغ

### التعريف والنقد

- نظرات في بعض قرارات لجنة اللغة  
١٣٩ - العربية في الألفاظ والأساليب ج١ د. عبد الناصر عساف  
- الوثيقة النبوية في المدينة المنورة  
١٥٩ - متى كتبت؟ أ. إبراهيم الزريق

## المحاضرات والمدراسات

- الكلمة الافتتاحية في احتفالية  
المخطوط العربي  
١٧٩ د. مروان المحاسني
- طبيعة العصر والمحتوى الرقمي العربي  
١٨٥ د. محمود السيد
- الخلايا الجذعية والموت المبرمج  
٢٢٣ د. هاني رزق

## أنباء جمعية وثقافية

- حفل استقبال الدكتور وهب رومية:  
٢٤٩
- ١- كلمة رئيس المجمع الدكتور مروان المحاسني  
٢٥١
- ٢- كلمة الدكتور ممدوح خسارة  
٢٥٦
- ٣- كلمة الدكتور وهب رومية يتحدث فيها عن سلفه أ. سليمان العيسى  
٢٦٣
- من قرارات مجلس المجمع في الألفاظ والأساليب  
من (١٠٠-١٠٧)  
٢٨٣
- الكتب والمجلات المهداة إلى مكتبة المجمع  
في الربع الأول من العام ٢٠١٧م  
٢٩٧
- أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق في مطلع عام  
(١٤٣٨هـ-٢٠١٧م)  
٢٩٩



تنفيذ وإخراج: عمار البخاري

# البحوثُ والدراسات





## معجم الإبدال اللغوي (من لسان العرب)

أ. د. ممدوح خسارة(\*)

### المدخل: تعريف الإبدال:

«الإبدال هو جَعْلَ حرفٍ بَدَلَ حرفٍ آخر في الكلمة الواحدة وفي موضعه منها»<sup>(١)</sup> وهو ضربان: صرفي ولغوي<sup>(٢)</sup>. فالصرفي هو إبدال حرفٍ بآخر لضرورة صرفية طلباً للخفة وسهولة النطق كما في قولنا: (ازْدَهَرَ)، حيث أُبدلت الدال من تاء (افتعل)، إذ إن أصل الفعل (أزْهَرَ)، أو إبدال الطاء من تاء (اضْطَبِر) ليصبح (اضْطَبِر). وإذا وقع الإبدال الصرفي في حروف العلة فهو إعلال<sup>(٣)</sup>. والإبدال الصرفي مطرَّدٌ في حروفٍ ومواقعٍ بأعيانها في بعض الكلمات. أما الإبدال اللغوي فهو جَعْلَ حرفٍ بدل حرفٍ من الكلمة لغير ضرورة صوتية، وهو غير مطرَّد، كقولهم: «هَتَّنت السماء تَهْتِن تَهْتاناً وهَتَّلت تَهْتَل تَهْتالاً، وهُنَّ سحائبٌ هُتَّنٌ وهُتَّلٌ وهو فوق الهَطْل»<sup>(٤)</sup>.

(\*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) عبد الله أمين - الاشتقاق: ٣٣١.

(٢) أبو الطيب اللغوي - الإبدال مقدمة المحقق عز الدين التنوخي ١: ٩.

(٣) الحملاوي - شذا العرف في فن الصرف: ١٢٢.

(٤) ابن السكيت - القلب والإبدال.

والإبدال نوعٌ من الاشتقاق؛ ولذا سُمِّيَ بالاشتقاق الأكبر أو الكبير<sup>(٥)</sup>. وهذا الإبدال اللغوي هو محتوى معجمنا هذا، وهو مرادنا عند إطلاق كلمة الإبدال. عني اللغويون القدماء بهذه الظاهرة القديمة التي سُمِّيت: أيضاً الإبتاع والقلب، والمعاقبة، والتعاقب، والمضارعة، والمناظرة أي المماثلة. ومن المصادر المهمة في هذا الموضوع كتاب ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) الذي سماه (القلب والإبدال) وجعلهما بمعنى واحد، وكتاب الرّجّاجي (ت ٣٤٠هـ) (الإبدال والمعاقبة والنظائر)<sup>(٦)</sup>، وكتاب (تعاقب العربية)<sup>(٧)</sup> لابن جني (ت ٣٩٥هـ)، الذي تعرّض له أيضاً في كتابه (الخصائص) في (باب الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان الآخر)<sup>(٨)</sup>.

كما عني بها من المعاصرين الأستاذ المجمع عزي الدين التنوخي الذي حقّق (كتاب الإبدال) لأبي الطيب اللغوي المتوفى (٣٥١هـ). وأكمله باستدراك النقص الذي وقع في مخطوطة الكتاب لخرمٍ أفقدها مبدلات حرف الهمزة وبعض مبدلات حرف الباء، وسماه (إكمال الإبدال)<sup>(٩)</sup>. وكذا الدكتور صبحي الصالح في كتابه (دراسات في فقه اللغة) وسماه الاشتقاق الأكبر. وكان أحمد فارس الشدياق قد ألّف (سرّ الليال في القلب والإبدال).

### أولاً: أنواع الإبدال اللغوي:

للإبدال اللغوي عدة أنواع أشارت إليها بعض المعاجم نصّاً، وهذه الأنواع هي:

- (٥) د. صبحي الصالح - دراسات في فقه اللغة ٢: ٢١٢.
- (٦) أبو الطيب اللغوي - الإبدال - مقدمة المحقق عز الدين التنوخي: ٦.
- (٧) المصدر السابق نفسه.
- (٨) ابن جني - الخصائص ٢: ٨٤.
- (٩) أبو الطيب اللغوي - كتاب الإبدال: ٥٤٣-٥٨٦ (إكمال الإبدال).

(١) الإبدال اللّهجيّ: ونعني به اختلاف نطق الكلمة بين قبيلة وأخرى من قبائل العرب. وهو ما كان يعبر عنه القدماء بقولهم (لغة). ذلك أن ما نسمّيه اليوم لغةً كانوا يسمّونه (اللسان)؛ من ذلك ما جاء في لسان العرب: «مَخَنَ الأديمَ والسَّوطَ: ذَكَهُ وَمَرَنَهُ، والحاء فيه [أي مَحَنَ] لُغَةً»<sup>(١٠)</sup>. وكان بعض اللغويين القدماء أخرج اختلاف اللهجات من الإبدال؛ قال ابن سيدة (٤٥٨ هـ): «ومما هو عند قطرب» لغةٌ وليس بمضارعة وإبدال قولهم «سَغَسَغْتُ وصَغَصَغْتُ، وأسغى وأصغى... وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (٢٩١ هـ) يحمل كل ذلك على المضارعة والقلب»<sup>(١١)</sup>. وقال أيضاً: «ليس الألف في الأرقان مبدلةً من الياء في اليرقان، ولكنهما لغتان»<sup>(١٢)</sup>. إلا أن كتب الإبدال عدّت اللغات المتعددة في الكلمة إبدالاً، بدليل ما جاء في لسان العرب حول (عدوفة وعدوفة): «تقول ربعة هذا الحرف بالذال، وسائر العرب بالبدال»<sup>(١٣)</sup>. ومع أن اللسان نصّ على أن هاتين الكلمتين لغتان [لهجتان]، فقد عدّهما أبو الطيب اللغوي إبدالاً حيث قال: «ما ذاق عدوفاً وما ذاق عدوفاً: أي ما ذاق شيئاً»<sup>(١٤)</sup> وكذا الأرقان واليرقان عند التنوخي<sup>(١٥)</sup>.

٢- الإبدال الدلاليّ: وهو الإبدال المقصود لتنويع المعنى، وبخلاف ما ذهب إليه بعض القدماء من أنه ليس للإبدال غرضٌ دلاليّ، فنحن نذهب إلى

(١٠) ابن منظور - لسان العرب: مخن.

(١١) أبو الطيب اللغوي - الإبدال - مقدمة المحقق: ١٥ (ولم يرد النقل بنصّه تماماً في المخصص ولا المحكم).

(١٢) المصدر السابق نفسه.

(١٣) ابن منظور - لسان العرب: عدف.

(١٤) أبو الطيب اللغوي - الإبدال: ٣٥٣.

(١٥) المصدر السابق - إكمال الإبدال لعز الدين التنوخي: ٥٧٢.

أنه ذو غرض دلاليٍّ أحياناً، قصدتُ إليه العرب في كلامها. ومن ذلك:

- أوْماً: أشار بالعين أو الحاجب، وأوْباً: أشار باليد.

- أْضَمَى: رمى فأصاب، وأنَمَى: رمى ولم يُصِب.

- خَبَطَ: ضَرَبَ باليد، ولَبَطَ: ضرب بالرجل.

- أْزَمَ: ضَمَّ فمه عن الطعام، وَكَزَمَ: ضَمَّه عن الكلام.

- خَضَمَ: أكل ما هو رَطْب، وَقَضَمَ: أكل ما هو يابس<sup>(١٦)</sup>.

٣- إبدال التخفيف: ومن هذا النوع قولهم (أَوْماً وأَوْمَى). جاء في

لسان العرب: «قد يُخَفَّفُ سأل على البدل فيقولون: سأل»<sup>(١٧)</sup>، وجاء في

كتب القراءات: «وقرأ نافع وابن عامر: (سأل) غير مهموز»<sup>(١٨)</sup> وذلك في

قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ﴾ [المعارج: ١].

٤- عيوب النطق واللُّغَة: وردت أحرف مُبَدَّلة، شكَّ اللغويون في

كونها لغة أم لثغة؛ قال الثعالبي: «وأنا أستظرف قول الليث عن الخليل:

الدُّعاق كالزُّعاق، سمعنا ذلك من عربي، وما ندري ألغة أم لثغة؟»<sup>(١٩)</sup>. ومنه

عند التنوخي «الرَّاية والغاية... وتَسْرِبَلُ الدَّرَعِ وتَسْغَبَلُ»<sup>(٢٠)</sup>. ولا يبعد عندي

أن يكون من ذلك قولهم: «ضَرَبَ به الأرضَ وَضَنَبَ»<sup>(٢١)</sup>.

٥- إبدال التصحيف: قد يقع الإبدال أحياناً نتيجة تصحيف، جاء في

لسان العرب: «تَزَلَّعَتْ رجله: تشَقَّقَتْ بالعين غير معجمة، ومن قال: تَزَلَّعَتْ

(١٦) ينظر كل منها في مدخله في لسان العرب.

(١٧) ابن منظور - لسان العرب: سأل.

(١٨) أبو عمرو الداني - التيسير في القراءات السبع: ٢١٤.

(١٩) الثعالبي - فقه اللغة: ١٢١.

(٢٠) أبو الطيب اللغوي - الإبدال - مقدمة المحقق: ٣٠.

(٢١) ابن منظور - لسان العرب: ضَنَب.

بالغين فقد صَحَّف»<sup>(٢٢)</sup>، ولكن ليس ثمة اتفاق دائماً على ما هو مصحَّف، إذ جاء في تاج العروس عنهما: «وأما الصاغاني فأوردهما عن ابن عبَّاد وسلَّم، ولم يقل: إنه تصحيف»<sup>(٢٣)</sup>. ولا يبعد عندي أن يكون من إبدال التصحيف (بصَّص الجرُّو وَيَصَّص، أو بَصَّص الجرُّو وَيَصَّص) التي وردت في لسان العرب، ولا تفسير لها إلا الإبدال أو التصحيف. ويلحق بالتصحيف الأغلط الطباعية التي قد تقع أحياناً.

٦- إبدال الإبتاع: وردت كلماتٌ على أنها من الإبدال، ولا تعدو أن تكون ضرباً من الإبتاع نحو (شَدَّر مَدَّر)<sup>(٢٤)</sup>، وهو ما نصَّ عليه لسان العرب بقوله: «تفرقتُ إبله شَدَّر مَدَّر، إذا تفرقت في كل وجه، ومَدَّر إبتاع»<sup>(٢٥)</sup>. والإبتاع اللفظي - لا النحوي - إعتابُ لفظٍ ثانٍ مخالفٍ لسابقه في حرفٍ من حروفه، الغرضُ منه توكيد اللفظ الأول، ولا يستعمل اللفظ الثاني مفرداً، ومن ذلك قولهم: حَسَنٌ بَسَنٌ وضئيلٌ بئيلٌ. وهو كما قال عنه أعرابي: «شيءٌ نَدَّ به كلامنا»<sup>(٢٦)</sup> أي نُثِّبته كما يُثبَّت الود بيت الشعر. وقد أخرج د. صبحي الصالح من باب الإبدال اللغوي وتابعناه على ذلك.

### ثانياً: الغرض من تصنيف هذا المعجم:

توخَّيت من صنعة هذا المعجم (\*) عدة أغراض:

١- الإفادة من هذه الظاهرة اللغوية المهمة في توليد كلمات جديدة،

(٢٢) ابن منظور - لسان العرب: زلع.

(٢٣) الزبيدي - تاج العروس: زلع.

(٢٤) ابن السكيت - القلب والإبدال: ٤.

(٢٥) ابن منظور - لسان العرب: مَدَّر.

(٢٦) د. صبحي الصالح - دراسات في فقه اللغة: ٢٢٩.

(\*) سيصدر هذا المعجم عن مجمع اللغة العربية بدمشق قريباً.

وفي وضع المصطلحات العلمية المستجدة. لقد رميت إلى تفعيل هذه الخاصية اللغوية وتوظيفها بما يفيد تطوير العربية وجعلها مواكبة للعصر، دون الاكتفاء بها معلومة لغوية نظرية نحفظها وتنقلها لمجرد التعامل والزُّهو بخصائص لغتنا ومزاياها، ودون أن يكون وراء ذلك مطلبٌ مفيد وعائدٌ نافع، وألاً نقع في الخطأ الذي وقع فيه أسلافنا من العلماء العرب عندما لم يحوّلوا اكتشافاتهم العلمية في الفيزياء والبصريات مثلاً إلى تقانة، أي لم يستثمروا تطبيقاتها العملية في اختراعات وصناعات تخدم البشرية.

لقد أُلّفَت كتب وبحوث كثيرة في ظاهرة الإبدال اللغوي مشيدةً بها خاصيةً لغوية، ولكنَّ قلةً هم الذين استثمروا وفعلوا هذه الظاهرة الاشتقاقية العظيمة في لغتنا لتطويرها وزيادة ثروتها اللفظية والدلالية، منهم الأستاذ عبد الله أمين الذي أفاد من إبدال الراء والنون في كلمتي (غُمْرَة و غُمْنَة) بأن تستعمل (الغمرة) لنوع من مواد التجميل المسحوقَة و(غُمْنَة) للمادة نفسها ولكن من المراهم<sup>(٢٧)</sup>. ومنهم مترجمو معجم (كليرفيل) الطبي الذين استثمروا الإبدال بين الدال والتاء، بإطلاق (التخدير) على نوع من التّفْتِير وتغييب الإحساس، و(التختير) لنوع آخر منه بحسب الشدّة أو الشمول<sup>(٢٨)</sup>، كما استثمروه المجمعِي مصطفى الشهابي في المصطلحات الزراعية للتفريق بين نوعين من تخطيط الحدود بين الأرضين، فوضع (التأريث) لنوع من التحديد و(التأريف) لنوع آخر<sup>(٢٩)</sup> منه.

(٢٧) عبد الله أمين - الاشتقاق: ٣٧٠.

(٢٨) أبو الطيب اللغوي - كتاب الإبدال - مقدمة المحقّق ١: ٤٢.

(٢٩) مصطفى الشهابي - ملاحظات على معجم الألفاظ الزراعية - مجلة مجمع دمشق

لم يصدر حتى الآن قرار لغوي من المجامع باعتماد هذه الظاهرة طريقة توليد لغوي لما يستجد من كلم ومصطلحات. وعلى أن لجنة اللغة العربية وعلومها في مجمع اللغة العربية بدمشق أفادت من هذه الظاهرة في تجويز فعلين ومشتقاتهما شاعا في العربية المعاصرة وهما (طَبَّ) و(شَفَطَ).

أ- طَبَّ ومَطَّبٌ ومَطَّبَات: ظهرت دلالة جديدة لفعل (طَبَّ) في العربية المعاصرة في مثل قولهم (طَبَّ في الحفرة) بمعنى هوى وسقط، وظهر من مشتقاته (مَطَّبٌ) بمعنى محدَّب في الطريق يُلزم تخفيف سرعة السيارة، و(مَطَّبَات جويّة) بمعنى أمكنة هُويّ الطائرة عن مستوى مسارها قليلاً بسبب أحوال جوية. ومن المعروف أن الدلالات المعجمية للفعل (طَبَّ) هي مَهَرَ وَحَدَّقَ، وترفَّقَ وتَلَطَّفَ، وداوى وعالج، وأصلح وأحکم، وخرزَ القربة ونحوها، وليس له الدلالة المحدثة الشائعة. وبإعمال ظاهرة الإبدال في هذا الفعل استطعنا تسويغ قبول هذه الدلالة الجديدة، ذلك أنّ لدينا في العربية فعل (كَبَّ) الذي تحمل دلالاته المعجمية الأصلية معاني (هوى وسقط، والهويّ والسقوط)، وبإبدال الكاف طاءً وصلنا إلى الدلالة الجديدة بيسر، فيصبح معنى (طَبَّ في الحفرة: هوى وسقط فيها). ويصبح معنى (المطب الجوي) هو مكان هوي الطائرة عن مستوى مسارها قليلاً. وقوى ذلك لدينا أن الكاف أبدلت طاء في العربية في قولهم: (اسبَكَرَ الرجلُ واسبَطَرَ: اضطجع)<sup>(٣٠)</sup>، وفي قولهم «يطردهم طرداً ويكردهم كَرْداً»<sup>(٣١)</sup>.

ب- شَفَطَ وشَفَاط: شاعت دلالة هذا الفعل بمعنى امتصَّ الماء أو الهواء أو الغبار أو الغاز وجذبها بقوة، كما شاع استعمال كلمة (شَفَاط) اسم

(٣٠) ابن منظور - لسان العرب: سبكر.

(٣١) المصدر نفسه: كرد.

آلة منه للدلالة على جهاز يرتكّب في بعض الأمكنة للقيام بذلك العمل. ولم يرد هذا الفعل في المعاجم العربية القديمة. وقد أعملنا ظاهرة الإبدال في فعل قريب الدلالة منه، وهو الفعل (شَفَّ) فأبدلنا بالفاء الثانية منه طاءً، مما أدّى بنا إلى الفعل (شَفَطَ)، وهو غير بعيد الدلالة عن فعل (شَفَّ)؛ جاء في لسان العرب «شَفَّ الماءَ يشْفُهُ شَفًّا واشتَفَّهُ وتشافَّهُ: تقصَّى شُرْبَهُ، وتشافَفْتُ ما في الإناء إذا شربتَ جميع ما فيه ولم تُسَيِّر»<sup>(٣٢)</sup>. وجاء في المعجم الوسيط: «شَفَّ الهواءُ الماءَ: ذهبَ ببعضه»<sup>(٣٣)</sup>، ويلاحظ أن الدلالة المعجمية للفعل (شَفَّ) تقترب من دلالة الفعل المولّد (شَفَطَ)، ويشتركان في أن كليهما يدل على إذهاب الماء أو أكثره، ويفترقان في أن الدلالة المعاصرة تزيد دلالة إذهاب الهواء وما قد يكون فيه من غبار أو غازات، وهي دلالة تنوعيّة على دلالة الفعل الأصلية، ومن أغراض الإبدال اللغوي الدلالة على الفروق النوعيّة بين المبدل والمبدل منه كما قدّمنا. وقد ورد الإبدال بين الطاء وغيرها في العربية لتنوع الدلالة، ولعلّ أقربها إلى ما نحن فيه ما جاء في المعجم الوسيط: «نَحَّ: تردّد صوتُه في جوفه. ونحط: تردّد صوت بكائه في صدره»<sup>(٣٤)</sup>، ومثله وبعبارة مشابهة في لسان العرب<sup>(٣٥)</sup>. ومن إبدال الفاء طاءً قول العرب: أفرَّ الله يده وأطرّها، أي قطعها، ومجيء (قَطَّ وقطف) بمعنى القطع كما في اللسان، وإن غلب القَطُّ للقطع عامّة، والقطف لقطع الثمار خاصة.

ومما يجدر ذكره أن معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور أحمد

(٣٢) ابن منظور - لسان العرب: شغف.

(٣٣) مجمع القاهرة - المعجم الوسيط: شغف.

(٣٤) المصدر السابق: نحح، نحط.

(٣٥) ابن منظور - لسان العرب: قطف، قطف.



مختار عمر وفريقه قد أورد الفعلين بدالتيهما المعاصرتين ولكن دون تعليل كما فعلت لجنة اللغة العربية في مجمع دمشق.

وغني عن البيان أنني لا أدعو إلى أن نترك ما هو مألوف من الكلم وأن نستبدل به ما ليس مألوفاً منه، فأنا لا أدعو مثلاً إلى استبدال (اهْتَقَعَ لُونُهُ) بـ (امْتَقَعَ لُونُهُ)، ولا أن نهجر (وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ) إلى (وَكَعَ عَلَى الْأَرْضِ)، بل أدعو إلى استثمار هذه الظاهرة الاشتقاقية الأصلية في لغتنا لتوليد كلمات عربية جديدة مما شاع في العربية المعاصرة من ألفاظ عربية البناء والأصوات لدلالات مستجدة، كما مثَّلت.

إنني أؤكد ضرورة استثمار هذه الظاهرة في التنويعات الدلالية الممكنة على المعنى الأصلي، ولا سيما في ميدان المصطلحات العلمية، وعلى سبيل المثال: ورد الإبدال في الأفعال: (قسا وجسا وعسا) بمعنى صُلب، وأرى أنه يمكن تخصيص كل صورة إبدالية منها لدلالة تنويعية، كأن يقال (مَعْدَن قَاسٍ) لما هو صُلب منه، و(لَفْظٌ جَاسٍ) لما فيه خشونة وغلظ، و(مَاءٌ عَاسٍ) لما فيه ثقل على الهضم. كما ورد الإبدال في الأفعال: (زحل وزحن وزحك)، ألا يمكن تخصيص الفعل (زحل) - مثلاً - للانزلاق القليل الطفيف، و(زحن) للانزلاق الكبير، و(زحك) للانزياح الضعيف لوجود مقاومة له، إذا دعت إلى ذلك ضرورة اصطلاحية علمية. وبهذا نكون قد تابعنا سُنَّةَ العرب في الإبدال بغرض تنويع المعنى الواحد عندما قالت: «أومأْتُ بالحاجبين والعَيْنين وأوبأْتُ باليدين والثوب»<sup>(٣٦)</sup>. وعندما قالت: «خَضَمَ إِذَا أَكَلَ الرُّطْبَ، وَقَضَمَ إِذَا أَكَلَ الْيَابِسَ»، أو «الْحَضْمُ: الْأَكْلُ بِأَقْصَى الْأَضْرَاسِ، وَالْقَضْمُ بِأَدْنَاهَا»<sup>(٣٧)</sup>.

(٣٦) ابن منظور - لسان العرب: ومأ.

(٣٧) المصدر السابق: قضم، خضم.

وما نقوله في استثمار هذه الظاهرة الاشتقاقية في العربية، ينطبق أيضاً على ظاهرتي القلب والإلحاق اللتين قد نفصل القول فيهما قابلاً.

## ٢- تقديم مرجع سهل المأخذ قريب المتناول في الإبدال:

قدّمنا أنه صُنِّفَت عدة كتب في الإبدال. ولكننا لاحظنا أن منهجية تلك الكتب في التصنيف والعرض لا تخلو من صعوبة وعُسْر، فلكي تعرف إبدال الضاد والذال في فعلي (نبض ونبذ) عليك أن تستعرض كل أبواب كتاب ابن السكيت إذ ليس فيه - بحسب ما بين أيدينا - باب الضاد والذال. أما في كتاب الإبدال لأبي الطيب اللغوي فسوف تجد مطلبك في باب (إبدال الذال والضاد)<sup>(٣٨)</sup>، ولن تجده في باب الضاد والذال، لأن أبا الطيب يصنّف الإبدال بحسب الحرف الأسبق ألفبائياً في الكلمتين المبدلتين، ويكتفي بذكرهما في موضع واحد. ومعنى هذا أن عليك أن تعرف مسبقاً أن في الكلمتين إبدالاً، لتبحث عنهما في باب الحرف الأسبق فيهما، أو أن تراجع الكتاب كلّ لتعثر على مطلبك. وبذلك تضيع أهمّ فائدة من أي كتاب مرجعي وهي سهولة الوصول إلى المطلب أو المعلومة.

أمّا في معجمنا فيكفي أن نفتح على باب أي حرف من حروف الهجاء لتجد كل حالات الإبدال التي وردت فيه، ففي باب (الإبدال من الجيم) مثلاً، سوف تجد كلّ الأحرف التي أبدلت من الجيم في موضع واحد، والعكس صحيح فأنت واجدٌ تحت كل حرف الكلمات التي أبدل فيها ذلك الحرف جيماً. وإذا لم تجد إلى جانب حرفٍ كلمةً بل فراغاً فهذا يعني أنه لم يرد في لسان العرب إبدال بين هذين الحرفين. ففي باب الإبدال من الشين سوف تجد أن هذا الحرف أبدل سيناً في خمسة وثلاثين فعلاً، على حين لم

(٣٨) أبو الطيب اللغوي - كتاب الإبدال ١٦: ٢.

يبدل همزةً ولا ياء ولا ذالاً ولا ظاءً ولا غيناً ولا واواً ولا ياء، سواء أكنت تعرف أن ثمة إبدالاً لهذا الحرف مع غيره أم لا. وقد اقتضانا منهجنا هذا في التصنيف أن نذكر الكلمة التي وقع فيها إبدالٌ في أكثر من موضع، فإبدال الراء دالاً في فعل (رتق) ليصبح (دثق) سوف تجده في بابي الراء والبدال. أما نحو همز ولمز وغمز فسوف تجدها في ثلاثة أبواب، وقد يذكر الفعل في خمسة أبواب كما في الأفعال: (مرت، مرث، مرد، مرد، مرس) بمعنى نفع وذلك. وهذا مألوف في المعاجم - فعلى سبيل المثال كرر المكنز الكبير كلاً من الأفعال (تجهّم، عبس، قطب) في موضعين هما بابا التجهم والعبوس<sup>(٣٩)</sup>، وكرر الفعل (عصب) في ثلاثة مواضع في أبواب (البسط - القحط - الحبس والإمساك)<sup>(٤٠)</sup>.

وقد رتبنا إبدالات الحرف الواحد ترتيباً ألفبائياً، سواء أوقع الحرف المبدل أولاً أو وسطاً أو آخراً، ففي باب الإبدال من الفاء كتبنا:

أ: أخطف الرميّة وأخطأ

- كثفت لحيته وكثأت

ب: اخرنفق الكاذب واخرنبق: انقمع.

- افتززت الخصم وابتززت: غلبته.

- رفع الحجر وربع.

- زفنت الناقة حالبها وزبنت: دفعته برجلها.

- شطف المسافر وشطب: تباعد.

- ضفر الجواد وضبر: صوت.

(٣٩) د. أحمد مختار عمر وفريقه - المكنز الكبير - الفقرتان: ٤٠٣، ٦٩٧.

(٤٠) المصدر السابق: الفقرات: ١٦٥-٤٠١، ٩٤٠.

- فَزَّتْكَ البَيْعَ وبرتكَ: أفسده.
- فرزَ الشيءُ وبرزَ: ظهر.
- قحف المريضُ وقحب.
- كفحَ الفرسَ وكبح: أوقفها بسرعة.

ج...  
...ذ...  
...ط...  
...

غ... [أي لم يقع إبدال بين الفاء وهذه الأحرف].

## ٣- استدراك بعض ما فات كتب الإبدال:

لا ندَّعي أن معجمنا هذا قد أحاط بكل صور الإبدال في العربية أو استوفاهما. ولكن عند مقابلة ومقارنة صور الإبدال في عينة عشوائية بين أحرف من معجمنا، وأحرف من كتاب ابن السكيت (القلب والإبدال) ومؤلف أبي الطيب اللغوي (كتاب الإبدال)، وجدنا أن ما ورد عندنا من الأفعال المبدلة أكثر ممَّا ورد في نظيريه منهُما وهاكم الدليل:

## • إبدال السين والثاء

- ورد عند ابن السكيت فعل واحد هو ساختَ رجله في الأرض وثاقت.
- ورد عند أبي الطيب ثلاثة أفعال هي: ساخ وثاخ، مرسَ ومرث، وطس ووطث<sup>(٤١)</sup>.
- وهي عندنا ثمانية أفعال: ازبسَ وازبتت، وأسجمت السحابة وأثجمت، ساختَ رجله وثاقت، سار الرجلُ وثار، كسح الأرضَ وكثح، لطس بالعصا ولطث، مرسَ ومرث، وطس الشوكَ ووطث.

(٤١) أبو الطيب اللغوي - كتاب الإبدال ١: ١٧٠-١٧٢.

## • إبدال الفاء والشين:

- لم يرد عند ابن السكيت أي فعل مبدل فيهما بحسب النسخة التي بين أيدينا.
- وَرَدَ عند أبي الطيّب ثلاثة أفعال هي: فدخ وشدخ، فطأ وشطأ، جَرَفَ وجرش<sup>(٤٢)</sup>.
- وهي عندنا خمسة أفعال: فدَخَ وشدخَ، فطأ وشطأ، كَفَحَ وكشَحَ، نتفَ ونتشَ، ندَفَ وندشَ.

## • إبدال الجيم والخاء:

- ورد عند ابن السكيت فعل واحد هو: جَلَعَتِ القنَاعَ وخلَعَتْ<sup>(٤٣)</sup>.
  - ورد عند أبي الطيب خمسة أفعال هي: انفضجت القُرْحَةُ وانفضختَ، جَذَمَ وخذَمَ، جَفَأَ وخفَأَ: صرعَ، جَلَعَتِ القنَاعَ وخلَعَتْ، وزَجَّ بالدمع وزخَّ<sup>(٤٤)</sup>.
  - وهي عندنا ستة أفعال هي: جَذَمَ وخذَمَ، جَلَعَتِ القنَاعَ وخلَعَتْ، زَلَجَتْ رجله وزلختَ، زَمَجَرَ الأسدُ وزمخر النمر، انفضجت القُرْحَةُ وانفضختَ، جَفَأَ به الأرضَ وخفَأَ.
- وقد تكون الزيادة عندنا كبيرة كما في إبدال الهمزة والعين، إذ ورد عند ابن السكيت أربعة أفعال<sup>(٤٥)</sup>، وعند أبي الطيب اللغوي خمسة أفعال<sup>(٤٦)</sup>، في حين بلغ عندنا ثمانية عشر فعلاً<sup>(٤٧)</sup>.

(٤٢) المصدر السابق ٢: ٢٢٨.

(٤٣) ابن السكيت - القلب والإبدال ١: ٩.

(٤٤) أبو الطيب اللغوي - كتاب الإبدال ١: ٢١٣.

(٤٥) ابن السكيت - القلب والإبدال ١: ١٦.

(٤٦) أبو الطيب اللغوي - كتاب الإبدال ٢: ٥٥٢.

(٤٧) ينظر إبدال الهمزة من العين أو العين من الهمزة في معجمنا.

ومع ذلك فلا ندعي أن معجمنا هذا جامعٌ ومستوفٍ كلَّ ما جاء في كتب الإبدال التي ربَّما ورد فيها ما ليس عندنا، وذلك لاختلاف منهجيتنا في التصنيف عن منهجيتها، وكذا لاختلاف مصادر كل كتاب، ومن ذلك أنه ورد من الإبدال في تاج العروس: (صراً وصرح)<sup>(٤٨)</sup>. ولم يرد عندنا لأنه ليس مما في لسان العرب. كما ورد في إبدال أبي الطيب -مثلاً-: «أرَّب على القوم وأرَّش: حملَ عليهم ووشى بهم»<sup>(٤٩)</sup>. وليس في اللسان (أرَّب) بهذا المعنى، ولم يشر إلى إبدال فيه. وورد عن أبي الطيب. باكٌ وضاكٌ بمعنى سفد<sup>(٥٠)</sup>، وليس هذا في اللسان... ولنقل مثل هذا في سائر المعاجم وكتب الإبدال.

### ثالثاً: منهجنا في العمل والتصنيف:

قام منهجنا في إعداد هذا المعجم على مجموعة من المنطلقات والمبادئ ارتضيناها وهي:

١ - مصدرنا المعتمد هو معجم (لسان العرب) لابن منظور (٧١١) هـ. لكننا لا نزع الكمال في تبتُّعنا حالات الإبدال فيه، فقد يكون فاتنا بعضها، إذ النقص من طبائع كل عمل بشري. ومنهجنا في البحث والتصنيف يقوم على ما يلي:

أ - فرَّقنا بين الإبدال الواقع في الأفعال الذي هو مضمون معجمنا وبين الإبدال الواقع في الأسماء، في حين جمعت كتب الإبدال الأخرى بين الصيغتين الفعلية والاسمية، مثال ذلك أن أبا الطيب اللغوي

(٤٨) الزبيدي - لسان العرب: صرح.

(٤٩) أبو الطيب اللغوي - كتاب الإبدال ١: ٢١٤.

(٥٠) المصدر السابق ١/ ١٣.

أورد في إبدال الزاي والواو: «رَجُلٌ زَعِقٌ وَوَعِقٌ إِذَا كَانَ سَرِيعَ الْغَضَبِ»<sup>(٥١)</sup>، أما نحن فلم نذكره لأن هذه الكلمة لم ترد في لسان العرب بصيغة الفعل. ودعانا إلى هذا التفريق والاكتفاء بالأفعال أن المشتقات في العربية تصاغ من الأفعال، فإذا ثبت الإبدال في فعل، أمكن أن يصدق ذلك على كل ما صيغ منه من مصدر أو اسم فاعل أو اسم مفعول... وهو بذلك يغني عن تتبُّع الإبدال في الأسماء.

ب- التزمنا الصيغة التي جاء عليها الفعل في لسان العرب، سواء في حالات التجرُّد أو الزيادة أو الاتصال بالضمائر أو الرسم الإملائي. ولكننا قد نضيف أحياناً اسماً: فاعلاً أو مفعولاً، أو ظرفاً، للتمييز بين اللازم والمتعدّي أو للتوضيح، كأن نقول: (فاض الماء وحاض: سال) و(قهر العدو وكهر)، أو (عزق به ولزق)، أو (فخر بما عنده وفخر). وإذا أسندنا الفعل إلى الرجل أو الشيء ونحوهما - ولم يرد ذلك في اللسان - فذلك لتجنب الضمائر وتاء التأنيث ما أمكن.

ج- تتبَّعنا حالات الإبدال في أي مدخل وردت، سواء في مدخل واحد نحو (زحلّ وزحن)، أم في مدخلين مختلفين، نحو (عرص البرق: اضطرب)، وهو في مدخل (عرص)، ولم يذكر معه مبدله (عرت) الذي ورد في مدخل (عرت) بقوله: (عرت البرق: اضطرب)، ولم يذكر فيه مبدله الفعل (عرص)، ولكننا أثبتنا هذا الإبدال فيهما بمعنى (اضطرب). ومثله (زحزح وززع)، إذ لم يُذكر في مدخل واحد، ولكننا وجدناهما في المدخلين (زحّ وززع)، فسلطنا في المبدلات.

٢- كان منهجنا في معجمنا هذا وصفيّاً لا معيارياً، بمعنى أننا لم نحاول أن

نقيس أو نعلل، أو نرد إلى الجذور. مثال ذلك أننا عددنا قولهم (رَبَّتَ الصَّبِيَّ وَرَبَّى) من إبدال التاء ألفاً بحسب نطقه، في حين عدّه أبو الطيب اللغوي من إبدال التاء ياءً<sup>(٥٢)</sup>، لأنه أعاد الألف في (رَبَّى) إلى أصلها المنقلبة عنه وهو الياء.

٣- لم نعدّ من الإبدال ما نصّ معجم لسان العرب على أنه مصحّف، نحو: «نَجَلَ النَّاسَ: سَبَّهَمَ، وَقَدْ صُحِّفَ هَذَا الْحَرْفُ فَقِيلَ نَحَلُ بِالْحَاءِ»<sup>(٥٣)</sup>. أما شُبْهَةُ التصحيف المختلف فيها فلم نعتدّها بها وجعلناها من الإبدال كالخلاف حول «تَزَلَّعَتْ رِجْلُهُ أَي تَشَقَّقَتْ»<sup>(٥٤)</sup> إذا جاء في لسان العرب (زلع) «تَزَلَّعَتْ رِجْلُهُ إِذَا تَشَقَّقَتْ». وجاء في (زلغ): «وقال الليث: تَزَلَّعَتْ رِجْلُهُ إِذَا تَشَقَّقَتْ. قال الأزهري: والمعروف تَزَلَّعَتْ يَدُهُ إِذَا تَشَقَّقَتْ بِالْعَيْنِ غَيْرَ مَعْجَمَةٍ، وَمَنْ قَالَ تَزَلَّعَتْ، بِالْغَيْنِ الْمَعْجَمَةُ فَقَدْ صَحَّفَ»<sup>(٥٥)</sup>. وكذا الخلاف حول (عَلْهَضَ وَعَلْهَضَ) جاء في اللسان: «عَلْهَضْتُ رَأْسَ الْقَارُورَةِ إِذَا عَالَجْتَ صِمَامَهَا لِتَسْتَخْرِجَهُ... قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: عَلْهَضْتُ، رَأَيْتَهُ فِي نَسْخٍ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِ الْعَيْنِ مَقِيداً بِالضَّادِ وَالصَّوَابُ عِنْدِي بِالضَّادِ... وَفِي نَوَادِرِ اللَّحْيَانِيِّ عَلْهَضَ الْقَارُورَةَ بِالضَّادِ أَيْضاً إِذَا اسْتَخْرَجَ صِمَامَهَا»<sup>(٥٦)</sup>.

٤- لم نعدّ من الإبدال ما هو من عيوب النطق أو اللُّغَةُ يَقِيناً، نحو: عَشِقَ وَعَسِقَ، وشانني وسانني كما في بيت الشاعر سحيم عبد بني حسحاس:

(٥٢) أبو الطيب اللغوي - كتاب الإبدال ١٥٣: ١.

(٥٣) ابن منظور - لسان العرب: نجل.

(٥٤) ابن منظور - لسان العرب: زلع.

(٥٥) المصدر السابق: زلغ.

(٥٦) ابن منظور - لسان العرب: علهض.



فلو كنتُ وَرَدًا لَوْنُهُ لَعَسِقَنِّي ولكن رَبِّي سانني بوادي<sup>(٥٧)</sup>

يريد (لَعَسِقَنِّي وشانني) بالشين المعجمة.

أما ما فيه شُبْهة اللثغة ولم يُنصَّ عليها فقد عددناه من الإبدال، نحو: «تَسْرَبَل الدَّرْعَ وَتَسْعُبَل، والرَّايَةَ والغَايَةَ»، وهي لثغة الغين عند التنوخي<sup>(٥٨)</sup>.

٥- لم نقف في الإبدال عند قول بعض اللغويين كابن سيده: «ما لم يتقارب مخرجاه البتة فقل على حرفين غير متقاربين فلا يسمّى بدلاً، كإبدال حرفٍ من حروف الفم بحرف من حروف الحلق»<sup>(٥٩)</sup>، بل عددنا من الإبدال ما تقارب مخرجاه في المبدل والمبدل فيه أو تباعدا، لأن هذا الحكم ليس مجمعاً عليه ولا مثبتاً بدليل، إذ وقع الإبدال في حروف متقاربة المخرج، نحو: (أومأ وأومض) فالهمزة حرف حلقي والضاد حرف شجريّ وكلام ابن سيده في المخصص منقوض بإبدال حرف الميم الشفهي بحرف حلقي في كلٍّ من (لمأ ولَمَحَ وتملَّصَ وتخلَّصَ، وطمَسَ في الأرض وطهَسَ: دخل فيها واغلاً)، ومخالفتُ بما نقله أبو حيان الأندلسي في (شرح التسهيل): «قال شيخنا أبو الحسن بن الصائغ: قلما تجد حرفاً إلا وقد جاء فيه البديل إلا نادراً»<sup>(٦٠)</sup>، وهذا ما ذهب إليه أبو الطيب اللغوي والزجاجي وابن السكيت<sup>(٦١)</sup>.

٦- لم نقف عند الإبدال في حروف المعاني نحو (بَل وَبَن)، ولا في الأدوات النحويّة من مثل (لَعَلَّ وَلَعَنَّ وَلَغَنَّ وَرَعَنَّ)، ولا في الضمائر، نحو (أنا

(٥٧) المصدر السابق: عسق.

(٥٨) أبو الطيب اللغوي - كتاب الإبدال - مقدمة المحقّق: ٣٠.

(٥٩) ابن سيده - المخصص ٤: ١٨٤.

(٦٠) أبو الطيب اللغوي - كتاب الإبدال - مقدمة المحقّق: ٨.

(٦١) المصدر السابق: ٢٣.

وهنا وأنت وهنت)، لأنه لا يُبنى على مثل هذا الإبدال ما هو مفيد لتطوير اللغة وتنميتها، ولأن هذه الإبدالات من مضمونات علم النحو الذي هو أثبت الأنظمة اللغوية ونحن أحوج إلى مفرداته موحدّة.

٧- لم نعدّ الإبدال في حرفين من الكلمة الواحدة إبدالاً نحو: (اغرندي واغلتى: غلب وعلا)، في حين عددناه كذلك في نحو (اغرندي واسرندي)، لأن الإبدال هنا وقع في حرف واحد، ولكننا عددنا في الإبدال ما جاء منه في الأفعال المضعفة نحو (بَحَّ وبَّ) أو (رَفَّ ورفرف) أو في المضاعفة نحو: (دَهَدَقَ وزَهَزَقَ: ضحك عالياً) لأن الإبدال هنا وقع في صوت واحد.

٨- شرّحنا معنى الفعل المبدل إذا لم يكن معناه من المتعالم، نحو: (كأصّ الطعام وكعص: أكل) أو (دلّصّ النابّ ودلق: خرج من مكانه)، أما المعروف المشهور فلم نفسره، نحو (تَبَّعَ الماءُ وتبع)، أو (حاض عن الشيء وحاد).

٩- إذا كان للفعل المبدل معنيان متباينان أو أكثر ذكرنا الفعل مكرراً نحو: مَثَّ الجرحَ ونَثَّ: دهَنَه.

مَثَّ الغلامُ ونَثَّ: عَرِقَ من السَّمَن.

ونحو: سَبَطَ شعرَهُ وسَمَطَ: حَلَقَ.

سَبَطَ المَتَّهَمُ وسَمَطَ: حَلَفَ.

سَبَطَ النعجَةَ وسَمَطَ: جَزَّها.

أما إذا كان للفعل معانٍ مترادفة أو متقاربة فلم نكرره. ولا يعني ذكرنا لمعنى الفعل المبدل في موضع أنه لا معنى آخر له، بل قد يكون له معنى آخر، ولكن لم يقع فيه إبدال في ذلك المعنى. مثال ذلك أننا ذكرنا الإبدال بين (ذَبَّ وذبل) في قولهم: (ذَبَّ لسانه وذبل: جَفَّ) ولكن لفعل (ذَبَّ) معنى آخر

مشهور هو (دَفَعَ وَمَنَعَ)، لم يُسمع فيه إبدال. أي لا يشترط إذا وقع الإبدال في فعلين بدلالة ما، أن يقع فيهما إذا جاء بدلالة أخرى مغايرة.

١٠- لم نأخذ بما ذهب إليه (ابن جني) في التمييز بين الفعلين اللذين وقع في أحد أحرفهما إبدالاً، أيهما أصلٌ وأيُّهما فَرْعٌ أو مُبَدَّلٌ، إذ يقول: «متى أمكن أن يكون الحرفان [الكلمتان] جميعاً أصليين، كل واحد منهما قائم برأسه، لم يسع العدول عن الحكم بذلك، فإن دَلَّ دالٌّ أو دَعَتْ ضرورة إلى القول بإبدال أحدهما من صاحبه، عُمِلَ بموجب الدَّلالة وصيرَ إلى مُقْتَضَى الصَّنعة، من ذلك: (هتلت السماء وهنتت) هما أصلان، ألا تراهما متساويين في التصرف، يقولون: هتنت السماء تهتن تهتاناً، وهتلت تهتل تهتلاً، وهنَّ سحائبٌ هتنَّ»<sup>(٦٢)</sup>. والإبدال عند (ابن جني) هو في نحو (خامل وخامن) «النون فيه بدلٌ من اللام، ألا ترى أنه أكثر، وأن الفعل عليه يتصرف، وذلك قولهم حمل يخمل خمولاً»<sup>(٦٣)</sup> فكثرة تصريفات (خمل) وقلة تصريفات (خمن) دليلٌ عنده على أن هنا إبدالاً، لأنه لا يمكن عدُّ الكلمتين أصليين، فخامل هو الأصل وخامن هو الفرع عنده. أقول لم نأخذ بهذا التفريق، فعددنا من الإبدال كل كلمتين وقع في بعض أحرفهما إبدالاً، بصرف النظر عن كثرة أو قلة تصرف أيٍّ منهما. وحجتنا في ذلك أشياء.

الأول: أن هذه مقولة خلافية، ذلك أن ما لم يعدّه، ابن جني إبدالاً في (هنتت وهتلت) بل جعلهما أصليين عدّه ابن السكيت إبدالاً صريحاً، وذلك عندما مثل للإبدال بقوله: «هنتت السماء تهتن تهتاناً وهتلت تهتل

(٦٢) ابن جني - الخصائص ٢: ٨٢.

(٦٣) المصدر السابق: ٢: ٨٦.

تَهْتَالاً، وَهِنَّ سَحَائِبٌ هُتَّنَ وَهْتَلْنَ، وَهُوَ فَوْقَ الْهَطْلِ»<sup>(٦٤)</sup>.

ومعروف أن (ابن السكيت) هو أقدم من صنّف في الإبدال.

الثاني: قول أبي حيان الأندلسي - كما قدّمنا - في شرح التسهيل: «قال

شيخنا أبو الحسن بن الصائغ: قلّما تجد حرفاً إلا وقد جاء فيه البديل إلا

نادراً»<sup>(٦٥)</sup>. ومعنى هذا - لو سلّمنا برأي ابن جني - أن معظم أفعال

العربية فرّوع، وهذا ما لم يُقل به أحد.

الثالث: لا يعقل أن يكون الأوائل قد وضعوا مرة واحدة المبدلات كلها من نحو

(قَطَّ وقَطَرَ وقَطَعَ وقَطَلَ وقَطَفَ وقَطَمَ) وجعلوها جميعاً أصولاً، والأقرب

إلى العقل أن الناطقين الأول وضعوا فعلاً واحداً ثم نوّعوا دلالاته بالإبدال

وصارت كلها أصولاً، إذ إن تصريفات كل منها لا تقل عما سواه.

الرابع: الدليل على أن المبدل يصبح أصلاً هو تصرّفه والاشتقاق منه

كالأصل كما في قولهم: خطف واختطف وخذف واختدّف، وقولهم:

وَمَأٌ إِلَيْهِ وَأَوْمَأَ وَوَبَأَ إِلَيْهِ وَأَوْبَأَ، وقولهم: مدح وتمدّح ومدّه وتمدّده، ومار

أهله وغارهم، ويمير أهله ويغيرهم: يجلب لهم الطعام. ومعروف أن

الاشتقاق قياسي من الأفعال ما عدا الجامد منها. ولكن قد يشيع بناء

من هذه الاشتقاقات أكثر من غيره.

الخامس: أن كل من ألف في الإبدال لم يفرّق بين الفعلين اللذين وقع فيهما

إبدال إن كانا أصلين أم أصلاً وفرعاً، بل عدّوا كل ما وقع بينهما إبدالاً

في حرف إبدالاً، بصرف النظر عن قلة أو كثرة تصريفات أيّ منهما.

ومثال ذلك ما جاء في إبدال أبي الطيب اللغوي: «يقال: نَبَثْتُ الترابَ

(٦٤) ابن سكيت - القلب والإبدال: ١.

(٦٥) أبو الطيب اللغوي - كتاب الإبدال - مقدمة المحقق: ٨.

من البئر نَبْتًا ونَبْشَةً نَبْشًا»<sup>(٦٦)</sup>، مع أن تصريفاتهما متماثلة؛ إذ ورد من تصريفات (نبش) في اللسان ثماني كلمات بين فعل مضارع ومصدر واسم مفعول. وورد من تصريفات (نبث) مثلها، ولم يعدّهما أصلين. وجاء فيه: «غلط في الحساب وغلث»<sup>(٦٧)</sup>، ولم يُقْل إن (غلط) أصلٌ و(غلث) فرع. مع أنه ورد من تصريفات (غلط) في اللسان نحو عشر كلمات، ولم يرد من تصريفات (غلث) إلا أربع كلمات. وحتى في الاستعمال فما نسبة استعمال كلٍّ من غلط وغلث؟!!

السادس: وهو أهم من كل ما سبق أنه لا يُبْنَى على معرفة أيّ الفعلين هو أصل مبدل فيه أو فرعٌ مُبدلٌ أيُّه فائدة عمليّة يمكن توظيفها لتطوير اللغة العربية وتوليد كلم جديد فيها. ما دامت العربية تسمح بالاشتقاق منهما جميعاً سواء أَعْدًا أصلين أم أصلاً وفرعاً. ومعروف أنه لا يُفَرِّق في الاشتقاق بين العربيّ والمعرَّب (ذي الأصل الأعجمي)، إذ يُعَامَل الثاني معاملة العربي الأصل تصرُّفاً واشتقاقاً...، فما بالكم بخلاف لغويّ نظريّ لا عائد له ولا طائل من ورائه.

وخلاصة القول: يجيء هذا المعجم ليقدم مرجعاً سهلاً المأخذ والمتناول للباحثين من اللغويين واللسانيين. وليدعو إلى استثمار هذه الخاصية الاشتقاقية في العربية، بغرض توليد كلمات جديدة ترفد العربية التراثية، وليستدرك ما قد يكون فات غيره من كتب الإبدال، ولتوضيح بعض أحكام الإبدال وتصويبها.

اللهم علمنا ما ينفع وأنفع بما علمتنا

(٦٦) أبو الطيب اللغوي - كتاب الإبدال ١: ١٧٥.

(٦٧) المصدر السابق ١: ١٢٦.

## المصادر والمراجع

- ابن جني - الخصائص - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ط ٤ (د.ت).
  - ابن السكيت - القلب والإبدال (عن المكتبة الشاملة - ترقيم الصفحات غير موافق للمطبوع).
  - ابن سيده - المخصّص - تح د. خليل جفال - ط ١ - ١٩٩٦.
  - ابن منظور - لسان العرب - دار المعارف - مصر.
  - أبو الطيب اللغوي - الإبدال - تح عز الدين التنوخي - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٩٦١.
  - أبو عمرو الداني - التيسير في القراءات السبع - تح أوتوتريزل - دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٤.
  - د. أحمد مختار عمر وفريقه - المكنز الكبير - دار سطور ط ١ (٢٠٠٠) م - الرياض.
  - الثعالبي - فقه اللغة وسر العربية - دار الكتب العلمية - لبنان (د.ت).
  - الحملاوي - شذا العرف في فن الصرف - تح نصر الله عبد الرحمن نصر الله - مكتبة الرشد - الرياض.
  - الزبيدي - تاج العروس - دار الهداية.
  - د. صبحي الصالح - دراسات في فقه اللغة - دار العلم للملايين - ط ١ - ١٩٦٠.
  - عبد الله أمين - الاشتقاق - القاهرة ١٩٥٦.
- الدوريات:
- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مجلد ٢٣ ج ٣.

## نظرات نقدية في

(ديوان ابن الخيمي، ت ٦٤٢هـ)

ط. مجمع اللغة العربية بدمشق

د. عباس هاني الجراخ (\*)

كان من ثمار اهتمامي بإخراج أشعار شعراء مدينة (الحلة) العراقية جمعاً وتحقيقاً ودراسةً أن صَنَعْتُ شِعْرَ (شُمَيْمِ الحَلِّيِّ) ثُمَّ شِعْرَ (عَلِيِّ بنِ البَطْرِيْقِ)، وَصَدَرَا فِي كِتَابَيْنِ عَنِ جَامِعَةِ بَابِلَ فِي سَنَتَيْ ٢٠٠٨م وَ ٢٠٠٩م، وَأَخْرَجْتُ غَيْرَهُمَا مُحَقَّقًا فِي بَعْضِ الْمَجَالَاتِ الْعِلْمِيَّةِ الْمُحَكَّمَةِ، وَفَكَّرْتُ بِجَمْعِ شِعْرِ مَهْدَبِ الدِّينِ ابْنِ الْخَيْمِيِّ (ت ٦٤٢هـ)، الَّذِي نَشَأَ بِالْجَامِعَيْنِ، وَهِيَ الْمَحَلَّةُ الَّتِي - وُلِدْتُ بِهَا - تُطَلُّ عَلَى شَطِّ الْحَلَّةِ الَّذِي يُعَدُّ أَحَدَ رِوَاغِدِ نَهْرِ الْفِرَاتِ، فَعَكَفْتُ عَلَى الْبَحْثِ عَنِ آثَارِهِ، فَقُمْتُ بِجَمْعِ شِعْرِهِ مِنْ شَتِيَتِ مَظَانِّ الثَّرَاثِ الَّتِي احْتَجَجْتُهُ، مِنْذُ نَحْوِ أَرْبَعِ سِنَوَاتٍ، وَأَعْلَنْتُ عَنْهُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ<sup>(١)</sup>، وَكُنْتُ أَتَعَهَّدُهُ ضَبْطًا وَتَخْرِيجًا وَدِرَاسَةً، وَمُلَاحَقَةً الْمَصَادِرِ الَّتِي ضَمَّتْهُ، مَخْطُوطَةً أَوْ مَطْبُوعَةً، فَاسْتَقَامَ شِعْرُهُ الْمَجْمُوعُ مُحَقَّقًا وَمُرْتَبًّا عَلَى الْقَوَافِي، فِي (١٩٢) بَيْتًا، وَفِيهِ قِسْمٌ لِلْمَنْسُوبِ لَهُ وَلِغَيْرِهِ، وَقَدَّمْتُ لِلدِّيَوَانِ

(\*) باحث في الأدب والتراث من العراق.

(١) وأرسلته إلى مجلة (الدارة) السعودية في ١٧/٣/٢٠١٤م، فاعتذر رئيس تحريرها عن نشره في ١٠/٦/١٤٣٥هـ، لعدم تخصصها بهذا الجانب!، وإنما أذكرُ هذا للتاريخ.

بِصَحَائِفَ خَصَصْتُهَا لِلْحَدِيثِ عَنِ ابْنِ الْخَيْمِيِّ نَفْسِهِ، وَرِحَالَاتِهِ الْعِلْمِيَّةَ، وَشِيُوخَهُ وَتِلَامِذَتَهُ، وَأُورِدْتُ قَائِمَةً مُسْتَقْصَاةً لِآثَارِهِ الْمُتَنَوِّعَةِ، ثُمَّ دَرَسْتُ شِعْرَهُ دِرَاسَةً مُوَضَّوعِيَّةً، وَفَنِيَّةً، وَرَجَعْتُ فِيهِ إِلَى مِئَةِ وَعِشْرِينَ كِتَابًا بَيْنَ مَخْطُوطٍ وَمَطْبُوعٍ، عَدَا الْمَقَالَاتِ، وَصَنَعْتُ لَهُ فَهَارِسَ عِلْمِيَّةً مُتَنَوِّعَةً، وَبَذَلْتُ فِيهِ مِنَ الْجَهْدِ مَا لَا أَذْكَرُهُ، بَعْدَ تَرَوُّوِّ وَتَدَبُّرٍ، وَتَطَلُّبِ الْحَقِّ، وَأَحْسَبُ أَنَّيْ قَدْ أَعْطَيْتُ الرَّجُلَ حَقَّهُ مِنَ الْبَحْثِ وَالتَّنْقِيرِ، ثُمَّ طَلَبَهُ مِنِّي الْقَائِمُونَ عَلَى (مركز العلامة الحلبي) في بابل لنشره، فقدمته لهم سنة ٢٠١٥ م.

وُسِرْتُ حِينَما ظَفَرْتُ بِمَخْطُوطِ كِتَابِهِ (نزهة الملك في وصف الكلب والمكلبين)، التي تقبع نسخته الفريدة في المكتبة الظاهرية بدمشق، وقمت بتحقيقه، وقدمته إلى مجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠١٤ م لنشره ضمن إصداراته، وقد اعتذر المجمع عن نشره - مع موافقته على ذلك - بسبب الظروف التي يمر بها البلد، ووجود أكثر من عشرين كتاباً في انتظار النشر، فكان أن بعثته إلى دار التراث في النجف الأشرف، وصدر ضمن منشوراتها عام ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م.

وبأخرة سعدت إذ قرأت خبر صدور ديوان ابن الخيمي عن مجمع اللغة العربية بدمشق، فطلبت من بعض الأحبة لمعرفة الجهد المبذول فيه، فكان بجمع ميسم عدنان الصواف وتحقيقها، ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م، ووقع في ٩٩ صحيفة، وقد أطلع عليه قبل نشره د. محمد رضوان الداية - الذي قدم له، ص ١١-٥، وأثنى على جهدها - والأستاذان إبراهيم صالح، وإبراهيم الزبيق، وأفادت المحققة من قراءاتهم وملاحظاتهم، وشكرتهم في خاتمة مقدمتها. ويحمد للصواف إقدامها على جمع شعر الشاعر من مختلف المصادر، وسعيها في ذلك.



ولكنّ الملاحظة العامّة على عملها تكمنُ في قلّة اطلاعها على المصادر والمراجع، التي سنذكرُ بعضها، إذ كانت بضاعتها منها مزجاةً، ولو بذلتُ جهداً أكبرَ لأمكنها أن تتدارك القطع التي فاتتها من شعرِ ابن الخيمي، والروايات المختلفة لبعض أبياته، أو المنسوبة إليه وإلى غيره، أو تصحيح ما وقع في بعض الأبيات من تحريفٍ وتصحيفٍ، أو لزادت من معرفة أشياء مهمّة عن سيرته، وشيوخه، و... إلخ.

وقد تجمعتُ لديّ ملاحظات نقدية تحقيقية بشأن هذا الجهد، رأيتُ أن أودع أهمّها في هذه الصّحائف منسوقةً على الفقر الآتية:

**أولاً: المقدمة:**

١- في ص ١٧ عند سردها سلسلة نسبه لم تتطرّق إلى ضبط اسم (القامغار)، وقد ذكره الشيخ آغا بزرك الطهراني بصيغة: «كامغار» [كذا]، وتعني الذي وصل إلى هدفه أو المظفر، وقد يُعرّب «قام غار»<sup>(٢)</sup>.  
وورد مُصحّفاً في بعض المصادير<sup>(٣)</sup>.

٢- أوردت في الهامش الأول مصاير ترجمة ابن الخيمي، وكان من بينها «بدائع البدائه»، و«بغية الطلب»، و«توضيح المشتبه»، فهذه الكتب لا يصح أن نطلق عليها مصادر ترجمته، بل يرد فيها ابن الخيمي، أو شعره، عرضاً، ومن ثمّ فلا تقفُ أبداً إزاء المصادر الأصول، وأهمّها «قلائد الجمان» لابن الشعار (ت ٦٥٤هـ) وقد وردت ترجمة الشاعر فيه مرّتين بجزئه الثالث والسادس، أو «الوافي بالوفيات» للصفدي (ت ٧٦٤هـ)، أو «عقود الجمان» للزرکشي (ت ٧٩٤هـ)، وغيرها.

(٢) يُنظر: طبقات أعلام الشيعة (الأنوار الساطعة) ١٦٢.

(٣) جاء في (وفيات الأعيان): «التامغاز»، وفي: (نهاية الأرب): «التامغار»، وفي: (التاريخ الكبير): «القامغاز».

وهناك مصادر أخرى فأتتها، وهي:

المختار من تاريخ ابن الجزري ١٩٧، صلة التكملة ٩٢/٢-٩٣،  
التاريخ الكبير ٩٣/٥ أ-٩٤ ب، سفينة نفيسة ٢١، سُلَّم الوصول إلى  
طبقات الفحول ١٩٨/٣، معجم المؤلفين ٢٩/١١-٣٠.

عدا مصادر آخر غيرها أوردت شعراً له، أو روايات جديدة، أو أضاءت  
جوانب من حياته.

ولأنَّ الشاعَرَ حلِّيَّ فقد كان من الضروريِّ - قبل أن تشرعَ بعملها - أن  
تعودَ إلى مراجعٍ مهمَّةٍ لمؤلِّفين حلِّيِّين، وأشهرهم الشيخ محمَّد عليّ  
اليعقوبيّ (ت ١٣٨٥هـ) في كتابه الذائع (البابليّات) ١/٥٧-٥٩، والشيخ  
عليّ الخاقانيّ (ت ١٣٩٩هـ) في كتابه (شعراء الحلة) ٤/٣٨٢-٣٨٥،  
والسيد هادي كمال الدين (ت ١٣٩٦هـ) في كتابه (فقهاء الفيحاء)  
١/١٦٢-١٦٤، والشيخ يوسف كركوش (ت ١٤١٠هـ) في: (تاريخ الحلة)  
٢/١٦٩-١٧١، وغيرهم.

وقد اهتمَّ بمهذَّبِ الدين ابن الخيميِّ، ودراسةِ حياته، ومحاولةِ جَمْعِ  
شعره، اثنانٍ مِنَ البَاحِثين:

الأوَّل: د. جواد أحمد علوش<sup>(٤)</sup>، في مقالٍ له سنة ١٩٦٧م<sup>(٥)</sup>، تتَّوَلَّ فيه

(٤) جواد بن أحمد بن عبد الحسين بن خضير علوش. وُلِدَ في الحلة سنة  
١٣٤٤هـ/١٩٢٦م. حصل على الماجستير في آداب اللغة العربية من جامعة القاهرة سنة  
١٩٥٢م، وحصل على شهادة دكتوراه فلسفة في الأدب العربيِّ من كلية الدراسات  
الشرقية في جامعة درم في المملكة المتحدة سنة ١٩٦٧م، وشغل مناصب إدارية كثيرة  
منها مساعد رئيس جامعة بغداد، وكلية أصول الدين. تُوفِّيَ في بغداد سنة  
١٣٩٥هـ/١٩٧٥م. من آثاره المطبوعة: «شعر صفي الدين الحلبي»، و«أدب الحلة»،  
و«أدباء حلين»، وله شعرٌ منشورٌ. يُنظر عنه: موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين  
١/٤٩-٥٠، وما كتبناه عنه في (محور الشعر الحلِّي) بجامعة بابل.

بِشْيءٍ مِنْ التَّفْصِيلِ - مع بعض الإطالة والاستطراد - اسمهُ ولقبهُ ونسبهُ ونشأته، ورحلته الى الشام ومصر، وأدبه، وأورد له خمسين بيتاً، نثرها في مقاله ذاك، برجوعه إلى أربعة مصادر، في ذلك الوقت.

واستدرك عليه د. مصطفى جواد بعض التصحيحات التاريخية في المجلة نفسها<sup>(٦)</sup>، وقد أفاد د. علوش منها وهو يُعيدُ نشرَ مقالِهِ في كتابهِ (أدباء حليون)<sup>(٧)</sup> في بيروت عام ١٩٧٨م، ونَبّهَ بأمانةٍ على تلك التصحيحات.

الآخر: أ. هلال ناجي، الذي كتب مقالاً<sup>(٨)</sup> اعتمد فيه على د. علوش، وأفاد من آرائه ومصادره بصورة كبيرة، وزاد عليه خمسة نصوص فقط من مصدرين لا ثالث لهما؛ أربعة نصوص منها هي قصائد نقلها من كتاب محقق مطبوع، هو (قلائد الجمان) لابن الشعار الموصلي في جزئه الثالث فقط، والنص الأخير مقطوعة وردت في مخطوط كتاب (نزهة الملك) للشاعر نفسه، وقد دمَج ما جمعه مع مقال د. علوش، فكان المجموع واحداً وعشرين نصاً، ما بين نتفة ومقطعة وقصيدة.

لقد اعتمدت الصوّافُ على مقال مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق كثيراً، من غير أن تقف على مقال د. علوش، وإن أثبتته في مصادرها! - أو على

= وقد ضبّطت المحققة الصوّافُ - ص ١٣ و ١٤ - (علوش) بشدّة على اللّام، أربع مرّات، وهذا الضّبط يردُّ في أسماء أعلام الشّام، أمّا في العراق - وخاصّةً مدينة الحلة - فهو (علوش)، بتسكين اللّام، وفتح الواو.

(٥) «محمد ابن الخيمي سفير الفيحاء في مصر»، مجلة (الأستاذ)، ج ١٤، ١٩٦٦ - ١٩٦٧م، ص ١٠٧-١٣٤.

(٦) «استدراكات أدبية تاريخية»، مجلة (الأستاذ)، مج ١٥، ١٩٦٩م، ص ١٥ - ٤١.

(٧) أدباء حليون ١٢١-١٥٠.

(٨) «أبو طالب محمد بن علي بن الخيمي حياته وآثاره وشعره»، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٨٣، ج ٢، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص ٣٥٥-٣٧٦.

صِيغَتِهِ الْمُعَدَّلَةِ فِي كِتَابِهِ (أُدْبَاءُ حَلِيُون)، بَلْ ذَكَرَتْ فِي حَوَاشِي الْقِطْعَةِ الْعَيْنِيَّةِ رَقْمَ (١٨) رَوَايَاتٍ مَقَالٍ مَجْلَّةٍ مَجْمَعِ دِمَشْقٍ - الَّذِي تُسَمِّيهِ تَجْوُزًا (الديوان)<sup>(٩)</sup>، وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ حَقِيقَةً، وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا رَوَايَاتٌ «قِلَائِدُ الْجِمَانِ» الْمَطْبُوعِ<sup>(١٠)</sup>!

لَكِنَّهَا - فِيمَا يَخْصُ مَقَالَ مَجْلَّةِ الْمَجْمَعِ - وَقَعَتْ فِي أَوْهَامٍ، مِنْهَا:  
١ - قَالَتْ ص ١٤ إِنَّ هَلَالَ نَاجِي وَد. زَهِيرَ زَاهِدٍ حَقَّقَا دِيوَانَ أَبِي طَالِبٍ مَهْدَبِ الدِّينِ ابْنِ الْخِيَمِيِّ، وَصَدَرَ عَنِ مَرْكَزِ الْبَابُطِينَ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا حَقَّقَا دِيوَانَ شَهَابِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَنْعَمِ!، وَأُضِيفُ أَنَّ الدِّيَوَانَ أُصِيبَ بِتَحْقِيقِ آخَرَ - قَبْلَهُمَا - قَامَ بِهِ شَاكِرُ هَادِي حَسَنٍ عَمْرُو، فِي رِسَالَةٍ مَاجِسْتِيرٍ مِنْ جَامِعَةِ الْخَلِيلِ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٢ - جَاءَ فِي ص ١٨ بَيْتَانِ عَلَى قَافِيَةِ الْعَيْنِ، وَلَكِنَّهُمَا وَرَدَا عَلَى الصَّحِيفَةِ ٦٤ جُزْءًا مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ، وَالغَرِيبُ فِي الْأَمْرِ أَنَّ الْمُحَقِّقَةَ نَصَّتْ عَلَى وَجُودِ خَطَأَيْنِ فِي عَجْزِ الثَّانِي وَصَدَرَ الْأَوَّلِ، وَوَضَعْتَهُمَا فِي الْحَاشِيَّةِ، وَلَكِنَّهُمَا وَرَدَا مِنْ غَيْرِ تَصْحِيحٍ فِي الْمُقَدِّمَةِ، نَقْلًا عَنْ مَقَالِ أ. هَلَالَ، وَكَانَ الْأَوَّلَى بِهَا أَنْ تُثَبَّتَ الْبَيْتَيْنِ عَلَى الصَّحِّحَةِ بَعْدَ الْإِنْتِهَاءِ مِنْ تَحْقِيقِ الشَّعْرِ الْمَجْمُوعِ كَامِلًا، وَلَيْسَ قَبْلَ ذَلِكَ.

وَهَذِهِ الْمَلَا حِظَّةٌ تَدْخُلُ - أَيْضًا - فِي بَابِ مَنْهَجِ التَّأْلِيفِ وَالتَّحْقِيقِ.

٣ - جَاءَ فِي ص ٣٠ - نَقْلًا عَنْهُ - أَنَّ أ. هَلَالَ زَادَ سَبْعِينَ بَيْتًا نَقَلَهَا مِنْ كِتَابِ (قِلَائِدُ الْجِمَانِ) لِابْنِ الشَّعَّارِ.

(٩) دِيوَانُ ابْنِ الْخِيَمِيِّ ص ٣٠، ٤٧، ٦٤، ٦٥، ٦٧، ٧٨.

وَلَدِينَا مَلَا حِظَاتٍ أُخْرَى عَلَى ذَلِكَ الْمَقَالِ، أَوْرَدْنَاهَا فِي مَقْدَمَةِ تَحْقِيقِنَا (دِيوَانُ

مَهْدَبِ الدِّينِ ابْنِ الْخِيَمِيِّ) فِي بَابِلٍ، ص ٦٦-٧٩.

(١٠) دِيوَانُ ابْنِ الْخِيَمِيِّ ص ٦٤ / هَامِشُ (٢)، وَص ٦٥ / هَامِشُ (٤)، وَص ٦٧ / هَامِشُ

(٥)، ص ٦٨ / هَامِشُ (١) وَ (٣).

والصحيح: أنها ٦٨ بيتاً، من غير دراسة ولا شرح، وقد نسّخها من الجزء الثالث منه، ولكنه أخلّ بأربع قطع في (٢٦) بيتاً وردت في الجزء السادس من الكتاب نفسه، وهو مُفهرس!

ولكن يُحسب للمحققة أنها أشارت إلى ثلاثة أخطاء في المقال، منها خطأ في نسبة قطعتين ليستا له بل لابن الخيمي المصري (ت ٦٨٥هـ)<sup>(١١)</sup>، في ص ١٤-١٥، وخطأ ثالث تبّهت عليه في ص ١٩، الهامش (٣)، وبعض الروايات غير الصحيحة لعدد من الأبيات.

شيوخه:

أضيف إلى من ذكرتهم من شيوخه، ما يأتي:

أنه سمع من الأمير الأديب أبي المظفر أسامة بن منقذ الشيزري (ت ٥٨٤هـ)<sup>(١٢)</sup>، والتقى بابنه الأمير أبي الفوارس عضد الدين مرهف (ت ٦١٣هـ)<sup>(١٣)</sup>، وحدّث عنه<sup>(١٤)</sup>.

(١١) ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ٣/٣٢٤-٣٣٠، العبر ٥/٣٤٥، عيون التواريخ ٢١/٣٧٥، الوافي بالوفيات ٤/٥٠، فوات الوفيات ٣/٤١٣-٤٢٤، نهاية الأرب ٣١/١٣٥، تاريخ ابن الفرات ٨/٤٢، النجوم الزاهرة ٧/٣٦٩-٣٧٠، المقفى الكبير ٦/١٤٣، حسن المحاضرة ١/٥٦٩.

(١٢) وُلد في شيزر قرب حماة سنة ٤٨٨هـ، وسكن دمشق، وانتقل إلى مصر، وقاد عدة حملات على الصليبيين في فلسطين، وله مؤلفات، وديوان. ترجمته في: معجم الأدباء ٢/٥٧١-٥٩٤، وفيات الأعيان ٢/١٩٥-١٩٩، مسالك الأبصار ١٦/٢٣-٣٤، الوافي بالوفيات ٨/٣٧٨-٣٨٢، الأعلام ١/٢٩١.

(١٣) وُلد في شيزر. وكان مغرمًا بالكتب. ترجمته في: خريدة القصر (الشام) ١/٥٧١-٥٧٢، معجم الأدباء ٢/٥٩٣-٥٩٤، التكملة لوفيات النقلة ٢/٣٦٠، تاريخ الإسلام ١٣/٣٨٨، مسالك الأبصار ١٦/٣٩، الأعلام ٧/٢٠٧.

(١٤) المواعظ والاعتبار ٢/٤٤٩.

والتقى به أبو الغنائم مسلم بن محمّد الشّيزريّ (ت بعد ٦٢٢هـ)<sup>(١٥)</sup>،  
ونقل عنه خبراً<sup>(١٦)</sup>.

حقيقة ما أضافته:

في ختام مقدمتها ص ٣١ زعمت أنّها أضافت سبعين بيتاً على ما صنعه  
د. علوش وأ. هلال، ومنها القطع رقم ١٢ و ١٩ و ٢١ و ٢٤، ومجموعها  
ثلاثة عشر بيتاً، وهو أمرٌ غير صحيح، ولا دقيق على النحو الآتي:  
فالقطة (١٢) - وهي نتفة على قافية الراء - لم يُصرّح النويري في  
(نهاية الأرب) - الذي ضمّها - بنسبتها إلى صاحبنا، وهو ما سنذكره بعد  
قليل بتفصيل أكثر.

والقطة (١٩) - وهي نتفة على قافية العين - وردت في مقال أ. هلال  
بمجلة المجمع ص ٣٦٤، عن (فوات الوفيات) و (الوافي بالوفيات).  
والقطة (٢١) - في أربعة أبيات قافية - وردت في مقال أ. هلال  
بمجلة المجمع ص ٣٦٤، عن (بغية الوعاة).

أمّا القطة رقم (٢٤)، الواردة على ص ٧٤، وهي خمسة أبيات على  
قافية الميم، فقد وردت في مقال أ. هلال بمجلة المجمع ص ٣٦٤-٣٦٥،  
عن (نزهة الملك).

فيبقى لها (٥٧) بيتاً، وردت في ثلاثة مصادر فقط، هي «قلائد الجمان»  
لابن الشّعار، و «عقود الجمان» للزركشي، و «المقفى الكبير» للمقرزي.

التراجم:

- ص ٢٠، ورد من شيوخه: ابن حميدة، فعلقت ما نصّه:

(١٥) صاحب كتاب (جمهرة الإسلام ذات الشر والنظام). ترجمته في: وفيات الأعيان  
٢/ ٢٥٤-٥٢٥، الأعلام ٧/ ٢٢٣، معجم المؤلفين ١٢/ ٢٢٣.

(١٦) يُنظر: عجائب الأشعار ١٣٥ - ١٣٦.

«لم أقف على ترجمته، ولم يتعين لي من هو.

قال الأستاذ هلال ناجي في الديوان صفحة (٣٧٤): وحذفت من شيوخه ابن حميدة، وهو محمد بن علي بن أحمد أبو عبد الله الحلبي المعروف بابن حميدة المتوفى (٥٥٠هـ)، وهو نحوي بارع باللغة، إذ لا يمكن أن يأخذ عنه وعمره سنة واحدة، ولقوله: دخلتها سنة سبعين... انظر: الوافي بالوفيات ٤/١٥٣. انتهى.

أقول:

١- هو: يحيى بن حميدة (حميد) بن ظافر النحوي الحلبي<sup>(١٧)</sup> الشاعر والمؤرخ، المتوفى سنة ٦٢٧هـ.

٢- تبين لي أن رفصاً أ. هلال لابن حميدة يرجع إلى خلطه بلغوي آخر سبقه، وهو ابن حميدة النحوي الحلبي المتوفى سنة ٥٥٠هـ<sup>(١٨)</sup>، وعدم معرفته بالحلبي المعاصر له، وهذا الرأي ليس له بل قال به قبله - من غير أن يشير إليه - د. جواد علوش<sup>(١٩)</sup>، الذي أطال كثيراً في نفيه عنه.

وجاء في الصحيفة ٢٢ أن مُحمداً الدمياطي قد سمع منه، فترجمت في الهامش لمحمد بن عبد العزيز الدمشقي المقرئ (٦٢٠-٦٩٣هـ)، برجوعها إلى: تاريخ الإسلام ١٥/٧٧٦.

(١٧) من مُصنَّفاته (معادن الذهب في تاريخ حلب)، و(المجالس الأربعين في فضائل الأئمة الطاهرين)، و(التنبيه على محاسن التشبيه). ترجمته في: قلائد الجمان ٩/٢٢٤ - ٢٣١، لسان الميزان ٦/٢٦٣-٢٦٤، هدية العارفين ٢/٥٢٣، إيضاح المكنون ٢/٥٦٨، الأعلام ٨/١٤٤، معجم المؤلفين ١٣/١٩٥-١٩٦.

(١٨) ترجمته في: معجم الأدباء ٦/٢٥٧١، إنباه الرواة ٣/١٨٥، الوافي بالوفيات ٤/١٥٣، طبقات النحاة واللغويين ١٩١، بغية الوعاة ١/١٧٣.

(١٩) أدباء حلبيون ١٣٢.

قلتُ: هذا وَهْمٌ، فالدمياطيُّ المذكورُ هو: شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الشافعيِّ الدِّمياطيُّ (ت ٧٠٥هـ)<sup>(٢٠)</sup>، وقد سمعَ من ابنِ الخيميِّ بعضَ شعره، وأوردهُ في «معجم شيوخه»<sup>(٢١)</sup>.

مؤلفاته:

جاء في ص ٢٧: (كتاب الصيد)، الذي ذكره ابن العديم في كتاب بغية الطلب ١٥٥١/٤. وَعَلَّقْتُ «لعله كتاب نزهة الملوك».

قلتُ: كنتُ قد اطلعتُ على النَّصِّ الذي نقله ابنُ العديمِ من كتابِ (الصَّيْدِ)، فَرَأَيْتُ أَنَّهُ لا علاقة له بكتابه الآخر (نزهة الملك) - وليس الملوك - على الإطلاق.

أمَّا الكتاب رقم ٢١ (نزهة الملوك) فَذَكَرْتُ أَنَّهُ وَرَدَ بِاسْمِ «كتاب الكلاب» عند ابن العديم في (تاريخ حلب)، والصفدي في (الوافي)، والمقريزي في (المقفى)، وإسماعيل باشا في (هدية العارفين).

قلتُ:

- ١- صواب الاسم (نزهة المَلِكِ)، وقد تكرر الخطأ في الصفحة عينها، في السَّطر ١٠، وفي ص ٧٤، و٩٥.
- ٢- اسم كتاب ابن العديم (بغية الطلب)، وليس ما ذَكَرْتُ، ولم يرد فيه اسم (الكلاب) بتاتاً.
- ٣- يُضَافُ إِلَى الصَّفَدِيِّ والمقريزيِّ: ابن قاضي شهبة في كتابيه

(٢٠) حافظ للحديث. وُلِدَ بدمياط سنة ٦١٣هـ. من مُصَنَّفَاتِهِ «معجم» ضَمَّنَهُ أَسْمَاءُ شيوخه، وَهُمُ نَحْوُ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِئَةٍ، فِي أَرْبَعِ مَجْلَدَاتٍ. تَرَجَمْتَهُ فِي: فَوَاتِ الوفيات ٤٠٩/٢، النُّجُومُ الزَاهِرَةُ ٢١٢/٨، الدرر الكامنة ٣٠/٣، حسن المحاضرة ٣٥٧/١، ٤٢١، شذرات الذهب ٢٣-٢٤/٨، الأعلام ١٦٩/٤.

(٢١) معجم شيوخ الدمياطي ١/٥٠.أ.



(طبقات النحاة واللغويين) ٢٠٣، و(التاريخ الكبير) ٩٣/٥ أ، والسيوطي في (بغية الوعاة) ١٨٥، فضلاً عن (سُلم الوصول) ٣/١٩٨.

وذكرت - نقلاً عن أ. هلال - أن كتاب (شرح التحيات) صدر بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد في بيروت ١٩٨١.

قلت: حُقِّقَ الكتابُ على النَّحوِ الآتي:

أ- تحقيق د. صلاح الدين المنجد بعنوان (شرح لفظ التَّحِيَّات)، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨١م، في ضِمن كتاب (ثلاث رسائل في اللغة)، ص ٣٩-٤٥، النص ٤٧-٥٦، ورجع إلى ثلاث مخطوطات.

ب- تحقيق غادة سعد السعيد، مجلة (عالم المخطوطات والنوادر)، المجلد ١، العدد الأوَّل، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ٤٤-٦٠، باعتمادها على مخطوطتين، ولم تُشرْ إلى نَشْرَةِ المُنْجِد.

مع العلم أنَّ المنجد - رحمه الله - يحملُ الدكتوراه، فُتْسَبَقُ قبلَ اسمه كلمة «الدكتور» أو «د.» وليس «الأستاذ» فقط.

من العبارات غير الدقيقة:

- ص ٢٨/السطر ١٧: «وأضاف السيوطي في بغية الوعاة والمقريزي في علم الأدب والحساب».

والصحيح أن تكون: «والمقريزي في (المقفي الكبير)».

- ص ٢٩/السطر ٦: «قال اليميني عن المخطوط: قرئت على مصنفها، وعليها خطه».

والصواب: «المخطوطة».

وجاء على العكس في الصحيفة نفسها/السطر ١١: «وهو مخطوطٌ نفيسٌ مزيَّلٌ بخطِّ مؤلفها، محفوظٌ في المكتبة الظاهرية».

الصواب: «مؤلفه»، لأنَّ الكلمة تعودُ على «المخطوط» قبلها،  
و«محفوظ» بعدها.

### ثانياً: الديوانُ

احتلَّ الديوانُ المجموعُ على أساس الصَّنعة الصفحات ٣٥ إلى ٨١،  
وضمَّ (٣٠) قطعةً، ما بين نثفة وقصيدة، في (١٨٥) بيتاً.  
وفيما يلي نظرات نقدية عليه:

أ/ أبيات ليست للشاعر:

أثبتت المحققة من غير تمحيصٍ - متابعاً لمقال مجلة المجمع - أبياتاً  
ليست للشاعر، فيما يلي:

١ - لما توفِّي أبو عثمان الفقيه الشارعي بالقاهرة لقيني بعضُ الأشعرية  
فذكره بما يذكر الأشعرية الحنابلة، ونهاني عن الصلاة عليه، فإنِّي تلك الليلة  
نائم، إذ رأيتُ اثنين فأنشداني:

صَلَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ جَمْعاً      واغتنم الأجر قبل فوته  
مَنْ ذَا الَّذِي لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ      يقوله النَّاسُ بَعْدَ مَوْتِهِ  
فاستيقظتُ وكتبتهما، وصلَّيتُ فيه.

نقلًا عن «قلائد الجمان»، و «بغية الوعاة».

قلت: الواضح أنَّ البيتين ليسا له، بدليل قول ابن الخيمي: «رأيتُ اثنين  
فأنشداني»، ف(الإنشاد) ليس له، بل لهما، والخبرُ واردةٌ في (ذيل تاريخ  
بغداد) لابن النجَّار، ولم يضمَّه المطبوعُ منه، وأوردَه الصَّفديُّ أيضاً<sup>(٢٢)</sup>.

بل رأيتُ الخبرَ نفسه قد أوردَه الأدفوي<sup>(٢٣)</sup> نقلًا عن أبي عبد الله ابن

(٢٢) التذكرة الصَّلاحية ٤٨/١٤.

(٢٣) البدر السافر ١٢٩/٢ ب.

القَمَّاح<sup>(٢٤)</sup> (ت ٧٤١هـ)، وفيه: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ شَخْصاً فَأَنْشَدَنِي»، وَالْخَبْرُ وَارِدٌ فِي تَرْجَمَةِ شَهَابِ الدِّينِ ابْنِ الْخَيْمِيِّ الْمِصْرِيِّ أَيْضاً، وَابْنُ الْقَمَّاحِ هَذَا ذَكَرَ أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْهُ، وَقَدْ وُلِدَ بَعْدَ وَفَاةِ ابْنِ الْخَيْمِيِّ الْحَلِيِّ بِسَبْعِ سَنَوَاتٍ. مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ كِتَابَ (الْبَدْرِ السَّافِرِ) لِلْأَدْفُوِيِّ مِنْ مَصَادِرِهَا، لَكِنَّهَا لَمْ تَسْتَفِدْ مِنْهُ هُنَا.

٢- قال:

وَتَأْمُرْنِي الْعَدَّالُ بِالصَّبْرِ عَنكُمْ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْضَى عَنِ الْحَلُولِ بِالصَّبْرِ؟  
وَمِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ أَنَّ عَوَاذِلِي يَطِيلُونَ لَوْمِي فِي الْهَوَى، وَالْهَوَى غُدْرِي  
نَقْلًا عَنْ: نَهَايَةِ الْأَرْبِ ٢ / ٢٤٢، وفيه: «قال ابن الخيمي».

وَقَالَتْ فِي الْمَقْدَمَةِ ص ٣١ تَعْلِيلًا لِإِثْبَاتِهَا النَّتْفَةَ (الْبَيْتِينَ) لِمَهْذَبِ الدِّينِ، فِي حِينِ أَنَّ النُّوَيْرِيَّ لَمْ يُصَرِّحْ لِأَيِّهِمَا صِرَاحَةً: «بِمَا أَنَّ الْبَيْتِينَ لَمْ يَذْكَرَا فِي دِيْوَانِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَنْعَمِ، فَإِنِّي جَعَلْتُهُمَا لِمَهْذَبِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ».

أقول:

١/ على أيّ منهجٍ قام رأيُ المُحَقِّقَةِ هذا؟

٢/ نعم! لم يردا في ديوان شهاب الدين ابن الخيمي بتحقيق (هلال - زهير)، ولو نظرت في نهاية الديوان نفسه لرأت مستدركا على مخطوطته المعتمدة في التحقيق، وهذا لا يعني استحالة الاستدراك على الديوان عينه بعد صدوره، فقد استدركتُ بنفسِي قطعاً لم ترد فيه، مع ملاحظ نقدية

(٢٤) محمد بن أحمد بن إبراهيم بن حيدرة القرشي المصري. من فقهاء الشافعية. وُلِدَ سَنَةَ ٦٥٦هـ، وَنَابَ فِي الْحُكْمِ بِجَامِعِ الصَّالِحِ فِي الْقَاهِرَةِ، وَنُسِبَ إِلَى التَّسَاهُلِ فِي الْأَحْكَامِ. أَقْبَلَ عَلَى تَدْرِيسِ الْفِقْهِ إِلَى أَنْ مَاتَ. لَهُ كِتَابٌ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»، وَ«مَجَامِعُ» كَثِيرَةٌ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى فَوَائِدَ. تَرْجَمَتْهُ فِي: الدَّرَرِ الْكَامِنَةِ ٥ / ٢٨-٢٩، الْأَعْلَامُ ٥ / ٣٢٥.

تحقيقية، وبعد هذا مَنْ قال إنَّ الدواوينَ التي صَدَرَتْ لا استدراكَ عليها؟<sup>(٢٥)</sup>  
 ٣/ ثبتَ لنا أنَّ المؤرِّخين والمؤلِّفين إذا نَسَبُوا الشَّعْرَ إلى «ابن الخيمي»  
 فإنَّهم يذهبون إلى شهاب الدين محمد بن عبد المنعم المصري فقط،  
 ليميزوه عن شاعرنا مهذبِ الدِّين الحليِّ الذي يذكرونه بلقبه «المهذب»،  
 والأوَّل أكثر شهرةً وشعراً.

٤/ لم تكن الصَّوفاً أوَّلَ مَنْ نَسَبَ التتفةَ لمهذب الدين ابن الخيمي،  
 إذ سبقها إلى ذلك اليعقوبيُّ في: البابليات ١/ ٥٩، والخاقانيُّ في: شعراء  
 الحلة ٤/ ٣٨٥، عند ترجمتهما له.

٥/ من خلال معرفتنا بنفسِ هذه التتفة نرى أنَّها لابن الخيمي المصري،  
 وتُستدرك على ديوانه.

٣- قال في مدح نجم الدين توران شاه أيوب: رأيتُ في النوم شمسَ  
 الدولة توران شاه بن أيوب بعد موته، فمدحته بأبيات، وهو في القبر، فلَفَّ  
 كفته ورمى به إليَّ، وأنشدني:

لا تَسْتَقْلَنْ مَعْرُوفاً سَمَحْتُ بِهِ      مَيْتاً، فَأَمْسَيْتُ مِنْهُ عَارِيَ الْبَدَنِ  
 ولا تَظُنَّنْ جُودِي شَانَهُ بُخْلٌ      مِنْ بَعْدِ بَدَلِي مُلْكِ الشَّامِ وَالْيَمَنِ  
 إِنِّي خَرَجْتُ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَيْسَ مَعِي      مِنْ كُلِّ مَا مَلَكَتْ كَفِّي سِوَى كَفِّي

نقلاً عن «وفيات الأعيان» ١/ ٣٠٩، عقود الجمان ٢٩٨/ أ، الوافي  
 بالوفيات ١٠/ ٤٤٣.

قلتُ:

(٢٥) يُنظر مقالنا: (فوات الدواوين)، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٨٨، ج ٢ و ٣،  
 ٢٠١٥م، وما أثبتناه من استدراقات وملاحظ في كتابنا (في نقد التحقيق) الصادر في  
 بغداد ٢٠٠٢م، ودمشق ٢٠٠٦م.

١/ المقطعة لا توجد في: الوافي بالوفيات.  
 ٢/ المقطعة للملك المعظم توران شاه في: نزهة الأنام ١٦٠، وفيات الأعيان ١/ ٣٠٩، شفاء القلوب ٥٥، المحاضرات والمحاورات ٤٠٩، روض الأخيار ٤٢٠، شذرات الذهب ٦/ ٤٢١-٤٢٢.

٣/ الأخير فقط لمهذب الدين ابن الخيمي في: جنى الجنس ٣٤٦.  
 ٤/ أميل إلى أن القطعة برمتها للملك المعظم توران شاه، بدليل إجماع ستة مصنفين على عزوها إليه - باستثناء السيوطي الذي أورد بيتاً منها -، وقول ابن الخيمي عن الملك: «وأنشد»، ويؤاد على ذلك أن عبارة «بذلي ملك الشام واليمن» لا تصدر عن ابن الخيمي أصلاً، بل عن الملك، الغني المتعمم. وبهذا نسقط (٦) أبيات ليست للشاعر، ويكون المجموع النهائي لأبيات الديوان (١٧٩) بيتاً، ليس في جهدها سوى (٥٧) سبعة وخمسين بيتاً فقط من ثلاثة مصادر كما ذكرنا، وهي كمية قليلة لا تنهض بكتاب.

#### ب - التحريفات والقراءات المعدولة عن حقيقتها:

في الديوان عدد من الانحرافات في عشرة مواطن بعينها، هي:  
 ١ - ص ٤٧:

وتَفَشَّتْ تِلْكَ الْأَحَادِيثُ عَنِّي      عاد عندي بيض الأمانني رُبدا  
 فد(عني) أراها قلقة هنا، ولعل الصواب: «حتي» لتناسب المعنى الذي يتم في العجز، فيكون الصدر:

وَتَفَشَّتْ تِلْكَ الْأَحَادِيثُ حَتَّى

٢ - ص ٥١، القطعة (١١) ورد الأخير:

فَدَعَهُمْ وَجَاوَزَ غَابَ أَسَدٌ بَغَابَةً      فَأَسْلَمَ مِنْهُمْ جِيرَةً جِيرَةَ الْأَسَدِ  
 قلت: «غاب أسد» لا معنى لها هنا، إذ لا فائدة من ذكر «غاب»، وبعدها

«غابة»، وهي خلاف ما ورد في «عقود الجمان» للزرکشي، الذي انفرد بإيراد البيت، فالصحيح «غلب أسد»، والغلب غلاظ الرقاب، فيكون صواب الصدر:

فَدَعُهُمْ وَجَاوَزَ غُلْبَ أُسْدٍ بَغَابَةً

٣- القطعة (١٤)، ص ٥٥:

أَقْسَمْتُ بَعْلَةَ الرَّئِيسِ الْمُفْدَى حِينَ حَطَّتْ بِعَجْزِهَا عَنْهُ ظَهْرًا  
قلت: هذا العجز خلاف المصدر الوحيد، وهو «بدائع البدائه»، في  
الطبعة القديمة ١٣٢، والطبعة المحققة ٢٦٤، والصواب:

حِينَ حَطَّتْ لِعَجْزِهَا عَنْهُ صَدْرًا

٤- القطعة ١٦، وردت قراءات غير صحيحة فيها، منها هذا البيت ص ٦١:

وَمَنْ رَأَى أَلْتِي وَنَبْتِي سَبَّحَ مِنْ كَثْرَةِ الْقَمَاشِ

قلت: «ونبتي» تصحيف، وصحيحها: «ووبيتي».

٥- ثم جاء البيت:

وَكَسُوَّةُ الْأَهْلِ مِنْ وَسْوَاسٍ مُذْهَبَةُ الطَّرَازِ وَالْحَوَاشِي

ووردت تعليق في الحاشية يخص عبارة «من وسواس»، جاء فيه:

«كذا في الأصل، ولعلها (من سواس)، أو: (من وساس)».

قلت: جاء في المصدر نفسه: «من سواس»، وليس كما أثبت في المتن.

٦- ورد في الصحيفة نفسها:

وَعَادَ مَنْ كَانَ وَهُوَ يُثْنِي عَلَيْهِ بِالْأَمْسِ وَهُوَ وَاشٍ

قلت: «يثنى» غير صحيحة، والصواب كما في المخطوط: «مثن».

٧- ص ٦٨ ورد البيت:

سَمَا بِي أَوْسٌ فِي الْفَخَارِ وَحَاتِمٌ وَزَيْدُ الْقَنَا وَالْأَشْرَفَانِ وَرَافِعٌ

قلت:

أ/ جاء في الهامش بخصوص «الأشرفان» ما نصّه: «في قلائد الجمان: الأثرمان».

٢/ «الأشرفان» مُحَرَّفَةٌ، وصوابها «الأثرمان» في المصدر الأصلي (قلائد الجمان).

وقد وَضَحَ لي أَنَّ المحققة أوردت الكلمة المُحَرَّفَةَ عن مقال أ. هلال في مجلة المجمع ص ٣٦٤، ولم تذكر هذا.

٣/ أمرٌ آخر لم تُشِرْ إليه الصوّاف، ولا أ. كامل الجبوري مُحَقِّق «قلائد الجمان»، ولا أ. هلال في مقاله، وهو أن هذا البيت ليس للشاعر، بل مُضَمَّنٌ لأبي تمام، في: شرح ديوانه ٤/ ٥٨٥، ورواية الصدر: «في السماء»، وفيه بدت كلمة «الأثرمان» جليّةً، وجاء في تفسيرها: أنّهما رجلان من طيّع.

٨ - ص ٧٤:

أمنتُ الظما لَمَّا حللتُ ببابه وليس يخافُ الظمَّ مَنْ جاورَ السَّما  
قلتُ: كلمةُ القافية (السَّما) قلقَةٌ هنا، في المعنى، فضلاً عن أنّها من نوع المتدارك، أي ما فيه مُتحرِّكٌ بين ساكنين، فهي مُغايرة عن باقي قوافي المُقطَّعة المبيّنة على نمط المتواتر، أي ما اجتمع فيه حرفان بين ساكنين، وصوابها: (اليَمَّا)، ولم ترجع المحققة في التخريج إلى مخطوط (نزهة الملك) الذي ورد عندها باسم (نزهة الملوك) أيضاً خطأً، وهو قريبٌ منها بدمشق، بل اكتفت برجوعها إلى مقال مجلة المجمع الذي أورد القافية هنا غير صحيحةً أيضاً.

٩ - البيت بعده:

رعى لي عرفان الشام ولم يزل ملوك الوري يرعون من عرفوا قداما  
قلتُ: كذا ورد (يرعون)، وهو خطأً، والصحيح (يرعون).

١٠ - ص ٨٠:

لَوْ قَضَيْنَا حَقَّ الْمَوَدَّةِ كُنَّا نَحْبَنَّا بَعْدَ بُعْدِكُمْ قَدْ قَضَيْنَا  
والصحيح: «المودة» بالكسر، لأنها مضافٌ إليه.

ج - التخريج:

١ / زيادة التخريجات:

- القطعة (٢) يُضاف إلى التخريج: التاريخ الكبير ٩٣ / ٥ ب، أنوار  
الربيع ٧٨ / ٦ (نقلاً عن ابن خلكان).

- القطعة (٥) في: تذكرة شهاب الدين الحجازي ٤٧ ب.

- القطعة (٩) في: فتح المغلقات ١٨٧٩.

وعدا الأخير في: مختصر تاج المجامع والمعاجم ١٩٠، فوات

الوفيات ١٥٥ / ٣، التاريخ الكبير ٩٣ / ٥ أ.

- القطعة (١٧)، في: التاريخ الكبير ٩٣ / ٥ ب.

- القطعة (٢٠)، في: معجم شيوخ الدماطي ١ / ٥٠ أ، نزهة الأنام

١٥٩، التاريخ الكبير ٩٣ / ٥ ب.

- القطعة (٣٠)، وهي الأخيرة، في: التاريخ الكبير ٩٣ / ٥ ب، السفينة

(١٦١٩) ١٤٥ ب.

٢ / - ص ٥٧، القطعة (١٥)، في مدح صديقه جمال الدين ابن مطروح

(ت ٦٤٩هـ)، ومطلعها:

لِمَهْيَارِ مِصْرٍ سُجِّلَ الْفَضْلُ عِنْدَمَا وَأَبْطَلَتِ الدَّعْوَى لِمَهْيَارِ فَارِسٍ  
وَخَرَجَتْهَا عَلَى مَجَلَّةِ (الاستاذ) البغدادية ج ١٤، ص ١٢٦-١٢٧ (نقلاً

عن مقال أ. هلال في مجلة مجمع دمشق ٣١٦ / ٨٣).

وعلقتُ على «عندما»، بقولها: «كذا في المطبوع من مجلة مجمع اللغة

العربية بدمشق ٣١٦ / ٨٣، ولعلّ الصواب: الفضل عندنا».



كان المنهج العلمي يقتضي عدم الركون إلى مرجع حديث بوجود مصدر قديم<sup>(٢٦)</sup>، لذا كان عليها الرجوع إلى: ديوان ابن مطروح نفسه، وفيه القطعة كاملة ص ٧١، ورواية الصدر فيه: «أُسْجِلَ الْفَضْلُ عِنْدَنَا»، وهو الصحيح.

٣/ عدم الاهتمام بالمنسوب، فقد وَرَدَتِ القطعة (١٩) لمهذب الدين

ابن الخيمي:

جُنَيْتٌ فَعَوَّذَنِي بِكُتْبِكَ إِنَّ لِي شَيْطَانِينَ شَوْقٍ لَا تُفَارِقُ مَضْجَعِي  
 إِذَا اسْتَرَقْتُ أَسْرَارَ وَجَدِي تَمَرِّدًا بَعَثْتُ عَلَيْهَا فِي الدُّجَى شُهْبَ أَدْمَعِي  
 وقد خَرَّجَتْهَا عَلَى خَمْسَةِ مَصَادِرٍ فَقَطْ، فِي حِينٍ أَنَّهَا لَيْسَتْ خَالِصَةٌ لَهُ،  
 نتيجة عدم استقصائها مصادر التراث، وَمِنْ نَمَّ فَاتَهَا أَنَّهَا تُنْسَبُ لِغَيْرِهِ، وَهَذَا  
 تَفْصِيلٌ بِذَلِكَ:

أ/ له في: المرقصات والمطربات ٢٩٧، كنز الدرر ٧/ ٤٠٠، التاريخ الكبير ٥/ ٩٣ أ، المرج النضر والأرج العطر ١٠٥ ب، شعراء الحلة ٤/ ٣٨٤.  
 ب/ للشريف الغرناطي؛ محمد بن أحمد بن محمد (ت ٧٦٠هـ)، في: السحر والشعر ١١٢ - ١١٣، ولم تَرِدِ التتفة في ديوانه (جهد المقل).  
 ج/ من غير عزو في: فكاهات الأسمار ١٢٩، ولم يُشْرَ مُحَقِّقُهُ إِلَى نَسَبِهَا.  
 د/ من المُنَاسِبِ أَنْ تُسَبَقَ هَذِهِ التتفة بعبارة «كَتَبَ إِلَيَّ وَلَدِهِ»، الواردة في بعض المصادر.

ه/ رواية صدر الأوّل في: طبقات النحاة واللغويين: «فعوذلي».

وفي السحر والشعر: «فعوذيني».

وفي فكاهات الأسمار: «فعوذي».

(٢٦) وهو الرأى الذي قال به أ. هلال. يُنظر: المستدرك على صنّاع الدواوين ١/ ١٧٩،

ويُنظر: تحقيق النصوص الأدبية واللغوية ونقدها ٢٤٠.

- ورواية العجز في: المرقصات والمطربات، خزانة الأدب: «لا يفارقن».  
وسقطت (إذا) من صدر الثاني في: كنز الدرر.  
ورواية عجز الثاني في خزانة الأدب: «بعثت إليها».
- ٤/ عدم الدقة في إثبات أرقام الصفحات:  
ففي ص ٦٣، ورد أن القطعة الصّادئة في: طبقات النحاة ١٤٠، وعلى  
الدقة: ١٤٠-١٤١.
- وفي ص ٦٩، ورد أن القطعة (١٩) في: طبقات النحاة ١٣٩،  
والصحيح ٢٠٣.
- والقطعة التالية (٢٠) في المصدر نفسه ١٤٠، والصواب ٢٠٤.
- وفي ص ٧٥ أن القطعة (٢٥) في: تراجم طبقات النحاة ١٣٩،  
والصواب: طبقات النحاة ٢٠٣.
- والقطعة (٣٠) في المصدر عينه ١٤٠، والصحيح ٢٠٤.
- وفي ص ٤٢ الوافي بالوفيات ١١ / ٣٠٥، والصواب ٣٩٨.
- والقطعة (٩): تاريخ الإسلام ١٤ / ٤٢٥، وصواب رقم الصفحة ٤٢٤.
- ٥- ترتيب المصادر:
- لم تهتم المحققة بالترتيب الزمني للمؤلفين، لمعرفة السابق من  
اللاحق، فجاءت المصادر مبعثرة، على النحو الآتي:
- ص ٤٨ قَدِّمَتْ «فوات الوفيات» للصفدي (ت ٧٦٤هـ) على «تاريخ  
الإسلام» للذهبي (ت ٧٤٨هـ).
- ص ٥٤، في ترجمة ابن الساعاتي، قَدِّمَتْ «الوافي بالوفيات» على  
«وفيات الأعيان»، وهذا لا يصح، وفعلت الصواب في ص ٥٩.
- ص ٦٣ قَدِّمَتْ «طبقات النحاة واللغويين» لابن قاضي شهبة (ت

٨٥١هـ) على «الوافي بالوفيات».

- ص ٧٠ أَّخَرْتُ «عقود الجمان» للزرکشِي بعد «طبقات النحاة»، و«المقفي الكبير» للمقريزي (ت ٨٤٥هـ).

- ص ٦٩ ورد في التخریج: «طبقات النحاة»، «فوات الوفيات»، «عقود الجمان»، «الوافي بالوفيات».

- في ص ٨١ ورد هكذا: «فوات الوفيات»، «طبقات النحاة»، «الوافي بالوفيات»، «عقود الجمان».

والصحيح أن ترد المصادِر - في المَوْضَعَيْن - بهذا الترتيب الزماني:  
«الوافي بالوفيات»، «فوات الوفيات»، «عقود الجمان»، «طبقات النحاة».  
هـ/ ملاحظ أُخَر:

١- أطالت المحققة في إثبات ما لا علاقة له بالشاعر من النصوص الشعرية، ولم أنظر فيها لأنها خلاف المنهج، وكان الأولى الاكتفاء بالقطع الخاصة بالشاعر، والإحالة في الحاشية - أو المقدمة - على ما كان لغيره، فمن ذلك ما ورد في القطعة (١٤) على الصفحات ٥٤-٥٦، وهي في الأصل ثلاثة أبيات رائية للشاعر، كان يمكنها إيرادها فقط بدلاً من ذكر أشعار ابن الساعاتي، والجمال ابن التاج البغدادي، والأوحد الواسطي، وعلي بن ظافر، صاحب (بدائع البدائع) الذي نقلت النص منه.

والقطعة (١٦) وهي قصيدة شينية في الصفحات ٦٠-٦٢، وفي نهايتها وردت قصيدة قافية هي جواب الشيخ تاج الدين الكندي عليها، ثم قطعة ثرية!!

٢- ورد ص ٤٣: صفي الدين ابن القابض، فقالت في الهامش إن له

ذكراً في فوات الوفيات ٨٤ / ١.

قلت:

١ / نعم! ولكن ليس فيه ترجمة.

٢ / هو: صفى الدين أبو الفتح نصر الله بن علي بن القابض. كان وكيل الخزانة في عهد صلاح الدين الأيوبي، ونائبه بدمشق. كان كثير المعروف. تُوفِّي سنة ٥٨٧هـ. ترجمته في: المختار من ذيل الخريدة ١٥٦-١٥٧، الفتح القسي ٣٠١، الكامل في التاريخ ١٠/١٠٤، عيون الروضتين ٤/٢٩٢، مرآة الزمان ٨-١/٤١٣، الوافي بالوفيات ٢٧/٧.

٣- كثير من الأبيات لم تُضبط كلماتها بالشكل، والضبط هنا مهم كي نأمن اللبس، ومنها ما يُقرأ بأكثر من وجه، ولكن بدت الصفحات ٥٩-٦٢، الخاصة بالقطعة ١٦، مشكولة بالكامل خلاف نصوص الديوان على الإطلاق، منقولة من كتاب (عقود الجمان) للزركشي، ولعل أحد الفضلاء قام بتحقيقه أو بعضه، ورأينا ما في القطعة المذكورة من أوهام، وكنا قد انتهينا من تحقيق الكتاب، وجلونا خير جُلوة.

٤- مع العلم أن القطعة المذكورة هي في مخطوط «عقود الجمان»، ولكن الصوّاف لم تذكر ذلك صراحةً في نهايتها، ولا رقم الورقة التي وردت فيها، بل نقلت النص من المخطوط فقط.

قُلْتُ: هي في: عقود الجمان (الفتاح) ٢٩٨ أ- ٢٩٨ ب، (عارف حكمت) ٢٦٠ ب- ٢٦١ أ.

### ثالثاً: الفهارس:

وهي للأعلام، والشعر، والمصادر والمراجع، ويُلاحظ:

- ورد في فهرس الأعلام ص ٨٤:

ابن إسماعيل الحلبي: ٥٤.

قلت: لا وجود لشاعر بهذا الاسم، بل هو: راجح بن إسماعيل الحلبي،

وهو ما ورد صحيحاً ص ٨٧.

- ورد «السبكي» في بداية ص ٨٦، وقبله «ابن الساعاتي»، وبعده «ابن سناء الملك»، وهذا لا يجوز في الترتيب.

- ليس في الفهرس نظام الإحالة على اللقب الأشهر.

أما المصادر المطبوعة فكانت (٣٠) كتاباً فقط، ويلاحظ عليها:

- رجعت إلى طبعات غير مُحَقَّقة لعددٍ من المصادر:

(البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، مطبعة السعادة

١٣٢٨هـ، وكان عليها الاعتماد على النشرة التي حَقَّقَهَا صدقي محمد

جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

(بدائع البدائه) لعلي بن ظافر الأزدي (ت ٦١٣هـ)، الطبعة المصرية

١٢٧٨هـ، وكان الأولى الرجوع إلى النشرة التي حَقَّقَهَا محمد أبو الفضل

إبراهيم، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.

(خزانة الأدب) لابن حجة الحموي، اعتمدت على نشرة عصام شعيتو،

في بيروت، والأفضل النشرة التي حَقَّقَهَا د. كوكب دياب، وصدرت عن دار

الكتب العلمية في بيروت، ٢٠٠٥م.

- تاريخ الإسلام، تحقيق بشار معروف.

والصحيح الدقيق: د. بشار عواد معروف.

وكثير من المصادر لم ترد بياناتها البيلوغرافية كاملة؛ وخاصة سنة

الطبع، ومكانه.

- ذكرت من المصادر المخطوطة (نزهة الملوك)، وصواب اسم

المخطوط (نزهة المَلِك)، كما ذكرنا من قبل، ممَّا يقطع بعدم معرفتها به، بل

اعتمدت على مقال مجلة المجمع فقط!.

## أخطاء الطباعة:

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٧	٧	الوافي بالوفيات ٨٣ / ٤	الوافي بالوفيات ١٨٣ / ٤
٦٤	٨	السَّوَجِعُ	السَّوَجِعُ
٦٩	٩	الوافي بالوفيات ١٢٨ / ٤	الوافي بالوفيات ١٨٢ / ٤
٩٠	٨	أربعةٌ مِن شَكِّ	أربعةٌ مِن شَكِّ
٩٣	٩	أرناؤورط	الأرناؤوط
٩٣	١٦	عياض	غياض
٩٤	١٠	شتاير	شتاينر

## رابعاً: المستدرک:

فيما يلي مُستدرکٌ يضمُّ (١٣) بيتاً، ورَدَ في عملنا، جَمَعناه من مصادر مخطوطة ومطبوعة، ولم يرد في الديوان المطبوع بدمشق، وأثبتناه على النحو الآتي:

[١]

(الخفيف)

قال:

لا تَعِينِي بِزَفْرَةِ الْقَصَّابِ فَهِيَ خَيْرٌ مِنْ عَنَبِ الْآدَابِ  
 كانَ فَضْلِي على الْكِلَابِ، ومُدْصِرٌ تُ أَدِيأاً رَجَوْتُ فَضْلَ الْكِلَابِ  
 التخریح: تذكرة ابن العديم ٣٣٩.

[٢]

(مخلع البسيط)

قال:

١- يَا هَرَمِي مِصرَ أَيْ بَانَ بَنَّاكَمَا قَبَلْنَا وَشَادَا  
 ٢- إِنَّ تَمُوداً رَأوِكَ قَبَلِي كَرُوَيْتِي بَعْدَهُ وَعَادَا

التخريج: التاريخ الكبير ٩٣ / ٥ أ.

[٣]

وله: (مخلع البسيط)

١- وَقَوْمٌ نُوحٍ فَمَا اسْتَفَادُوا      وَضُوحٌ أَمْرٍ وَلَا رَشَادًا

٢- عَرَسَتْهَا فِي الْفُؤَادِ فِكْرًا      أَثْمَرَ فِي مُقْلَتِي سُهَادًا

٣- وَلَنْ تَزُولَا حَتَّى تُزِيلَا      مِنْ مَوْجِ وَجْهِ الثَّرَى الْعِبَادَا

التخريج: التاريخ الكبير ٩٣ / ٥ ب، ولم نجمع هذه القطعة مع سابقتها،

مع اعتقادنا أنهما من قطعة واحدة؛ لأن ابن قاضي شبهة فصل بينهما بـ«وله».

[٤]

قال: (الكامل)

١- قَالَتْ مَعَاشِرُ مِنْ نَحَاةِ بِلَادِنَا      إِذْ قُلْتُ: لِمَ صِرْتُمْ عَلَيَّ مَعَ الْعِدَا؟

٢- رُفِعَ الْجَمِيلُ، وَكَانَ مُبْتَدَأً بِهِ      أَوْ لَيْسَ قَدْ أَمْرُوا بِرَفْعِ الْمُبْتَدَا؟

التخريج: المختارات الفائقة ٣٢٠، نزهة الأنام ١٥٩.

[٥]

قال: (الوافر)

١- أَمُخْتَارَ الْفِرَاقِ لَهُ فَرِيقًا      لَقَدْ طَالَتْ بِعَوْدَتِكَ الْوُعُودُ

٢- بَعِيدٌ أَنْ يَعودَ سُرُورُ قَلْبِي      إِلَيَّ، وَأَنْتَ عَنِ عَيْنِي بَعِيدُ

التخريج: التاريخ الكبير ٩٣ / ٥ ب.

### المنسوب

[٦]

قال: (الطويل)

١- يَقُولُونَ: زُرْنَا وَأَفْضِ وَاجِبَ حَقِّنَا      وَقَدْ أَسْقَطْتَ حَالِي حُقُوقَهُمْ عَنِّي

٢- إِذَا أَبْصَرُوا حَالِي <sup>(٢٧)</sup> وَلَمْ يَأْنُفُوا لَهَا وَلَمْ يَأْنُفُوا مِنْهَا أَنْفَتْ لَهُمْ مِنِّي

التخريج: له في: السحر والشعر ١١٤.

\* لجحظة البرمكي في: ديوانه ١٧٨.

\* لأبي العباس أحمد بن محمد البدجاني البصري، في: تاريخ مدينة

دمشق ٤٨٨/٥.

\* لمجنون رآه أبو بكر الشبلي (ت ٣٣٤هـ) في: المنتظم ٣٣/١٤، وفيات

الأعيان ٢/٢٧٦، مرآة الجنان ٢/٢٣٩، البداية والنهاية ١٥/١٥٤، ١٨٦.

## المصادر والمراجع

### المخطوطة:

- البدر السافر في أنس المسافر: جعفر بن ثعلب بن جعفر بن عليّ

الأدفي (ت ٧٤٩هـ)، مكتبة الفاتح باستانبول، رقم ٤٢٠١.

- التاريخ الكبير: تقي الدين ابن قاضي شهبة الأسيدي الشافعي (ت

٨٥١هـ)، مكتبة فيض الله أفندي بتركيا، رقم ٤٤٠٣.

- تذكرة شهاب الدين الحجازي: أحمد بن محمد المعروف بالشهاب

الحجازي (ت ٨٧٥هـ)، مكتبة لايبزك، رقم ٢٤٠.

- التذكرة الصلاحية: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفي (ت

٧٦٤هـ)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رقم ٣٨٦١.

- السفيينة: شهاب الدين أحمد بن محمد بن مبارك شاه المصري (ت

٨٦٢هـ)، مكتبة فيض الله باستانبول، رقم ١٦١٩.

(٢٧) البداية والنهاية: «إِذَا هُمْ رَأَوْا حَالِي».



- سفينة نفيسة: حفيد نجم الدين أبي المكارم محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري (ت ١٠٦١هـ)، مكتبة جامعة لايبزك، رقم ٦٨٤.
  - عقود الجمان؛ ذيل وفيات الأعيان: محمد بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، مكتبة الفاتح بإستانبول، رقم ٤٤٣٤، ومكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، رقم الحفظ ٣٩٠٠، الرقم العام ١٥٤/٩٠٠.
  - عقود الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان: كمال الدين المبارك بن الشعار الموصلي (ت ٦٥٤هـ)، المكتبة السليمانية بإستانبول، برقم ٢٣٢٤ و ٢٣٢٨.
  - المرج النضر والأرج العطر: الشريف صلاح الدين محمد بن أبي بكر بن عليّ الأسيوطي (ت ٨٥٩هـ)، الدار العراقية للمخطوطات، رقم ٦٢٠٧.
  - معجم شيوخ الدميّاطي: شرف الدين الدميّاطي (ت ٧٠٥هـ)، دار الكتب الوطنية في تونس، رقم ١٢٩١٠.
- المطبوعة:**
- أدباء حليّون: جواد أحمد علوش، مطبعة عقيقي، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٧٨م.
  - الأعلام: خير الدين الزركليّ (ت ١٣٧٦هـ)، دار العلم للملايين، ط ٤، بيروت، ١٩٧٩م.
  - إنباه الرواة على أنباه النحاة: عليّ بن يوسف القفطيّ (ت ٦٤٦هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٥٥م.
  - أنوار الربيع في أنواع البديع: عليّ بن أحمد ابن معصوم المدنيّ (ت ١١٢٠هـ)، تحقيق شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٨م-١٩٦٩م.

- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: إسماعيل باشا البابانيّ البغدادي (ت ١٣٣٩هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- البابلّيات: الشيخ محمّد عليّ اليعقوبيّ (ت ١٣٨٥هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٤م.
- بدائع البَدَائِهِ: عليّ بن ظافر الأزدي (ت ٦١٣هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الإنجلو المِصريّة، القاهرة، ١٩٧٠م.
- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- بغية الطلب في تاريخ حلب: كمال الدين عُمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، المعروف ابن العديم (ت ٦٦٠هـ)، تحقيق سهيل زكار، دمشق، ١٩٨٨م.
- بغية الوعاة: جلال الدين السيوطيّ (ت ٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ (ت ٧٤٨هـ)، حَقَّقَهُ وضبطَ نصّه وعلّقَ عليه د. بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- تاريخ الحلة: الشيخ يوسف كركوش (ت ١٤١٠هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.
- تاريخ مدينة دمشق: عليّ بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

- تحقيق التُّصُوص الأَدَبِيَّة واللُّغَوِيَّة ونقدها في العِرَاق: د. عباس هاني الجراح، دار صفاء، عمَّان، ٢٠١١م.
- تذكرة ابن العديم: كمال الدين ابن أبي جرادة (ت ٦٦٠هـ)، عُنِيَّ بتحقيقه إبراهيم صالح، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠١٠م.
- التكملة لوفيات النُّقَلَة: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦هـ)، حَقَّقَهُ وعلَّقَ عليه د. بشَّار عوَّاد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- جنى الجناس: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق ودراسة وشرح د. محمد رزق الخفاجي، الدار الفنية، القاهرة، ١٩٨٦م.
- حُسْنُ المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦٧-١٩٦٨م.
- خزانة الأدب وغاية الأرب: أبو بكر بن علي بن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ)، تحقيق د. كوكب دياب، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥م.
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، حيدر آباد، ١٩٤٥م.
- ديوان ابن الخيمي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق هلال ناجي ود. زهير زاهد، مركز البابطين لتحقيق المخطوطات الشعرية، الكويت، ٢٠٠٨م.
- ديوان ابن مطروح، تحقيق د. حسين نصَّار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.
- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزَّام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م.

- ديوان جحظة البرمكي، تحقيق جان توما، مراجعة سعدي ضناوي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦ م.
- ديوان جهد المقل: الشريف الغرناطي، صنعة د. أيمن ميدان، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠١١ م.
- ذيل تاريخ بغداد: محب الدين محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن المعروف بابن النجار البغداديّ (ت ٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ذيل مرآة الزمان: موسى بن محمد اليونينيّ البعلبكيّ (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق د. عباس هاني الجراخ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣ م.
- رسالة الغفران: أبو العلاء المعريّ (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة.
- روضُ الأختيار المنتخب من ربيع الأبرار: محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفيّ، ابن الخطيب قاسم (ت ٩٤٠هـ)، تحقيق محمد فخوريّ، دار القلم العربي، حلب، ١٤٢٣هـ.
- السّحرُ والشّعْرُ: لسان الدين بن الخطيب السلماييّ (ت ٧٧٦هـ)، تحقيق ودراسة د. محمد كمال شبانة وإبراهيم محمد حسن الجمل، دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٩٩ م.
- سلّم الوصول إلى طبقات الفحول: مصطفى بن عبد الله الشهير بكاتب جلبي وبحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، تحقيق محمد عبد القادر الأرنؤوط، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلاميّة، استانبول، ٢٠١٠ م.

- سِيرُ أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، أشرف على تحقيقه وخرَّج أحاديثه شعيب الأرنؤوط و حُسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- شذراتُ الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحَيِّ بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- شرحُ لفظ التحيَّات: ابن الخيمي (ت ٦٤٢هـ)، ضمن كتاب (ثلاث رسائل في اللغة)، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨١م.
- شعراءُ الحلة أو البابليات: عليّ الخاقاني (ت ١٣٩٩هـ)، دار البيان، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٠هـ / ١٩٥٢م.
- شفاءُ القلوب في مناقب بني أيوب: أحمد بن إبراهيم الحنبلي (ت ٨٧٦هـ)، تحقيق ناظم رشيد، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨م.
- صلة التكملة لوفيات النقلة: أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسيني (ت ٦٩٥هـ)، حقَّقه وضبط نصُّه وعلَّق عليه د. بشَّار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- طبقات أعلام الشيعة (الأنوار الساطعة في المئة السابعة): الشيخ أغا بزرگ المنزوي الطهراني (ت ١٣٨٩هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن عليّ بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٧١هـ)، تحقيق د. محمود محمد الطناحي، و د. عبد الفتاح محمَّد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ.
- طبقاتُ النحاة واللغويين (المحمدون): تقيّ الدين ابن قاضي شُهبة

- الأسدي الشافعي (ت ٨٥١هـ)، تحقيق د. محسن عيَّاض، مطبعة  
النعمان، النجف الأشرف، ١٩٧٤م.
- العبر في خبر من غير: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت  
٧٤٨هـ)، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٦هـ.
- عجائب الأشعار وغرائب الأخبار: مسلم بن محمود الشيزري (ت بعد  
٦٢٢هـ)، دراسة وتحقيق إسماعيل بن عمارة عقيب العقلاوي، الجامعة  
الإسلامية العالمية، إسلام آباد، ٢٠٠٧-٢٠٠٨م.
- عيون التواريخ: محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق د. فيصل  
السامر ونبيلة عبد المنعم داود، بغداد، ١٩٨٤م.
- عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية: عبد الرحمن بن  
إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ)، تحقيق  
إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- الفتح القسي في الفتح القدسي: عماد الدين محمد بن محمد بن حامد  
الکاتب الأصبهاني (ت ٥٩٧هـ)، دار المنار، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- فتح المغلقات لأبيات السبع المغلقات: عبد القادر بن أحمد الفاكهي  
(ت ٩٨٢هـ)، تحقيق ودراسة د. جابر بن بشير المحمدي، الجامعة  
الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.
- فقهاء الفيحاء أو تطوُّر الحركة الفكرية في الحلة: السيد هادي كمال  
الدين (ت ١٣٩٦هـ)، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٢م.
- فُكاهاتُ الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار: علي بن عبد الرحمن بن هذيل  
الفزاري، تحقيق وتقديم وتعليق د. عبد الله الحمادي، الكويت، ٢٠٠٤م.

- فَوَاتُ الوفيات والذيل عليها: محمّد بن شاکر الکتبي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.
- قلائدُ الجمال في فرائد شعراء هذا الزمان: كمال الدين المبارك بن الشعار الموصليّ (ت ٦٥٤هـ)، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الکتب العلمیة، بيروت، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- الكامل في التاريخ: عليّ بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري، المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الکتب العربي، بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- كنز الدرر وجامع الغرر (الدرّ المطلوب في أخبار ملوک بني أيوب): أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداريّ (ت ٧٣٦هـ)، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٣٩١هـ / ١٩٧٢م.
- لسان الميزان: أحمد بن عليّ بن محمد المعروف بابن حجر العسقلانيّ (ت ٨٥٢هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م.
- المحاضرات والمحاورات: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق د. يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.
- المختارات الفائقة من الأشعار الرائقة: عبد العظيم بن عبد الواحد بن أبي الإصبع العدوانيّ (ت ٦٥٤هـ)، تحقيق أحمد بن عبد العزيز الرُّبعيّ، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.
- المختار من تاريخ ابن الجزري، اختيار شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق خضير عبّاس المنشداويّ، دار الکتب العربيّ، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- المختار من ذيل الخريدة وسيل الجريدة: عماد الدين محمّد بن محمّد

- الأصبهانيّ (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق وتعليق محمد عايش، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.
- مختصر تاج المجمع والمعاجم: إسماعيل بن حامد القُوصيّ (ت ٦٥٣هـ)، عُنِي بِتَرْمِيمِهِ وَتَحْقِيقِهِ إِبْرَاهِيمُ صَالِحٌ، مجمع اللغة العربيّة بدمشق، ٢٠١٢م.
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان: يوسف بن قزاوغيّ سبط ابن الجوزيّ (ت ٦٥٤هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٣٧١هـ.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان: عبد الله بن أسعد اليافعيّ (ت ٧٦٨هـ)، دائرة المعارف الإسلامية، حيدر آباد، الهند، ١٣٣٨هـ.
- المستدرک على صُنَاعِ الدواوين: د. نوري حمودي القيسي وهلال ناجي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٨م.
- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، مطبعة الترقّي، دمشق، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م.
- المُقَفِّي الكبير: تقّي الدين أحمد بن عليّ المقرئ (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا وأخيه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: أحمد بن عليّ بن عبد القادر المقرئ (ت ٨٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.
- موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين: حميد المطبعي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٦م.



- النُّجُومُ الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٦م.
- نزهة الأنام في تاريخ الإسلام: صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيذر العلانيّ الملقَّب بابن دقماق (ت ٨٠٩هـ)، دراسة وتحقيق د. سمير طباره، المكتبة العصريّة، بيروت، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- نزهة المَلِك في وصفِ الكلب والمكلبين: مهذب الدين محمد بن عليّ ابن الخيمي (ت ٦٤٢هـ)، دراسة وتحقيق د. عباس هاني الجراخ، دار التراث، النجف الأشرف، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النويري (ت ٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ.
- هدية العارفين؛ أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- الوافي بالوفيات: خليل بن أبيك الصفديّ (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق مجموعة من الأساتذة المستشرقين والعرب، جمعية المستشرقين الألمانية، فرانز شتاينر، إسطنبول وبيروت.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أحمد بن محمد ابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨م.



# المقالات والآراء



## وقفة لغوية مع «سورة الناس»

أ.د. مازن المبارك(\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ  
الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ  
وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾

لقد تكررت كلمة (الناس) في هذه السورة القصيرة التي لا تتجاوز السطرين خمس مرات.

١- هل كلمة (الناس) مكررة بمعنى واحد، أو دلالة واحدة في المرات الخمس؟

٢- لماذا لم يعطف بحرف العطف كلٌّ من ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ و﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ على ما قبله؟

٣- لماذا كرر الاسم الظاهر، ولم يُنب عنه ضميره، ولم يُقل: (ربّ الناس ومَلِكهم وإِلَهُهم)؟

هذه الأسئلة هي التي دعنتني إلى التأمل في هذه السورة، ومحاولة الوقوف على ما فيها من ظواهر لغوية تعبيرية تلفت النظر، وقد وصلت -

(\*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

بحمد الله وفضله - بعد التفكير في أسلوب التعبير في هذه السورة إلى ما يأتي بيانه:

يمرّ الإنسان في حياته بثلاث مراحل يتميّز بعضها عن بعض بكثير من الخصائص والصفات.

أما المرحلة الأولى، فهي مرحلة الخلق الأولى، التي يكون الإنسان فيها نطفةً فعَلَقَةٌ فمُضْغَةٌ فعظاماً - ثم تُكسى باللحم، ويُنفخ فيه الروح، فيصبح جنيناً ثم وليداً رضيعاً، ثم طفلاً ينمو حتى يقف على عتبة الشباب في مرحلة البلوغ والمراهقة.

وأما المرحلة الثانية، فمرحلة المراهقة والفتوة والشباب، وهي مرحلة يتم فيها اكتمال جسمه، ويتطلّع هو فيها إلى الرجولية التي تصبح هدفاً يسعى إليه وإلى الظهور بمظهرها، ويروح يقلدها بكثير من مظاهرها في سلوكه وتصرفاته، إنها مرحلة تكتمل فيها القوة ومظاهرها، والعظمة وما يحيط بها... لذلك يتّجه في هذه المرحلة إلى أن يحقق القوة في الانتساب إلى فرق الكشفيّة والفتوة والأندية الرياضية، ويعشق البطولة ومن يمثلها من الرجال والأبطال والرياضيين، والزعماء والقادة والحكام والملوك، إنها المرحلة التي تغلب على صاحبها فيها العناية بالجسم أكثر من العناية بالعقل والفكر، فإذا بلغ المرحلة الثالثة، أصبح رجلاً، شبع من الشباب وفورته، وغلب النزعة العقلية وتطلّع إلى الحياة بجميع جوانبها وحاجاتها الفكرية والنفسية والروحية، وما تقتضيه. إنها المرحلة التي يبلغ فيها تمامه، وتجتمع فيها قواه الجسمية والعقلية.

وهكذا تتلخّص المراحل الثلاث، بأن الأولى تكون منذ الخلق إلى الولادة حتى بلوغ الحُلُم. فإذا بلغ الحلم تجاوز الطفولة ودخل مرحلة

الشباب التي تستمر ويبدأ يشتدّ عوده، حتى يبلغ أشده ويكتمل جسمًا وعقلًا، فيصبح كهلاً في نحو الأربعين من عمره، إنساناً ناضجاً مكتمل الرجولة. وقد صوّر القرآن تلك المراحل الثلاث، وأشار إليها أو عبّر عنها، فقال تعالى عن المرحلة الأولى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤].

وأشار إلى انتهاء المرحلة الأولى، مرحلة الطفولة، فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]. والطفل يبقى موصوفاً باليتيم حتى يبلغ الحلم، وبلوغ الحلم يعني انتهاء عهد الطفولة. روى الزبيدي في التاج عن الأزهري قال: «بلغ أشده في قصة يوسف، معناه الإدراك والبلوغ، وكذلك هو في مال اليتيم» ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ يعني أن يُؤنَسَ منه الرُّشد بعد البلوغ». واليتم في اللغة الانفراد، واليتيم من البشر من فقد أباه، وهو دون البلوغ، فإذا بلغ لم يعد يوصف باليتم. قال الليث: هو يتيم ما لم يبلغ الحلم، فإذا بلغ زال عنه اسم اليتيم<sup>(١)</sup>.

وكذلك يبدو تحديد مرحلة الطفولة واضحاً في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالَ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ [النور: ٥٩]. أي إن بلوغ الحلم يخرج الإنسان من مرحلة الطفولة إلى مرحلة جديدة. وقال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنَقُرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ

(١) تاج العروس (يتم).

طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلُّغُوا أَشَدَّكُمْ ﴿[الحج: ٥]. ورتب المراحل الثلاث في آية أخرى فقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلُّغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شِيُوخًا﴾ [غافر: ٦٧]. وبلوغ الأشد، قيل: مبلغ الرجال الحنكة والمعرفة، وقيل هو الإدراك والبلوغ، أو أن يؤنس منه الرشد. ومنتهاه أن يبلغ صاحبه الأربعين<sup>(٢)</sup>.

وتبياناً لبلوغ الأشد وتوضيحاً لمرحلته قال: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وجاءت في تاج العروس أقوال في بلوغ الأشد منها: «أما في قصة موسى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ﴾ [القصص: ١٤] فإنه قرن الأشد بالاستواء، وهو أن يجتمع أمره وقوته ويكتهل وينتهي شبابه» وجاء «وأما قوله في الأحقاف: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ فهو أقصى نهاية بلوغ الأشد. وعند تمامها بعث محمد ﷺ، وقد اجتمعت حنكته وتمام عقله»<sup>(٣)</sup>.

وأوضح من ذلك ما تشير إليه آية الأحقاف من التفات من بلغ مبلغ الرجال المكتملين في المرحلة الثالثة إلى الدعاء، وإلى شكر النعمة، وإلى الاستعانة على القيام بالعمل الصالح، وطلب صلاح الذرية، والتوبة من شوائب ما مضى من العمر... أي من حياة الشبان ورغباتهم إلى حياة الرجال وضراعتهم إلى الله سبحانه شاكرين مستعينين تائبين.

والناس هم البشر، وهي كلمة شاملة للأطفال، وللفتيان والشبان، وللرجال والشيوخ، ولكل مرحلة من مراحل العمر، من أولها إلى نهايتها.

(٢) تاج العروس: (شدد).

(٣) تاج العروس: (شدد).



وقد رأينا أن الإنسان في مرحلته الأولى يحتاج إلى رعاية وحفظٍ وصونٍ وتغذيةٍ وتنميةٍ وتربيةٍ، وذلك منذ كونه علقَةً في قرارٍ مكين، وفي الظلمات الثلاث، وفي سنّ الرّضاعة... إنه في تلك المرحلة في أشدّ الحاجة إلى المرَبّي القادر على العناية، وإلى القِيم الذي يرعاه جنيناً ورضيعاً، ويُمّدّه وهو طفل بكل أسباب الحياة ونمائها، وذلك هو ما يقوم به (الرّب) المرَبّي، يقال: ربّ الشّيء، وربّاه، أي: أصلحه، وقام على أمره، ونشأه، وغذاه، ورعاه، وعلمه، والرّب: مالك الشّيء، وسيّده، ومرَبّيه، ومُتمّمه، والقِيم عليه، والمدبّر لأمره وشؤونه، والمُنعم عليه<sup>(٤)</sup>. وإذا كان ذلك كلّ من عمل (الرّب) وكان (الرّب) هو الذي ينشئ ويغذي ويُنمي ويُمّد مربوبه بكلّ ما تحتاج إليه حياته واستمراره، فإنّ أشدّ المخلوقات حاجةً إليه هم الأطفال منذ يكون أحدهم علقة إلى أن يتجاوز مرحلة الطفولة، وأولئك هم (الناس) الذي يحتاجون إلى (رّب الناس).

ولمّا كان عمل الرّب هو ما ذكرنا من تربيةٍ وتنميةٍ مستمرةٍ وإمدادٍ بكلّ وسائل الحياة، وضمان استمرارها واستمرار المرَبوب أو المرَبّي في عمله، جاء ما يناسبه من مضاف إليه في قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفتاحه: ٢]، ولم يقل: مَلِك العالمين، ولا غيرها؛ لأنّ العالمين جمع عالم - بفتح اللام - وهو كلّ ما سوى الله. أي ليس في الوجود إلا خالق ومخلوق،

(٤) في التاج (رب): أن الرّب يطلق في اللغة على المالك، والسيّد، والمدبّر والمرَبّي، والمتّمّم. وعند اللحياني: ربّ المعروف والصنعة والتّعمة يرَبُّها ربّاً ورباباً وربابة: نماها وزادها وأتمّها وأصلحها.

وقال ابن الأنباري: الرّب ينقسم على ثلاثة أقسام: يكون الرّب المالك، ويكون الرّب السيّد المطاع، ويكون الرّب المصلح. وربّ الصبيّ يرَبُّه ربّاً، وربّاه أي: أحسن القيام عليه، ووليه حتى أدرك، أي حتى فارق الطفوليّة، كان ابنه أو لم يكن.

والخالق واحد أحد هو الله، والمخلوق كل ما سواه من إنسان وحيوان ونبات وجماد. وكل هذه الكائنات المخلوقة في حاجة إلى (رب) يقوم على تربيتها وإمدادها بكل ما يجعل حياتها دائمة، وعملها في الحياة مستمرًا. فالأرض ودورانها، والليل والنهار وتعاقبهما، والنجوم والكواكب والمجرات وحركاتها، والنبات ونماؤه، والمياه وتوزعها... وكل ما في الكون يحتاج إلى قيم يقوم عليه ويرعاه رعاية مستمرة كافلة وشاملة، ولا يقوم بذلك إلا (الرب) فكان هو الاسم الملائم لإضافة (العالمين) إليه.

وأما الفتیان والشبان، محبو القوة والسيطرة والعظمة، فهم الناس الذين يحتاجون إلى مالكٍ قويٍّ قادر على التصرف، ملكٍ مستوثق مما يملك حاكمٍ عليه، لا يخرج شيءٌ عن ملكه، ولا يشاركه أحد فيما يملك. إن كلمة (ملك) حين ترد في القرآن أو تُذكر فيه، تتصاغر أمامها مرادفاتها أينما ذكرت في غير القرآن، وأينما وردت وصفًا لأحد في الدنيا، فهو سبحانه - كما وصف نفسه - ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [طه: ١١٤]. وهو: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣] وهو ﴿الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] وهو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] هو «ملك الناس، كل الناس، وله ملك السموات والأرض، وهو الذي ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] بل ﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [المؤمنون: ٨٨]، وكل ملك زائل إلا ملكه، ﴿لَمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] وقد بدأ القرآن بـ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] في فاتحته، وانتهى بـ ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾. في آخر سورة، وإلى هذه القوة والقدرة يتطلع الناس الذين هم الفتیان والشبان وعشاق القوة والسطوة، وإنهم (الناس) الذين يحتاجون إلى من تتمثل فيه كل الصفات، وهو ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾، بل هو سبحانه ﴿مَلِكِ

﴿الْمَلِكُ﴾ [آل عمران: ٢٦]. وفي اللغة المُلْكُ كلُّ ما يُملك، والإنسان يميل بفطرته إلى الملك والتملُّك حتى يصبح ذلك عادة متأصلة عنده، يخاصم ويقا تل من أجله، وتقوم الحروب للحصول على الملك أو للمحافظة عليه، لذلك يأتي كلام الله تعالى بعد أن يقول للناس إنه «ربُّهم» الذي ربَّاهم، وقام على رعايتهم وإنشائهم حتى وصلوا إلى وعي الملك وحب التملُّك، ليقول لهم إن المُلْك له! وإنه المَلِكُ الحقّ، وإنه يملك كلَّ شيء، ويده ملكوت كلِّ شيء، وإنه هو الذي يوزّع مرتبة الملوكيّة على من يشاء من عباده، وينزعها عمّن يشاء، فهو سبحانه ربّ الأرباب، وملك الملوك.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءٍ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءٍ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]. فلا تشغل نفسك أيها الإنسان بطلب المُلْك، فالملك بيده يعطيه من يشاء من عباده، وينزعه منه متى يشاء، هو سبحانه المعطي وهو المانع، وهو المعزُّ وهو المُذلّ. فإذا انقضت سنوات الإعجاب بالقوّة وبالملك وما يُمثّله، حمل الإنسان عمره إلى مرحلة جديدة تستولي فيها على النفس سمات الحكمة والتفكير، فيروح يسأل عن النهاية والمآب، وعن الكون والحياة، إنه الآن في مرحلة الرجولة والاكتمال، ومرحلة اشتغال العقل بالسؤال عن الحياة والنهاية والمآل، إنه في شوق إلى ما يملأ القلب راحةً وأماناً وأماناً واطمئناناً، إنه بلغ المرحلة التي يحتاج فيها إلى قوّة يركن إليها، ويطمئن بذكرها قلبه، إنه في حاجة إلى إله فردٍ أحدٍ صمد، يؤمن به، ويُسلم له، ويتوكّل عليه. إنه الشوق الفكري والقلبي والروحي، المتطلّع إلى الكون وما فيه، والمتفكّر فيمن أبداع وأوجد، والسائل عن الموت وما بعده، وكانت آيات الكتاب العزيز تعلن مُعلِمةً أن لهذا الكون موجدًا، وأن له نظاماً في ليله ونهاره،

وشمسه وقمره، وضوئه وظلمته، وأن كلَّ شيءٍ بحساب، وكل شيءٍ بقدرٍ وبوزن، وأنه لا تضبطه مصادفة، ولا يمكن أن يحكمه اثنان ولا أكثر، بل لا بدّ من خالقٍ واحدٍ فردٍ صمدٍ لا صاحبة له ولا ولد، ولا شريك له ولا مثل. إنهم في هذه المرحلة يحتاجون إلى (إله) يأنسون به، ويلجؤون إليه، ومن إلهٍ يكون لهم إلا الله؟ إنه ﴿إِلَهَ النَّاسِ﴾.

وهكذا قامت الصلة بين المضاف والمضاف إليه في «ربّ الناس» و«ملك الناس» و«إله الناس» مقام الدلالة على طبقات الناس وشرائحهم في أطوار حياتهم المتعاقبة من طفولةٍ إلى شبابٍ إلى رجولة وكهولة، وهي أطوار كأطوار الخلق، أشار إليها ربنا سبحانه بقوله: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [١٣ - ١٤]، إنها أطوار شبيهة بأطوار الخلق الأول ذي الظلمات الثلاث. ونلاحظ أنه خصّ كلّ طور بما يحتاج إليه احتياجاً خاصاً من «ربّ» أو «ملك» أو «إله»، وجعل ترتيب هذه في الذكر ترتيب تلك المراحل في الحياة.

ثم نقف عند (الناس) في المرحلة الثالثة والأخيرة، فنجد أنهم صنفان مختلفان، وأن لكلّ صنفٍ منهم طريقه؛ فمنهم من يسير في طريق الهدى والإيمان، ومنهم من يسير في طريق الغواية والضلال، ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠].

نجد الهدى والطاعة، يسير فيه عباد الرحمن الصالحون والأتقياء، وهم الذين سمعوا قول ربهم وتدبروه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]. وهم الذين جعلهم الشيطان هدفاً لغوايته، يلاحقهم ويوسوس في صدورهم، كما وسوس لسيدنا وأبينا آدم وأمنا حواء، وحكى ذلك ربنا جلّ جلاله فقال: ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءٍ تَهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٠].

إنهم الطبقة الصالحة من (الناس) الذين يطاردهم الشيطان ليوسوس في صدورهم، وليصدّهم عن الطاعة. وأما الصنف الثاني من (الناس) فهم الذين اختاروا النجد الآخر، وساروا في طريق الغواية والضلال، وهم أتباع الشيطان وجنوده؛ لأنّ كلاً منهم شيطان يريد إغواء أصدقائه من الناس ليكونوا أمثاله! وهي عادة أكثر الناس، يريد الضالّ أو الفاسد أو العاصي منهم أن يكون رفيقه مثله، حتى لا يتعالى أو يستشرف عليه باسم الشرف أو الفضيلة، إنهم شياطين الإنس وهم كالجنّة، لذلك قرنهم ربّنا بهم فقال في آخر سورة الناس عن الذين يوسوسون في صدور (الناس) إنهم: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

فالذين يوسوس الشيطان في صدورهم هم أتقياء الناس، وهم الذين اتخذهم الشيطان أعداءً له، والذين يوسوسون في صدور الناس هم الشياطين الذين نستعيد منهم، سواء أكانوا من الجنّة أو الناس.

وقد جاءت (من) في قوله: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ بيانيّةً، تبين أن الذي يوسوس يكون من الجنّة ويكون من النَّاسِ، ونحن غالباً ما نحذّر من وسوسة الشيطان، ونغفل عن وسوسة أمثالنا من البشر الذين هم كأولئك الشياطين خطراً وإفساداً، فكم أفسد واحد من الشبان رفاقه؟ وكم أفسدت طالبة زميلتها؟ لذلك كان التحذير ممّن تصاحبه من الناس واجباً كالتحذير من الوسواس الخناس من الجنّ.

وهكذا تكررت كلمة (الناس) في هذه السورة خمس مرّات، وكانت في كلّ مرّة تدلّ على جديد، أو على طبقة معيّنة أو مرحلة عُمرية محدّدة من (الناس).

ومن الجدير بالذكر ما نلاحظه من صلة بين المضاف والمضاف إليه في

مثل (ربّ الناس، وملك النَّاس، وإله النَّاس)؛ لأنه إذا كان المضاف إليه يعرف المضاف كما يفصل في الحديث عن ذلك علماء المعاني، فإن المضاف أيضاً يلقي بظلال معناه على المضاف إليه ويخصّصه؛ إن في (ربّ النَّاس) وأمثالها تعريفاً للناس بكلمة (ربّ) وتمييزاً لها من (ربّ البيت أو ربّ العمل)، كما أن في كلمة (ربّ) تخصيصاً للناس الذين لهم ربّ، هو سبحانه ربّ لكلِّ النَّاس، وملك لكلِّ الناس، ولكن كونه ربّاً يدلّ على قسم من الناس، وكونه ملكاً يدلّ على قسم آخر... وهكذا في الإضافة هنا تعريف للمضاف بالمضاف إليه وتخصيص للمضاف إليه في المضاف وكذلك لو قلنا: كلية الآداب، وكتاب الآداب، وفنون الآداب، ومنهاج الآداب، لدلّ المضاف على شيء مخصوص مما تشمله وتدلّ عليه كلمة الآداب إذا أطلقت مجردة من الإضافة. وهكذا كانت كلمات (ربّ وملك وإله) التي أضيفت إليها كلمة (الناس) مبيّنة للصلة الخاصة للناس في كل إضافة بالمضاف إليه.

ونضيف إلى ما سبق الملاحظات الآتية:

١- وردت كلمات (ربّ) و(ملك) و(إله) في هذه السورة متتابعة بترتيب معيّن، فكلمة (ربّ) تدلّ كما رأينا على المرّبي أو المتمّم والقيّم والمدبر، فكيف إذا كان (الربّ) هو (الملك) المالك والقاهر والمهيمن؟ ثم كيف إذا كان (الملك) هو (الإله) الصمد المعبود؟ وكأن كل اسم من هذه الأسماء الثلاثة المتعاقبة كان أشمل لما قبله في الدلالة وأوضح في القصد.

٢- ثم إن هذه الأسماء الثلاثة تعاقبت من دون حرف من حروف العطف، وفي ذلك أولاً إشارة إلى أنها أسماء لمسمّى واحد - جلّ

جلاله - والشيء لا يعطف على نفسه. وفيه ثانياً أنها جاءت على طريقة عطف البيان، وهو الذي يكون المعطوف فيه (أبين) من المعطوف عليه كما رأينا في تبيين (الإله) لـ (الملك) وزيادته عليها معني وإيضاحاً، وفي تبيين (الملك) لـ (الرب) وزيادته عليه أيضاً في المعنى والبيان.

٣- زد على ذلك أن الأسماء الثلاثة أضيف إليها اسم ظاهر واحد هو الناس... ربّ الناس، ملك الناس، إله الناس، ولم يُستغن عن الاسم الظاهر عند تكراره بضميره، فلم يقل «ربّ الناس وملكهم وإلههم»، وذلك لأن عطف البيان، كما يدلّ عليه اسمه، يقتضي البيان، والبيان يقتضي الظاهر البيّن لا الكناية أو الضمير.

وسبحان من علّم القرآن، وأنزله بلسان عربيّ مبين، وخلق الإنسان، علّمه البيان.

والحمد لله ربّ العالمين.

\* \* \*





## من قواعد القراءة التقاء الساكنين وما يترتب عليه

د. مكي الحسني (\*)

• العربي لا يبدأ كلامه بساكن، ولا يقف على متحرك بل على ساكن.  
ولا يقف على تنوين، مع أن التنوين ساكن! فكيف إذا التقى ساكنان؟  
فالعربي لا يقول: شَرَبَ، بل اشْرَبَ!  
ولا يقول: ذَهَبَ، بل اذْهَبَ. ولا: كُتِبَ، بل اُكْتُبَ!  
ولا يقول مثلاً: جاء المعلِّمُ (بضم الميم)، ويسكت، بل يقول (جاء  
المعلِّمُ) فيقف على الساكن. ثم إنه لا يقف على مُنَوَّن، مع أن التنوين  
سُكُونٌ؛ فلا يقول مثلاً - في حالي الرفع والجرّ - (جاء بِشِيرُنٌ) و(هو على  
خَطَيْنٌ)، بل يقول: (جاء بشيرٌ) و(هو على خَطَأً)، فيحذف التنوين ويُسَكِّنُ!  
أما في حالة النصب فإنه لا يحذف التنوين عند الوقوف؛ بل يَقْلِبُهُ أَلِفًا لَفْظًا  
فقط) فلا يقول مثلاً (رأيت بِشِيرِنٌ) بل يقول (رأيت بشيراً)، ولا تكتب  
الألف بعد الهمزة إذا كانت مسبوقة بألف، فلا يصحُّ أن تقول (شربتُ ماءًن)  
ولا (شربتُ ماءً)، بل تقول [شربت ماء (أ)] و[ارتكبتُ خَطَأً (أ)]، و[هذا  
أيضاً]، وهكذا.

(\*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

وإن اضطرَّ مَنْ يقرأ الآية: ﴿فَإِمَّا مَنَابِعُهُ وَفِيهَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤٤]، إلى الوقوف على كلمة (فداء) المنونة، نطقَ بها [فداء (أ)]! لا: فداء!

## التقاء الساكنين

**الحالة الأولى:** يحدث التقاء الساكنين ويكون جائزاً (أي مقبولاً):

**أولاً: في آخر الكلمة الواحدة عند الوقف عليها، وذلك:**

أ- حين يسبق الحرف الأخير حرفاً مدّاً<sup>(١)</sup>، نحو:

بستان، رُمان، تُكذِّبان - حُوز، مجنون، مؤمنون - تين، لذيذ، للمعلمين.

ب- حين يسبق الحرف الأخير أي حرف ساكن. فإذا كان هذا الساكن

أحد الأحرف الآتية: ق، ط، ب، ج، د (قطب جد) وَجَبَتْ قَلْقَلْتُهُ، أي إظهار نبرة للصوت حال النطق بالحرف، كما في:

الفِقْر - الفِطْر - الصَّيْر - الأَجْر - البِدْر.

ت: الفَتْح، السُّنْر،	ش: البِشْر، الحِشْر	ل: العِلْم، الظلم
ث: المِثْل، البِشْر	ص: القِصْر، القِصْد	م: الشَّمْس، السَّمَك
ح: البَحْر، الرَّحْل	ض: الوَضْع، البِضْع	ن: المَنْع، المَنْح
خ: الفَحْر، النَحْل	ظ: العِظْم، الحِظْر	ه: المَهْر، النهْر
ذ: البِذْر، البِذْل	ع: السَّعْر، النَّعْش	و: الثَّوْر، البَوْن
ر: الصَّرْف، القَرْح	غ: النَّعْز، البِغْل	ي: العَيْن، اليبين
ز: الوِزْر، البِزْر	ف: القَفْر، النَّفْس	الواو والياء هنا ليسا
س: اليُسْر، العُسْر	ك: الفِكر، الوِكر	مدَّين!

(١) - أحرف العلة ثلاثة: الواو، والياء، والألف.

- حرف المد: هو حرف علة ساكن، مسبق بحركة تناسبه:

فهو واؤ قبلها ضمة، أو ياء قبلها كسرة، أو ألف قبلها فتحة.

ملاحظة: يجب أيضاً قلة أحرف (قطب جد):

١- إذا جاءت ساكنة في أثناء الكلمة، نحو: يجعلون، مقرنون، إضافةً إلى ما ورد آنفاً.

٢- إذا جاءت في آخر الكلمة عند الوقف عليها، نحو: حساب، شهيد.

**ثانياً - ضمن الكلمة الواحدة، وذلك:**

حين يكون الساكن الأول حرف مدّ، ويكون الساكن الثاني حرفاً مُشَدَّداً، نحو: خاصّة، مادّة، دابّة، ضالُّون، ضالِّين، وفي التنزيل العزيز:

﴿وَلَا تَحْضُوتْ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٨].

﴿أَتَحْجُونِي﴾ [= أتحاجونني] في الله [الأنعام: ٨٠].

أتحاجيني في ذلك؟ أي أتجادليني؟

**الحالة الثانية:** يحدث التقاء الساكنين ويكون غير جائز (غير مقبول)

فِيَتَخَلَّصُ مِنْهُ، وذلك عند تصريف:

- الفعل الناقص [أي المعتل الآخر: بالألف (نجا، رمى) أو بالواو (سرو أي شرف) أو بالياء (نسي)].

- والفعل الأجوف [أي المعتل الوسط، نحو: قال، باع (الألف مُنقلبة عن واو: «يقول»، أو عن ياء: «يبع»)].

أ- إسناد الفعل الماضي الناقص إلى الضمائر.

١- الإسناد إلى واو الجماعة: يُحذف حرف العلة لالتقاء الساكنين:

نَجَوْا (الأصل: نجأوا)، سَرَوْا (سَرَوْوا)، نَسُوا (نَسِيوا).

ونرى في المعتل **بالألف** أن الفتحة تبقى دليلاً على الحذف.

ونرى في المعتل **بالواو والياء** أنه يُضمّ ما قبل واو الجماعة.

٢- الإسناد إلى تاء التانيث: يُحذف حرف العلة لالتقاء الساكنين إذا

كان معتلّ الآخر بالألف: سَعَتْ (الأصل سَعَى ث)، نَجَتْ (نَجَاث).  
[وثرُدُّ الألف إلى أصلها مع الضمائر: نَجَوْتُ، نَجَوْتُمَا، نَجَوْنَا. رَمَيْتُ،  
رَمَيْتُمَا، رَمَيْنَا.]

٣- وإذا كان الفعل معتلّ الآخر بالياء، لا يحدث فيه تغيير مع الضمائر  
(إلا مع واو الجماعة كما ذكرنا آنفاً) فنقول: نَسَيْتُ، نَسَيْتُ، نَسَيْتُ... (إلا مع واو الجماعة كما ذكرنا آنفاً)

ب- إسناد المضارع الناقص (نحو: يَنْسَى، يَنْجُو، يرمي)

١- الإسناد إلى واو الجماعة: يحذف حرف العلة لالتقاء الساكنين.  
وفي المعتلّ بالألف، تبقى الفتحة دليلاً على الحذف:  
يَنْسُونَ (ينسى ون)،

وفي المعتلّ بالواو والياء يُضَمُّ ما قبل واو الجماعة: يَنْجُونَ (ينجؤون)،  
يرمؤون (يرمؤون).

٢- الإسناد إلى ياء المخاطبة: يُحذف حرف العلة لالتقاء الساكنين -  
وفي المعتلّ بالألف تبقى الفتحة دليلاً على الحذف: تَنْسِينَ (تنسى ين)،  
وفي المعتلّ بالواو والياء يُكسَّر ما قبل ياء المخاطبة: تَنْجِينَ (تنجوين)،  
تَرْمِينَ (ترمي ين).

ج- إسناد المضارع الناقص المجزوم.

• علامات جزم المضارع:

١- السكون الظاهر على آخره إذا كان الفعل صحيح الآخر، نحو: لم يكتب.

٢- حذف نون الأفعال الخمسة.

٣- حذف حرف العلة إذا كان الفعل ناقصاً لاجتماع سكونين على

حرف العلة: سكون هذا الحرف وسكون الجزم، نحو:

لم يَنْسَ (لم ينسى °)، لم يَنْجُ (لم ينجو °)، لم يَرْمِ (لم يرمي °).

لم تَسُوا، لم تَنْجُوا، لم تَرْمُوا. [لم تَنْسِيَا، لم تَنْجُوا، لم تَرْمِيَا].

لم تَنْسِي، لم تَنْجِي، لم تَرْمِي.

د- إسناد فعل الأمر الناقص:

• يُصاغ فعل الأمر:

- للمخاطب: من المضارع بعد حذف ياء المضارعة.

- وللمتكلم والغائب: بصيغة المضارع المقترن بلام الأمر.

ففي حالة الفعل الصحيح السالم: يكتب ← أَكْتُبْ، فَلَاكْتُبْ، فَلَنْكُتُبْ!

- ويُبنى فعل الأمر على ما يُجزم به مُضارعه!

١- الإسناد إلى المخاطب:

يُحذف حرف العلة، إذ يجتمع عليه سكونان: سكون حرف العلة،

وسكون بناء فعل الأمر، نحو:

يَنْسِي ← اِنْسَى (°). يَنْجُو ← اَنْجُ (°). يَرْمِي ← اِرْمِ (°).

٢- الإسناد إلى واو الجماعة: يحذف حرف العلة لالتقاء الساكنين:

اِنْسُوا (اِنْسَى وَا). وتبقى الفتحة على عين الفعل دليلاً على حذف الألف.

اَنْجُوا (اَنْجُوا). اِرْمُوا (اِرْمِي وَا ← اِرْمُوا ← اِرْمُوا).

٣- الإسناد إلى ياء المخاطبة:

تَنْسِينَ ← اِنْسِي°. تَنْجِينَ ← اِنْجِي°. تَرْمِينَ ← اِرْمِي°.

هـ- إسناد الفعل الأجوف (وهو الذي عينه حرفٌ معتلٌّ، ولائمه حرف

صحيح)، نحو:

قال يقول؛ سار يسير، نام ينام.

١- الماضي: تُسَكَّنُ لائمه عند إسناده إلى ضمائر الرفع المتحركة، وتُضَمُّ

فأؤه إذا كانت مضمومة في المضارع، فتُحذف عينه لالتقاء الساكنين، نحو:

قام يقوم ← قُمْتُ (قُومْتُ). هُنَّ قُومَنَ (قُومَنَ)

والافتكسّر فاؤه: سار يسير ← سِرْتُ (سِيرْتُ).

٢- المضارع: هُنَّ يَقْمَنَّ (يقومَنَ). أَنْتَنَّ تَقْمَنَّ، تَسِرَنَّ، تَنْمَنَّ ...

٣- المضارع المجزوم: تحذف عينه لالتقاء الساكنين: لم يَقْمَنَّ (لم

يُقُومَنَّ)؛ لم يَقْمَنَّ ...

لا تُقَلُّ، لا تُقَمُّ، لا تُبَعُّ، لا تُنَمُّ ...

وتبقى عينه في الأفعال الخمسة بعد حذف النون: لم تقوموا، لم تقوموا،

لم تقومي ...

ولكن لا تحذف عين المضارع المجزوم إذا اتصل بنون التوكيد الثقيلة

أو الخفيفة، ويبنى حينئذٍ على الفتح إذا كان المخاطب مفرداً: لا تقولَنَّ إلا

الحقيقة!

وتحذف واو الجماعة: لا تقولَنَّ إلا الحقيقة!

٤- الأمر: أَنْتَ قُمْ (قومْ). أَنْتَ قُومِي. أَنْتَنَّ قُومَنَّ، سِرَنَّ، نَمَنَّ ...

(كُونُ صادقاً) ← كُنْ صادقاً. كُونِي صادقةً.

ملاحظة ١: يجوز حذف نون التوكيد الخفيفة إذا وليها ساكن. قال

الشاعر:

ولا تُهَيِّنَ الْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ تَرَكَعَ يَوْمًا وَالدهرُ قد رَفَعَهُ

الأصل: لا تُهَيِّنَنَّ الْفَقِيرَ، أي مع بقاء حرف العلة في المضارع بسبب التوكيد.

ملاحظة ٢: حالة خاصة: يجوز أن تُقلب نون التوكيد الخفيفة في

الوقف ألفاً:

فيقال مثلاً: اِحْفَظَنَّ = اِحْفَظْ.

قال الشاعر:

وَذَا النُّصْبِ الْمَنْصُوبِ لَا تَنْسُكَنَّهُ وَلَا تَعْبُدِ الْأَوْثَانَ وَاللَّهُ فَاعْبُدْهُ  
أَي: وَاللَّهُ فَاعْبُدْهُ!

ملاحظة ٣: مَا يُطَبَّقُ عَلَى الْفِعْلِ الْأَجُوفِ يُطَبَّقُ عَلَى مَا يُشْتَقُّ مِنْهُ. فَمَثَلًا:

استراح يستريح ← لم يَستريح (بحذف حرف المدّ: لم يستريح!)

وفي صيغة الأمر: استرح (بالحذف أيضاً).

ويُطَبَّقُ مَا ذَكَرَ عَلَى مِضَارِعِ اسْتَبَاحَ، اسْتَزَادَ، اسْتَشَارَ، اسْتَعَادَ، اسْتَفَادَ،

استقال...

استطاع يستطيع: ﴿سَأْنِيْتُكَ بِنَاوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨].

ولكن: استروح يستروح (لا يوجد هنا حرف مدّ!) لذا يقال: لم يستروح!

ملحق بفعل الأمر:

ذكرنا في (د) أن فعل الأمر يُصاغ من المضارع. فإذا كان آخر الفعل

المضارع مُشَدَّدًا، نحو: رَدَّ يَرُدُّ (الأصل: يَرُدُّدُ)، وَجَزِمَ؛ لم يَرُدُّدْ، أو بُنِيَ مِنْهُ فِعْلُ

الأمر: رُدُّدْ، فإن جماعة من العرب يحركون الدال الثانية لالتقاء الساكنين،

فَيُتَّبِعُونَ الضَّمَّةَ الضَّمَّةَ، ويقولون: رُدُّدْ يا فتى. ومنهم من يفتح لالتقاء الساكنين،

فيقول: رُدِّدْ يا فتى، فيفتح، لأن الفتح أخف الحركات، ومنهم من يقول: رُدِّدْ يا

فتى، فيكسر لأن حق التقاء الساكنين الكسر، وعلى هذا:

يُشَدُّ ← لم يَشُدَّ ← شُدَّ!

عَضَّ يَعَضُّ ← عَضَّ يا فتى + عَضَّ يا فتى.

فَرَّ يَفِرُّ ← فَرَّ يا فتى + فَرَّ يا فتى.

## ثالثاً - حالة التقاء الساكنين في كلمتين متجاورتين.

نوع الساكن الأول	الحكم	المثال	اللفظ
حرف مَدّ	يُحذف	حَضَرْنَا الْيَوْمَ <sup>(*)</sup>	حَضَرْنَ لِيَوْمَ
ليس حرف مَدّ	يُكسر	حُذِّ الْكِتَابَ	حُذِّ لِكِتَابَ
ميم الجمع	يُضَمّ	لَهُمُ الْبُشْرَى	لَهُمُ لُبُشْرَى
نُونُ حرف الجَرِّ (مِنْ)	يُفْتَح	مِنْ الْبَيْتِ	مِنْ لِبَيْتِ

ملاحظة ١:

قرر مجمع القاهرة أنه لا حَرَجَ على من يدفع اللُبْسَ بِمَدِّ عند التقاء الساكنين، في مثل قولهم: اجتمع مندوبو العراق بمندوبي الأردن.

ملاحظة ٢:

الكلمات المختومة بتاء مربوطة يُوقَفُ عليها بالهاء، نحو: مدرسة، منظّمة، تربية، ثقافة، قناة...

ونحو جموع التكسير زنة فَعَلَّة، مثل: ساحر سَحْرَة، بائع باعة، كاتب كَتَبَة، ظالم ظَلَمَة....

ونحو جموع التكسير زنة فَعَلَّة، مثل: قُضَاة، هُدَاة، دُعَاة، غُزَاة، عُدَاة (= عَدُوّ).  
فهذه الجموع الأخيرة يلتقي فيها عند الوقف ساكنان!

(\*) ونحو ذلك:

- ﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. تحذف ياء (حاضري) لفظاً.
- ﴿سَدَّعَ الرَّبَّانِيَّةَ﴾ [العلق: ١٨]. حُذِفَ حرف المَدِّ (الواو) خَطَأً وَيُحذف لفظاً أَيْضاً.
- ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١١٠]، تحذف واو (ادعوا) لفظاً. وبهذا يصحح لفظ (أدعوا) [الخطاب للناس] مماثلاً لِلْفِظ (أُدْعُ) [الخطاب لِنَبِيِّ الْإِسْلَام] في الآية: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].
- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ٨٧]. تحذف أَلِفَ موسى لفظاً.



[والعَدُوُّ: خلاف الصديق الموالي ويقع بلفظٍ واحد على الواحد المذكر والمؤنث والمجموع، والجمع أعداء وعِدَى، وضمُّ العين لغةً، عُدَى. وتثبت الهاء مع الضم فيقال: عُدَاة.]

\* \* \*

## المصادر والمراجع

- الكفاف، ليوسف الصيداوي / ١٢٠ / و / ١٦٣ .
- اللغة والناس، ليوسف الصيداوي / ١٧١ .
- نحو إتقان الكتابة العلمية باللغة العربية / ١٣٣ .
- الكامل للمُبَرِّد / ٤٣٨ .

\* \* \*



## مشروع لكتابة المعجم التاريخي للمصطلحات الطبية

نشأت الحمارنة (\*)

### المصطلحات:

على الرغم من صغر حجم المادة العلمية التي حفظتها المقتبسات التي أشرنا إليها، وعلى الرغم من أنها لا تكفي لدراسة بعض أهم وجوه تاريخ الطب العربي - كما أشرنا - فإنها تكفي لإعطاء فكرة عن المصطلحات الفنيّة التي استعملها هؤلاء المؤلفون الأوائل.

هذه المصطلحات التي وصلت إلى عصرنا مكتوبةً في أكثر من مصدر عن طريق الاقتباسات تمثل جزءاً من المصطلحات الطيّبة القديمة التي توفّرت للمترجمين أيام بيت الحكمة البغداديّ، أيّ في العصر الذي يمتدّ من أيام المأمون إلى أيام المتوكل. بمعنى آخر: إنّ هذه المصطلحات كانت موجودةً بين أيدي الناس ومدوّنةً قبل أيام حنين بن إسحاق الذي يمثّل ذروة عصر الترجمة باتفاق جميع الباحثين.

ولكي نضع حدوداً واضحةً لهذا البحث فإننا سنختار المصطلحات المتعلقة بطبّ العيون كما تكون أنموذجاً أولياً للدراسة وسنبحث عن هذه

(\*) طبيب عيون باحث في تاريخ الطب - الأردن.

المصطلحات ونجمها ثمَّ نظر فيها لكي نفرِّق بين ما كان أصيلاً في اللُّغة ومستعملاً في عصر ما قبل الإسلام، وبين ما جاء متأخراً نتيجةً لاحتكاك عرب الشمال بالشَّريان وبالفرس، ولكي نُميِّز هذه المصطلحات عن تلك التي وضعها التراجمة لكي تحمل المعنى الذي فهموه من المصطلح الإغريقيِّ حينما تعاملوا مع كتب الطَّبِّ الإغريقيَّة.

### عصر حنين:

لقد أشرنا إلى أنَّ حنين بن إسحاق يعدُّ أهمَّ المترجمين وأحد أهمِّ المؤلِّفين في ذروة عصر الترجمة، لكنَّ حُنيئاً لم يكن وحده في زمنه، وعلينا هنا أن نذكر ثلاثة من الذين أَلَّفوا في الطَّبِّ في العصر نفسه، ذلك أنَّ أعمالهم تقدم لنا مادَّةً غزيرةً في حقل المصطلحات الطَّبيَّة. هؤلاء المؤلِّفين هم:

١ - عليُّ بن سهل (رَبَّن) الطَّبْرِيَّ<sup>(١)</sup> الذي يَرَجَّحُ أنَّه توفي نحو عام (٨٦٤م = ٢٥٠هـ). وقد كتب كتابَ (فردوس الحكمة) الذي يُعدُّ أشبه بموسوعةٍ علميَّةٍ في عددٍ من حقول العلم منها: علم الفلك وعلم الآثار العلوية، أمَّا الطَّبُّ فهو أوفرها حظاً فيه، فثمَّة فصولٌ في علوم الفلسفة الطبيعيَّة والفيسيولوجيَّة كما في علم التغذية وعلم الصَّحة العامَّة وغيرها. ويمتاز هذا الكتاب بوجود فصلٍ يُعنى بالطَّبِّ الهنديِّ المعروف في الشَّرق الإسلاميِّ زمن المؤلِّف.

٢ - يوحنا بن ماسويه<sup>(٢)</sup>: (المتوفى عام ٨٥٧ م = ٢٤٣ هـ) وقد كتب في علوم الطَّبِّ المختلفة وله مساهماتٌ مهمَّةٌ في حقل طِبِّ العيون:

أ- كتاب (دَعْلُ العين)<sup>(٣)</sup>. وهو محاضراتٌ ألقاها على طلابه فسجَّلوها وقد وصلنا الكتابُ بشكلٍ يختلف عن أصله الحقيقيِّ.

(١) يُنظر: سزكين: (٢٣٦/٣). تاريخ أطباء العيون العرب: (٤٨/٢).

(٢) يُنظر: سزكين: (٢٣١/٣). تاريخ أطباء العيون العرب: (٤٤/١).

(٣) يُنظر: سزكين: (٢٣٣/٣).

ب- كتاب (معرفة مِخْنَةِ الكَحَّالِينَ)<sup>(٤)</sup> وهو كتابٌ مختصرٌ وُضِعَ بأسلوب (المسألة والجواب).

ج- فصولٌ تتعلَّق (بعلم العين) في كتابه (الكُنَّاشُ المُشَجَّرُ)<sup>(٥)</sup>.

٣- مؤلَّفٌ مجهول: كَتَبَ كتابَ (الدَّخِيرَةُ فِي الطَّبِّ)<sup>(٦)</sup> وقد ظهرَ هذا الكتابُ<sup>(٧)</sup> حاملاً اسمَ ثابت بن قُرَّة<sup>(٨)</sup>. وقد ظنَّ عددٌ من المؤلِّفين أنَّ هذا الكتابُ<sup>(٨)</sup> من مؤلِّفات ثابت حقاً، وفي الحقيقة فإنَّ ثابتاً أنكر أنَّ يكون قد كتب هذا الكتاب أو أيَّ كتابٍ آخر في الطَّبِّ، فقد اقتصرَ نشاطُ ثابت في حقل الطَّبِّ على تلخيص كتب (جالينوس) لقراء العربية<sup>(٩)</sup>.

\* \* \*

### المؤلِّفون القدامى:

سبق أن ذكرنا أنَّ عدداً من المؤلِّفين عاش بعد أيام ماسرجويه وقبل أيام عيسى بن حكم وأنَّ بعض المقتبسات المنسوبة إلى هؤلاء يمكن جمعها في محاولة للبحث عن المصطلحات التي استعملها هؤلاء الكُتَّاب في حقول الطَّبِّ المختلفة، وإنَّ كنا سنقتصر هنا على ما جاء في حقل (أمراض العين) من مصطلحات.

ونعطي هنا قائمةً بأسماء المؤلِّفين الذين حفظ (الحاوي) لهم مقتبساتٍ

(٤) يُنظر: سزكين: (٣/٢٣٣). دور العرب في تطور طبِّ العيون: (ص ٤١). لقي...: (ص ١٠).

(٥) يُنظر: سزكين: (٣/٢٣٣).

(٦) يُنظر: سزكين: (٣/٢٦٠).

(٧) قبل عام (٩٠١ م = ٢٨٨ هـ) عام وفاة ثابت.

يُنظر: آراء ودراسات: (٢/١٧٣).

(٨) يُنظر: آراء ودراسات: (٢/١٧٣).

(٩) يُنظر: تاريخ أطباء العيون العرب: (٢/٥٨).

في علم العين: مداواتها وأدويتها وبعض المعلومات المتفرقة في حقول الأعراض والعلامات والتشخيص:

١ - ماسرجويه البصري: المرجح أن هذا المؤلف عاش حياته كلها في القرن السابع الميلادي، وربما يكون قد لحق القرن الثامن.

وقد حفظ (الحاوي) أكثر من مئة وخمسين اقتباساً من المقالتين اللتين ألفهما ماسرجويه<sup>(١٠)</sup>، تسعة منها في علم العين. كما حفظ (الحاوي) ما يقارب هذا العدد من الاقتباسات منسوباً إلى أهرن القس<sup>(١١)</sup>، أي إن هذا النوع من الاقتباسات هو من الترجمة التي قام بها ماسرجويه، وأكثر من خمسة عشر اقتباساً منها يتعلّق بطبّ العين.

٢ - تياذوق: اشتهر بأنه كان طبيباً للحجاج بن يوسف الثقفي (المتوفى عام ٧١٤م = ٩٥هـ)، وعليه فإن تياذوق يكون قد عاش في القرن السابع الميلادي ولحق القرن الثامن<sup>(١٢)</sup>.

كتب تياذوق بعض الكتب<sup>(١٣)</sup> ومنها: أبدال الأدوية<sup>(١٤)</sup>. الفصول في الطبّ.

لكن أشهر كتبه هو ذلك المعروف بـ(الكُنَّاش)<sup>(١٥)</sup>.

وقد نقل ابن الجزار<sup>(١٦)</sup> عن تياذوق في كتابيه الشهيرين: (زاد

المسافر)<sup>(١٧)</sup>، و(الاعتماد في الأدوية المفردة)<sup>(١٧)</sup>.

(١٠) يُنظر: سزكين: (٢٠٧/٣).

(١١) يُنظر: سزكين: (١٦٧-١٦٨/٣).

(١٢) يرجح أنه توفي عام (٧٠٩م = ٩٠هـ).

(١٣) يُنظر: سزكين: (٢٠٧/٣-٢٠٨).

(١٤) عيون الأنباء: (١/١٢٣).

(١٥) عيون الأنباء: (١/١٢٣). سزكين: (٢٠٧/٣).

(١٦) سزكين: (٣/٣٠٤).

(١٧) سزكين: (٣/٢٠٨).

ويقدّر سزكين أن اسم تياذوق مُحرّفٌ عن الاسم الإغريقيّ (تيودوكوس).  
٣- أبو جريج الرّاهب: يرجّح أنّه من الأطباء الذين عاشوا بين القرنين السابع والثامن الميلاديين<sup>(١٨)</sup>.

ويبلغ عدد الاقتباسات التي نسبها الرازي في (الحاوي) إلى أبي جريج أكثر من مئة اقتباس<sup>(١٩)</sup>، ثلاثة منها في طبّ العين.  
وقد أخذ البيروني<sup>(٢٠)</sup> (المتوفى عام ١٠٤٨ م) عن أبي جريج في أكثر من مكان. وكذلك ذكره الكندي<sup>(٢١)</sup> (المتوفى بعد ٨٧٠ م) وابن سينا<sup>(٢٢)</sup> (المتوفى ١٠٣٧ م) وابن البيطار<sup>(٢٣)</sup> (المتوفى عام ١٢٤٨ م).

ومن مؤلّفات أبي جريج:

١- كتاب في المُسهلات<sup>(٢٤)</sup>.

٢- إصلاح الأدوية<sup>(٢٥)</sup>.

٣- تذكرة في التّقرس<sup>(٢٥)</sup>.

٤- جورجس بن جبرئيل بن بُختيشوع: أحد أشهر أطباء القرن الثامن

---

(١٨) يعدّه سزكين من أطباء القرن الثامن، وكان ابن أبي أصيبعة قد صنّفه مع الأطباء الإسكندرانيين.

يُنظر: سزكين: (٢٠٩/٣). أولمان: (ص ٩١).

(١٩) يُنظر: سزكين: (٢٠٩/٣). أولمان: (ص ٩١).

(٢٠) في كتابه (الصّيْدنة في الطّب) أكثر من عشر اقتباسات، ويرى مايرهوف أن اقتباسات

البيروني مأخوذة من كتاب أبي جريج (إصلاح الأدوية). يُنظر: سزكين: (٢٠٩/٣).

(٢١) في كتابه (الاختيارات). يُنظر: سزكين: (٢٠٨/٣).

(٢٢) في (القانون) مرّة واحدة.

(٢٣) في (الجامع..). أكثر من عشرة اقتباسات.

يُنظر: أولمان: (ص ٩١-٩٢).

(٢٤) سزكين: (٢٠٨/٣). أولمان: (ص ٩٢).

(٢٥) سزكين: (٢٠٨/٣).

الميلادي ومؤسس الأسرة المعروفة باسم (بختيشوع) هذه الأسرة التي أنجبت ستة أجيالٍ من الأطباء.

استدعاه المنصور<sup>(٢٦)</sup> وهو شيخ مسنٌ من جُنْدِيسَابُور إلى بغداد لمعالجته من داءٍ في معدته، فبقي هناك ما يقارب السنوات الأربع، ثمَّ أثارَ أن يعودَ إلى بلده، فرجع في حدود (٧٦٩م = ١٥٢هـ) حيث توفي في جُنْدِيسَابُور بعد فترةٍ قصيرة<sup>(٢٧)</sup>.

كانت لجورجس شهرةٌ عظيمةٌ حينما كان مديراً لبيمارستان جُنْدِيسَابُور وكان هناك قد كتب عدداً من الكتب باللُّغة السُّريانيَّة، ولا يُعرَفُ ما إذا كان قد كتب بالعربيَّة أثناء إقامته في بغداد، لكنَّ ابن أبي أصيبعة يذكر أنَّ جورجس ترجم للمنصور بعض الكتب من اليونانيَّة إلى العربيَّة<sup>(٢٨)</sup>.

تذكرُ المصادر العربيَّة لجورجس بعضَ الكتب، أهمُّها (الكُنَّاش)<sup>(٢٩)</sup>، ومنها:

١ - كتابٌ في الأخلاط<sup>(٢٩)</sup>.

٢ - كتاب ديابيطا<sup>(٣٠)</sup>.

وتذكرُ المصادر كذلك أنَّ حيناً بن إسحاق ترجم<sup>(٣١)</sup> كتاب (الكُنَّاش) من السُّريانيَّة إلى العربيَّة.

نجد في (الحاوي) أكثر من ستين<sup>(٣١)</sup> اقتباساً منسوباً لجورجس، يرَجَّحُ

أنَّها من كتاب (الكُنَّاش)، واحداً من هذه الاقتباسات يتعلق بعلم العين.

(٢٦) حكم المنصور بين: (٧٥٤-٧٧٥م = ١٣٦-١٥٨هـ).

(٢٧) توفي في جُنْدِيسَابُور. يُنظر: سزكين: (٢٠٩/٣).

(٢٨) عيون الأنباء: (١/١٢٣).

(٢٩) سزكين: (٢٠٩/٣). أولمان: (ص ١٠٨).

(٣٠) سزكين: (٢٠٩/٣). و(ديابيطا) هو الاسم اليونانيّ (معرباً) لما نسميه اليوم (الداء السكري).

(٣١) سزكين: (٢٠٩/٣). أولمان: (ص ١٠٨).



وبطبيعة الحال فإننا لا نعرف هل كانت المصطلحات التي حفظها (الحاوي) هي من وضع جورجس أم من وضع المترجم.

٥- بُخْتِشَوْع بن جورجس بن جبرئيل بن بُخْتِشَوْع: من أطباء القرن الثامن الميلادي، أدار بيمارستان جنديسابور خلفاً لوالده إلى أن استُدعي إلى بغداد<sup>(٣٢)</sup> عام (٧٨٧م = ١٧١هـ). وصار في آخر أيامه طبيباً خاصاً للرشيد. ويرجع أن بُخْتِشَوْع توفي عام (٨٠١م = ١٨٥هـ)<sup>(٣٣)</sup>.

تنسب المصادر لبُخْتِشَوْع كتابين:

١- الكُنَّاش<sup>(٣٤)</sup>: ويُسَمَّى عند بعض الباحثين (الكُنَّاش المختصر).

٢- تذكُّرة في الطَّبِّ<sup>(٨٠)</sup>.

وقد حفظ (الحاوي) له أكثر من ثلاثين اقتباساً<sup>(٣٥)</sup>، سبعة منها في علم العين. ولا نعرف على وجه التأكيد: أكتب كتابيه هذين بالعربية أم بالسريانية؟

٦- جابر بن حيَّان: الكيميائي الشهير وقد كتب في الطَّبِّ عدداً من الكتب منها<sup>(٣٦)</sup>:

١- كتابُ السُّموم.

٢- كتابُ الطَّبِّ الكبير.

٣- كتابُ الأدوية المُفردة.

٤- كتابُ المَجَسَّة.

٥- كتابُ التَّشريح.

(٣٢) أولمان: (ص ١٠٩).

(٣٣) سزكين: (٣/ ٢١٠). أولمان: (ص ١٠٩).

(٣٤) عيون الأنبياء: (١/ ١٢٥-١٢٧).

(٣٥) سزكين: (٣/ ٢١١). أولمان: (ص ١٠٩).

(٣٦) سزكين: (٣/ ٢٢٣).

وله في طَبِّ العين كتابٌ اصْطَلَحَ على تسميته (كتاب العين) (٣٧).  
ولا توجد في (الحاوي) - في حدود ما هو معروف - مقتبساتٌ  
منسوبةٌ لجابر.

وعلى الرُّغم من اختلاف الباحثين في تحديد الزَّمن الذي عاش فيه  
جابر فإنَّ معظمهم يجعله من أهل النِّصف الثاني من القرن الثامن الميلاديّ.

٧- ماسرجويه الجُنْدِيسابوري: الذي تسميه بعض المصادر باسم  
(ماسرجيس) (٣٨) وقد كان معاصراً للشاعر أبي نواس (٣٩) وتُسبِّ له كتبٌ عديدةٌ،  
لكنَّ هذه النسبة ما تزال موضع شكٍّ من الباحثين الثقات، من هذه الكتب:  
١ - كتابٌ (في العين) (٤٠).

(٣٧) سزكين: (٢٢٣/٣): ينقل عن كراوس (Kraus): «إنَّ جابراً ذكر هذا الكتاب بنفسه في  
كتابه (إخراج ما في القوى إلى الفعل)».

(٣٨) بدأ الخلط بين الاسمين: ماسرجويه وماسرجيس منذ أيام ابن النديم، يُنظر الفهرست:  
(ص ٢٩٧). ويُنظر: حواشي فلوغل (Flügel) على التحقيق: (ص ١٤٢)، وقد نبّه  
فلوغل على هذا الخلط.

وهناك فقرات قليلة مقتبسة في بعض الكتب منسوبة إلى ماسرجيس أو ماسرجويه  
أو أهرن، كما نجد عند الغافقي في (الأدوية المفردة) وابن البيطار في الجامع  
والقلانسي في الأقرباذين.  
(٣٩) يُنظر: سزكين: (٢٢٤/٣).

- أبو نواس، (الحسنُ بنُ هانئ) الشاعر الشهير: (توفي ٨١٥ م = ٢٠٠ هـ).  
(٤٠) يُنظر: حواشي فلوغل على ابن النديم: (ص ١٤٢-١٤٣). عيون الأنباء: (١/١٦٣).  
وذكره عبد المسيح الكحلّ الحلبّي في القرن الثامن عشر.  
يُنظر: بولص سباط: الفهرس: (٧٤/٢).  
وذكره سباط في الملحق: (ص ٦٠، رقم: ٢٩٧٥).  
يُنظر سزكين: (٢٢٤/٣).

- ٢- أبدال الأدوية وما يقوم مقام غيره<sup>(٤١)</sup>.
- ٣- كتاب في الغذاء<sup>(٤٢)</sup>.
- ٤- كتاب في الشراب<sup>(٤٣)</sup>.
- ٥- قوى الأطعمة ومنافعها ومضارها<sup>(٤٤)</sup>.
- ٦- قوى العقاقير ومنافعها ومضارها<sup>(٤٥)</sup>.

وتزيد المقتبسات التي نسبتها (الحاوي) لماسرجويه على مئة وعشرين مقتبساً<sup>(٤٦)</sup>، واحدٌ منها في (علم العين).

ويرجح بعض الباحثين أن يكون أحد المقتبسات التي حفظها علي بن إبراهيم بن بُختيشوع الكفرطابي<sup>(٤٧)</sup> في كتابه (تشریح العين وأشكالها ومعرفة أعلالها) مأخوذاً عن ماسرجويه هذا<sup>(٤٨)</sup>.

٨ - يحيى بن البطريق: عاش ابن البطريق في النصف الثاني من القرن الثامن ولحق القرن التاسع إذ توفي حول عام (٨١٥ م = ٢٠٠ هـ). وله كتاب (السُّموم)<sup>(٤٩)</sup> الذي حفظ (الحاوي) منه أكثر من عشرين

---

(٤١) وصلت إلى زمننا مخطوطة من هذا الكتاب محفوظة في مكتبة أياصوفيا تحت رقم (٤٨٣٨).

يُنظر: سزكين: (٣/٢٢٤): سزكين ينقل عن ريتز فالزر Ritter Walzer رقم (٨٣١).

(٤٢) ينظر: سزكين: (٣/٢٢٤). نقلاً عن سباط: الفهرس - الملحق: (ص ٦٠ - رقم: ٢٩٧٣).

(٤٣) سزكين: (٣/٢٢٤). نقلاً عن سباط: الفهرس - الملحق: (ص ٦٠ - رقم: ٢٩٧٤).

(٤٤) ذكره ابن النديم: الفهرست: (ص ٢٩٧) وعنه نقل القفطي وابن أبي أصيبعة.

يُنظر: سزكين: (٣/٢٢٥).

(٤٥) ذكره ابن النديم: الفهرست: (ص ٢٩٧) وعنه نقل القفطي وابن أبي أصيبعة.

يُنظر: سزكين: (٣/٢٢٥).

(٤٦) سزكين: (٣/٢٢٤-٢٢٥).

(٤٧) من سلالة بُختيشوع الشهيرة، من أهل القرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري).

(٤٨) أولمان: (ص ٨٨).

(٤٩) سزكين: (٣/٢٢٥).

اقتباساً، وقد نقل عنه البيروني في كتابه (الصَّيْدَنَة).  
وقد ذكره ابنُ وَحْشِيَّة<sup>(٥٠)</sup> في كتابه (الفلاحة النَّبْطِيَّة).  
«وكان لا يعرفُ العربيَّةَ حقَّ معرفتها»<sup>(٥١)</sup> «ولا اليونانيَّة»<sup>(٥١)</sup> «وإنَّما كان  
لَطِيناً يعرفُ لغةَ الرُّومِ وكتابتها»<sup>(٥١)</sup>.  
«وكان في جملة الحسن بن سهل»<sup>(٥٢)</sup> «<sup>(٥٣)</sup>».

٩- جبرئيل بن بُخْتِشُوع بن جورِجس: عاش بين القرنين الثامن  
والتاسع الميلاديين<sup>(٥٤)</sup>. وقد كتب:

١- رسالة إلى المأمون في المطعم والمشرب<sup>(٥٥)</sup>.

٢- مقالة في العين<sup>(١٠٠)</sup>.

وقد عمل في البلاط العباسي أيام الرِّشيد<sup>(٥٦)</sup> والأمين والمأمون.  
والمقتبسات التي حفظها (الحاوي) باسم هذا المؤلف قليلة وغير مؤكدة<sup>(٥٧)</sup>.  
وجبرئيل هو الذي اعتنى بابن ماسويه وجعله رئيساً للطلبة في  
بيمارستان بغداد.

(٥٠) من أهل القرن التاسع أو العاشر الميلادي. صاحب كتاب (الفلاحة النَّبْطِيَّة) الذي حقَّقه:  
توفيق فهد.

(٥١) عيون الأنباء: (٢٠٣/١).

(٥٢) أيام المأمون.

(٥٣) عيون الأنباء: (٢٠٣/١).

(٥٤) توفي (٢١٢هـ = ٨٢٧ أو ٨٢٨م). في خلافة المأمون. حكم المأمون بين: (٨١٣-

٨٣٣م = ١٩٨-٢١٨هـ).

(٥٥) سزكين: (٢٢٧/٣).

(٥٦) صار طبيباً خاصاً بالرَّشيد عام (٨٠٥ = ١٩٠هـ).

حكم الرِّشيد بين: (٧٨٦-٨٠٩م = ١٧٠-١٩٣هـ).

(٥٧) وموضوع نسبتها إليه مشكوكٌ فيه بسبب الخلط الذي وقعت فيه بعض المصادر التي  
تنسب إلى بُخْتِشُوع! وبذلك لا يعرف من هو المقصود الأب أم الابن أم الحفيد.

كما أنه هو الذي كَلَّفَ حُيناً بن إسحاق - حينما كان حيناً في السابعة عشرة من عمره - بترجمة الكتب الإغريقية إلى العربية فاتحاً بذلك الباب على عالمٍ جديدٍ دخل منه الطَّبُّ الإغريقيُّ مُترجماً على أعلى مستوى إلى السُّريانيَّة والعربيَّة.

١٠- عيسى بن حكم (مسيح الدمشقي): عاش بين القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، وقيل إنه كان حياً في دمشق عام (٨٣٩م = ٢٢٥هـ)<sup>(٥٨)</sup>.  
وله في الطَّبِّ:

١- كُنَّاش.

٢- الرِّسالة الكافية الهاروتية في الطَّبِّ.

٣- رسالة في الأعشاب والعقاقير.

وقد حَفِظَ (الحاوي) له أكثر من ثمانين اقتباساً.

\* \* \*

لا نعرف على وجه الدقة لماذا لا نجد في (الحاوي) مقتبساتٍ من جابر ابن حيان، ولذلك فإننا سنستثني أعماله في هذه الدراسة، أمَّا المؤلفون الثلاثة من آل بُختيشوع فإننا نواجه تجاه أعمالهم مشكلتين:

الأولى: أننا لا نستطيع الجزم باسم صاحب الاقتباس في (الحاوي) أهو الجدُّ أم الأب أم الابن. والثانية: أننا لا نعرف من الذي وضع المصطلح: المؤلف؟ أم المترجم؟ فكما رأينا: هناك أعمالٌ تحمل اسمَ بُختيشوع قيل إنَّ المؤلفَ ترجمها من الإغريقية إلى العربية، وهناك أعمالٌ أخرى يُفترَضُ أنَّ المؤلفَ كتبها بالعربية، وهناك أعمالٌ - ذكرناها - ونعرف أنها كُتِبَتْ بالسُّريانيَّة وترجمها حيناً إلى العربية. لذلك فإننا

(٥٨) يُنظر: سزكين: (٢٢٧/٣). أولمان: (ص ١١٢).

سنستثني هذه المقتبسات أيضاً من هذه الدراسة ونجمعُ المصطلحات المنسوبة إلى بُخْتِشوع في جدولٍ مرفق.

\* \* \*

نعطي هنا بعض الأمثلة على المصطلحات التي درسناها:

أولاً: إنّ عدداً كبيراً منها موجودٌ في عصر عيسى بن حكم (مسيح الدمشقي) لكنّه موجودٌ قبل ذلك أيام ماسرجويه. من هذه المصطلحات: (البثرة) و(السّلاق) و(الحكّة) و(العشا).

ثانياً: أحد هذه المصطلحات (الجرب) موجودٌ عند عيسى بن حكم وماسرجويه وقد ذكره أيضاً أبو جريج الرّاهب.

ثالثاً: أحد هذه المصطلحات وهو (البلة) ذكره عيسى بن حكم وأبو جريج الرّاهب وماسرجويه الجنديسابوري.

رابعاً: أحد هذه المصطلحات التي ذكرها عيسى بن حكم ولم يذكرها ماسرجويه موجود عند تياذوق وهو (الكمنة).

خامساً: أحد هذه المصطلحات التي ذكرها مسيح وماسرجويه موجود أيضاً عند تياذوق وهو (الرّمّد).

سادساً: بعض هذه المصطلحات التي يعود عهدا إلى ماسرجويه البصري لا نجدها عند عيسى بن حكم ومنها (السّبيل) و(الطرفة).

سابعاً: أحد هذه المصطلحات لم نجدها عند ماسرجويه البصري ولكننا وجدناه عند ابن البطريق وهو (الحول).

ثامناً: إنّ بعض المصطلحات لم نجدها قبل عصر عيسى بن حكم ومنها (الشّعيرة).

إنّ هذه اللوحة السريعة يمكن أن تساعد الباحث على وضع قائمة بتاريخ

ظهور بعض المصطلحات بين نهاية القرن السابع وبداية القرن التاسع. ومن الملاحظ أن عدداً من المصطلحات التي دُوِّنت قبل عصر عيسى بن حكم لا نجدتها في رسالته الهاروتية وهذا ما يستدعي بحثاً خاصاً لمعرفة أسبابه. أمّا معظم المصطلحات فنجدتها مدونةً في منتصف القرن التاسع أيام ابن ماسويه وحنين.

عيسى بن حكم	ابن البطريق	ماسرجويه الجنديسابوري	بُختيشوع	أبو جُريج الرَّاهب	تياذوق	ماسرَجويه البصري
						الاسترخاء (استرخاء الأجنان)
البثور						البثر
						البياض (بياض القرنية)
				الجرب		الجرب
						الحكة
					الزمد	الزمد
					السبل	السبل
						السلاق
						الشعر (انقلاب الشعر)
						الطرفة
العشا			العشا			العشا
						الغلظ (غلظ الأجنان)
الماء					الماء	الماء
الورم			الورم (ورم العين)			الورم (ورم العين)

عيسى بن حكم	ابن البطريق	ماسرجويه الجنديسابوري	بُختيشوع	أبو جُريج الرَّاهب	تياذوق	ماسرَجويه البصري
					الغَرَب	
					الْكُمْنَة	
البَّلة		البَّلة		البَّلة		
	الحَوَل					
الوَجَع (وَجَع العين)			الوَجَع (وَجَع العين)			
			الانتشار			
			الناصور			
الأتَّساع (اتَّساع الناظر)						
الخيالات						
السُّدَة						
الشَّعيرة						

وصفوة القول: إننا جمعنا في هذا البحث عدداً من المصطلحات التي دُوِّنت قبل بداية القرن التاسع وكُلُّها مصطلحاتٌ في حقل طبِّ العيون وعرفنا المؤلف الذي حفظها لنا. وتعطي هذه الدِّراسة نموذجاً يمكن أن يَحْتَدِي به أحدُ الباحثين مُوسَّعاً بحثه ليشمل المصطلحات الطِّبِّيَّة جميعها، وأهمُّها التي وردت في (الحاوي). وبهذا نكون قد خطونا خطوةً على طريق كتابة (المعجم التاريخي للمصطلحات الطِّبِّيَّة).



## المصادر والمراجع

- إخبار العلماء بأخبار الحكماء، القفطي، باعتناء: ليرت Lippert - لاينزغ Leipzig، طبعة بالأوفست، مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بمصر (١٩٠٣).
- إخبار العلماء بأخبار الحكماء، القفطي، طبعة مطبعة السعادة، القاهرة: (١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م).
- آراء ودراسات في تاريخ الطبّ العربيّ، نشأت الحمارنة، جزآن، دمشق. (٢٠٠٤).
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ٤٠ مجلداً، الكويت. سلسلة التراث العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويتي.
- تاريخ أطباء العيون العرب، نشأت الحمارنة، وزارة الثقافة، دمشق، ج١/٥، ٢٠٠٤م، ج٢/٣، ٢٠٠٤م، ج٣/١، ٢٠٠٤م.
- تاريخ التُّراث العربيّ، فؤاد سزكين، مجموعات في المخطوطات العربيّة في مكتبات العالم، نقله إلى العربيّة: محمود فهمي حجازي، وراجعته: عرفه مصطفى، الرياض. (١٩٨٢).
- تذكرة الكَحَّالين، عليّ بن عيسى، عني بتصحيحه والتعليق عليه الحكيم غوث محيي الدين القادري الشرفي، طبع بإعانة وزارة المعارف للحكومة الهندية العالية تحت مراقبة د. محمّد عبد المعيد خان رئيس قسم الآداب العربية بالجامعة العثمانية ومدير دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند. (١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م).
- التَّفْصِيّة في اللُّغة، أبو بشر اليمّان بن أبي اليمان البندنجي، حققه: د. خليل

- إبراهيم العطيّة، الجمهورية العراقية، وزارة الأوقاف، إحياء التراث الإسلامي. (١٩٧٦).
- تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ١١ جزءاً، نقله إلى العربية وعلّق عليه: محمّد سليم النعيمي، جمال خياط، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والفنون. (١٩٧٨ - ٢٠٠١ م).
- التّنوير في الاصطلاحات الطّبيّة، القمري، تحقيق: غادة حسن الكرّميّ، بتكليف من مكتب التّربية العربيّ لدول الخليج. الرياض. (١٤١١هـ - ١٩٩١ م).
- التّنوير في الاصطلاحات الطّبيّة، القمري، تحقيق: وفاء تقي الدّين، مطبوعات مجمع اللّغة العربية بدمشق، مطبعة الصباح، (١٩٩٠ م).
- الحاوي في الطّب، الرازي، (الجزء الثاني في أمراض العين)، ضُحح من نسخة فلوارى شريف ونسخة إسكوريال (رقم ٨٠٦) مدريد وطبع بمراقبة شرف الدين أحمد مدير دائرة المعارف العثمانية وسكرتيرها قاضي المحكمة العليا سابقاً، الطبعة الثانية، بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند. (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦ م).
- دائرة المعارف الإسلاميّة، إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، الترجمة العربيّة، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، (١٩٦٩ م).
- دور العرب في تطور طبّ العيون، نشأت الحمارنة، الجزء الأول، إصدار خاصّ من مجلة الكَحَال - المجلد الثالث، العدد الثالث - دمشق (١٩٨٥).
- الرّسالة الهاروثيّة، عيسى بن حكم، مسيح الدمشقي، تحقيق: Suzanne GIGNDET، المعهد الفرنسي للشرق الأوسط. دمشق. (٢٠٠٢).
- الصّيدنة في الطّب، البيروني، حَقّق النّصّ العربيّ وترجمه إلى الإنجليزيّة: محمد سعيد ورنّا إحسان إلهي، وعلّق عليه بالإنجليزيّة

- (ج ٢) سامي خلف حمارنة، مؤسسة همدرد. كراتشي (١٩٧٣).
- طبقات الأَطْبَاء والحكماء، ابن جُلجل، سليمان، ترجمة وتحقيق: فؤاد سيّد، منشورات المعهد الفرنسي بالقاهرة. (١٩٥٥ م).
- العشر مقالاتٍ في العين ، حنين بن إسحاق، التحقيق والترجمة الإنجليزية: ماكس مايرهوف، المطبعة الأميرية بالقاهرة. (١٩٢٨ م).
- عيون الأنباء في طبقات الأَطْبَاء، ابن أبي أصيبعة، تحقيق: أوغست مولر، الطبعة الأولى. المطبعة الوهبيّة، القاهرة. (١٨٨٢ م = ١٢٩٩ هـ).
- الفهرس. AL-Fihris، سباط، الأب بولص. P.Sbath، القاهرة (١٩٣٨ - ١٩٤٠) في أجزاء وذيل.
- الفهرست، ابن النديم، باعثناء فلوغل Flügel,G. لايبزغ. (١٨٧١ - ١٨٧٢)، بيروت (١٩٧٨ م). جزآن، طبعة جديدة.
- قاموس الأَطْبَاء وناموس الألباء، مَدَيْن بن عبد الرَّحْمَن القُوصُونِيّ المصريّ، مصورات مَجْمع اللُّغة العربيّة بدمشق. (١٩٧٩ م = ١٣٩٩ هـ).
- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة النوري، الطبعة الأولى، (١٩٨٧ م = ١٤٠٨ هـ).
- القانون في الطَّبِّ، ابن سينا، تحقيق: سعيد اللّحام، دار الفكر ، بيروت، لبنان. (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م).
- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ثمانية أجزاء، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، سلسلة المعاجم والفهارس. صدر بين (١٩٨٥ - ١٩٨٠).
- كَشَّاف اصطلاحات الفنون ، التهانوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية (٢٠٠٦ م).

- كُنَّاش في الطَّبِّ، يعقوب الكشكريّ، تحقيق: عليّ شيري، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٩٤م = ١٤١٤هـ).
- لسان العرب المحيط، ابن منظور، ثلاثة مجلدات، إعداد وتصنيف: يوسف خياط. نديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت (١٩٧٠).
- لقيّ جديدة من كنز التراث العربيّ، نشأت الحمارنة، في مجلة الكَحَّال، المجلد ٣، الصفحات: (١-٦١). عام ١٩٨٥م.
- المخصص في اللُّغة، ابن سيده، علي بن إسماعيل. أبو الحسن، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٩٩٦م-١٤١٧هـ).
- المسائل في الطَّبِّ للمتعلّمين، حنين بن إسحاق، تحقيق: محمّد عليّ أبو ريان، مرسى محمّد عرب، جلال محمّد موسى، دار الجامعات المصرية، (١٩٧٨).
- المعجمات الطَّيِّبة، نشأت الحمارنة، مجلة مجمع اللغة العربيّة بدمشق. مج ٦٠/ج ١، ق: ١، ص (١٠٤-١٢٣). عام (١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م)، ق: ٢، ص (٤٨٤-٥١٤). عام (١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م)، ق: ٣، ص (٥٤١-٥٦٠)، عام (١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م)، ق: ٤، ص (٤٦٦-٥١٣). عام (١٤١٢هـ = ١٩٩١م).
- مفاتيح العلوم، الخوارزمي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٨٤م = ١٤٠٤هـ).
- مفاتيح العلوم، الخوارزمي، تقديم: جودت فخر الدّين، طبعة جديدة منقحة ومقابلة على عدة نسخ، دار المناهل، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٩١م = ١٤١١هـ).
- مقاييس اللُّغة، ابن فارس، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

- مكتبة الكَحَال في عصر الرازي ، نشأت الحمارنة، المجلس الأعلى للعلوم، أسبوع العلم الحادي والثلاثون، الاحتفال بذكرى مرور أحد عشر قرناً على وفاة العالم العربي أبي بكر محمد بن زكريا الرازي، ٢٥ ربيع الآخر - ٢ جمادى الأولى ١٤١٢ هـ، ٢ - ٨ تشرين الثاني ١٩٩١ م.

مصادر ومراجع مختارة:

المراجع:	المصادر:
ماسر جويه البصري:	
- لوكلير: (٧٩-٨١).	- ابن جلجل / الفهرست: (٦١).
- سنكين: (٢٠٦/٣).	- ابن النديم: (٢٩٧). حواشي
- أولمان: (٢٣).	فلوغل: (١٤٣-١٤٢).
	- صاعد الأندلسي: (٨٨).
	- القفطي: (٣٢٦-٣٢٤).
	- ابن أبي أصيبعة: (١٠٩-١٦٣).
تياذوق:	
- لوكلير: (٨٢-٨٣).	- ابن النديم: (٣٠٣). حواشي
- سنكين: (٢٠٧/٣).	فلوغل: (١٤٧).
- أولمان: (١٠٨-٢٢).	- القفطي: (١٠٥).
	- ابن أبي أصيبعة: (١٢١-١٢٣).
أبو جريج الرَّاهب:	
- لوكلير: (٢٧١ / ١).	- ابن أبي أصيبعة: (١٠٩ / ١)
- سنكين: (٢٠٨ / ٣).	
- أولمان: (٩٢-٩١).	

المراجع:	المصادر:
<b>جورجس بن بُختيشوع:</b>	
- بروكلمان: الذيل: (٤١٤ / ١).	- ابن النديم: (٢٩٦). حواشي
- سارتون: (٥٣٧ / ١).	فلوغل: (١٤٢).
- سزكين: (٢٠٩-٢١٠ / ٣).	- القفطي: (١٥٨-١٥٩).
- أولمان: (١٠٨).	- (ابن أبي أصيبعة: (١٢٣-١٢٥ / ١).
<b>بُختيشوع:</b>	
- بروكلمان: في دائرة المعارف الإسلامية: ط ١: (٦٢٦ / ١).	- ابن النديم: (٢٩٦). حواشي
- سورديل: في دائرة المعارف الإسلامية: ط ٢: (١٢٩٨ / ١).	فلوغل: (١٤٢).
- سزكين: (٢١٠ / ٣).	- ابن جلجل: (٦٣).
- أولمان: (١٠٩).	- القفطي: (١٠٠-١٠١).
	- ابن أبي أصيبعة: (١٢٥-١٢٧ / ١).
<b>جابر بن حيّان:</b>	
- بروكلمان: (٢٤٠-٢٤٥ / ١).	- ابن النديم: (٤٢٠).
- دائرة المعارف الإسلامية: (٣٦٧ / ٢).	
- سزكين: (٢١١ / ٣).	
- أولمان: (٣٢٧).	
<b>ماسرجويه الجنديسابوري:</b>	
- سزكين: (٢٢٤-٢٢٥ / ٣).	- ابن النديم: (٢٩٧). حواشي
- أولمان (٨٨-٢٦٤).	فلوغل: (١٤٢-١٤٣).
	- القفطي: (٣٢٤).
	- ابن أبي أصيبعة: (٢٠٤ / ١).

المراجع:	المصادر:
يحيى بن البطريق:	
- بروكلمان: (١/٢٠٣-الذيل: ١/٣٦٤).	- ابن جلجل: (٦٧-٦٨).
- سارتون: (١/٥٥٦).	- ابن أبي أصيبعة: (١/٢٠٥).
- سزكين: (٣/٢٢٥).	
- أولمان: (٢٦-٢٣٤-٣٢٦).	
جبرئيل بن بُختيشوع بن جورجس:	
- سارتون: (١/٥٧٣).	- القفطي: (١٣٢-١٤٦).
- سزكين: (٢٢٦).	- ابن أبي أصيبعة: (١/١٢٧-١٣٨).
- أولمان: (١٠٩).	
عيسى بن حكم:	
- لوكلير: (١/٨٤).	- ابن النديم: (٢٩٧). حواشي
- بروكلمان: (الذيل: ١/٤١).	فلوغل: (١٤٢).
- سزكين: (٣/٢٢٧).	- صاعد الأندلسي: (٣٧).
- أولمان: (١١٢).	- القفطي: (٢٤٩-٢٥٠).
	- ابن أبي أصيبعة: (١/١٢٠-١٢١).
	- المراجع الأجنبية:

- *The Encyclopaedia of Islam*. Brill, Leiden and London, 1913-1938.
- *The Encyclopaedia of Islam*. New Edition. Brill; Leiden, 1954-2004.
- Brockelmann, Carl: *Geschichte der Arabischen Litteratur*. 1Ed. I: 1898, II: 1902; 2 Ed. I: 1943, II: 1949; SI: 1937, SII: 1938, SIII: 1942.
- Hirschberg, J.: *Geschichte der Augenheilkunde*, in: Graefe- Saemisch: *Handbuch der gesamten Augenheilkunde*. Bd. XII (Geschichte der

- Augenheilkunde im Alterthum), Leipzig, (1899).; Bd. XIII (Geschichte der Augenheilkunde im Mittelalter), Leipzig, (1908).
- Sarton, George: *Introduction to the History of Science*. 3vol. Baltimore, (1927-48; repr. 1968).
  - Sezgin, Fuat: *Geschichte des Arabischen Schrifttums*. Bd. III: Medizin, Pharmazie, Zoologie, Tierheilkunde bis ca. 430 H. E.J. Brill; Leiden, (1970).
  - Ullmann, Manfred: *Die Medizin im Islam*, in: *Handbuch der Orientalistik*. E.J. Brill; Leiden, (1970).

\* \* \*



## اللغة العربية في مواجهة التحديات

محمد عدنان سالم (\*)

### أولاً: التحديات التاريخية

لم تواجه لغة في العالم ما واجهته اللغة العربية - على مر التاريخ - من تحديات، ولم تصمد صمودها.

#### ١ - لغة القرآن:

فبعد نقائها ونصاعة بيانها الذي تجلّى على ألسنة العرب في أسواقهم التي تصدّرها سوق عكاظ، فكان أرقى نموذج لها؛ عهد إليها الوحي الإلهي بحمل رسالة الإسلام إلى الإنسانية بأصقاعها وأجيالها كافة، فكان ذلك أول تحدٍّ لها وأخطره ﴿كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧].

تبدو لنا خطورة هذا التحدي من المدى البعيد الذي كان عليها أن تبلغه بسرعة قصوى لم يسجل التاريخ نظيراً لها؛ فلقد انطلقت الدعوة الإسلامية بلسانها العربي المبين فيما يشبه الطفرة، لتشمل في أقل من ربع قرن قسماً كبيراً من قارتي آسيا وإفريقية، ولتَرث أكبر حضارتين عالميتين آنذاك؛ هما الفارسية والرومية.

وتبدو لنا عظمة هذا التحدي من القبول الطوعي للغة الدعوة والترحيب بها

---

(\*) باحث في الأدب والتراث من سورية.

من قبل شعوب البلدان المفتوحة، إلى درجة العشق والتبني والإسهام الفعال في وضع قواعدها النحوية والصرفية، وأوزان أشعارها، وأساليبها البلاغية<sup>(١)</sup>.

لم تفرض الدعوة الإسلامية لغتها بقوة القانون، ولم تضق ذرعاً باللغات المحلية والقومية، ولم تطرح نفسها بديلاً منها، فقد كانت واعية كل الوعي لعالمية رسالتها ودورها الإنساني الذي يعترف بالتعدد واختلاف الألسنة والألوان والأجناس، ويرى في ذلك وسيلة من وسائل النمو والتعارف بين الشعوب ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣].

وبهذا الاختيار الواعي انتشر تعليم اللغة العربية، لغة القرآن والأذان وشعائر الحج، في كل بقعة وطئتها قدم مسلم. ولم يكن قد مضى على انطلاق الدعوة الإسلامية كبير وقت؛ عندما بُني مسجد (هوايشينغ)، أول مسجد في مقاطعة (كانتون) في الصين، وكان تعليم العربية لغة القرآن والصلاة مواكباً لبناء المسجد، وما فتئت المدارس الإسلامية التي تدرس بالعربية والصينية معاً<sup>(٢)</sup> تنامي منذ ذلك التاريخ، من دون توقف، حتى بعد تأسيس الصين الشعبية عام ١٩٤٩ م.

ولئن كان ذلك يوضح لنا السرعة الخارقة التي وصلت بها دعوة الإسلام بلسانه العربي المبين إلى الصين في أقصى الشرق، فما عساها تكون في إفريقيا التي استقبلت أول هجرة في الإسلام، ضمت كوكبة من

(١) سيويه (عمرو بن عثمان) ت ١٨٠هـ / من شيراز في بلاد فارس - ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) ت ٣٧٦هـ من بلاد فارس - ابن جرير الطبري (محمد بن جرير بن يزيد) ت ٣١٠هـ من طبرستان - الخوارزمي أبو بكر محمد بن العباسي ت ٣٨٣ (أصله من طبرستان مستقره خوارزم) - ابن هندو (أبو الفرج علي بن الحسين) ت ٤٢٠ من فارس.

(٢) الدعوة إلى الإسلام، تأليف سير توماس .و. أرنولد ص ٣٣١ وما بعدها / مكتبة النهضة المصرية، ط ١٩٥٧.

أصحاب الرسول الذين هاجروا إلى الحبشة في السنة الخامسة من بعثته ﷺ، فراراً بدينهم من الفتنة، بعد أن كانت قد استقبلت كثيراً من القبائل العربية قبل الإسلام استوطنت الحبشة والسودان؟!

ثم كان من تأثير اللغة العربية في إفريقية نشوء اللغة السواحلية المكونة من العربية ولغات إفريقية أخرى، انتشرت داخل القارة الإفريقية، وقامت بدور الوسيط لإدخال الكثير من المفردات العربية إلى اللغات الإفريقية، ولإعطاء اللغة العربية مكانة مميزة في معظم البلدان الإفريقية.

وإننا لنجد التأثير ذاته في اقتحام نسبة كبيرة من المفردات العربية؛ سائر لغات البلدان الشرقية التي دخلها الإسلام، كالهند، وباكستان، وتركيا، وإيران، وأفغانستان، ومعظمها ما زال يستخدم الحرف العربي في لغته ويكتب به<sup>(٣)</sup>.

وفي الأندلس التي احتضنت ازدهار الحضارة العربية الإسلامية قرونًا، كان الغرب فيها يغطُّ في نوم عميق، يلفُّه الجهل والتخلف من سائر أركانه، ترك المسلمون بلغتهم العربية تراثاً علمياً ثراً لا يحصى عدده، مثلما تركوا بصمات وكلمات كثيرة لا تزال ماثرة في اللغة الإسبانية حتى اليوم، تحملها لافتات الشوارع مثل ساحة (ألي أثار) في غرناطة التي خلدت اسم علي العطار؛ المقاوم المسلم العنيد إبان نكبة الأندلس.

## ٢- أدب المهجر:

وعندما هاجر العرب - مسلمين ومسيحيين - إلى أمريكا اللاتينية، مطلع القرن العشرين الماضي، قاموا بتأسيس الجمعيات والنوادي

(٣) رحلة مع النقوش الكتابية الإسلامية في بلاد البنغال - د. محمد يوسف صديق،

والمدارس والصحف، يمارسون بها نشاطاتهم الثقافية والاجتماعية، ويرفدون الثقافة العربية بأدب مميز استطاع - إلى حدّ ما - حماية أبنائهم من الانصهار والذوبان، ونسيان لغتهم في المجتمعات التي يعيشون فيها، ذلكم هو أدب المهجر<sup>(٤)</sup>.

كان هذا أول التحديات الذي أثبتت اللغة العربية فيه قدرتها الخارقة، على الانتشار الجغرافي السريع لتصبح بحق لغة العالم الأولى، تؤثر في لغاته المحلية، وتتعايش معها دون أن تلغيها..

### ٣- التحدي العلمي:

أما التحدي الكبير الثالث فكان التحدي العلمي الذي فرضه ارتقاء المسلمين في معارج الحضارة، تحت راية الأمر الإلهي لهم بالقراءة، وحثهم على استخدام كل ما يتعلق بها من مفردات: الكتاب، والقلم، والقرطاس، والمداد، والعلم، والعقل، والتفكير، والنظر، والتدبر؛ فراحوا يجوبون الآفاق طلباً للعلم، ما إن يعثروا عليه في أي لغة وبأي وعاء حتى يترجموه ويدرسوه وينقدوه ويحللوه، ثم يصهره في بوتقتهم ليعيدوا إنتاجه خلقاً جديداً خاضعاً لقيمهم ومعاييرهم.. لم ترعّبهم فلسفات الإغريق التي أحكمت الكنيسة الإغلاق على كتبها في قبرص، خشية أن يضل بها الناس، فطلبها المأمون غراماً<sup>(٥)</sup> عند فتحه الجزيرة، فكان سعيداً بالحصول عليها؛ ما إن وصلته حتى وضعها في أيدي مترجميه في بيت الحكمة، مثلما كان القبارصة سعداء بالتخلص منها.. ولم يلبث هؤلاء التراجمة أن استوعبوها، واشتقوا لها من العربية مفرداتٍ أكثر دقة في التعبير عن مضامينها..

(٤) ميخائيل نعيمة ت ١٩٨٨ / جبران خليل جبران ت ١٩٣١ / نسيب عريضة ت ١٩٤٦.

(٥) دور الكتب العربية العامة وشبه العامة؛ د. يوسف العش / ط دار الفكر ١٩٩١، ص ٦٠.

## ٤ - معركة التريك:

وتتلاحق التحديات تروم النيل من هذه اللغة العتيدة؛ فلا تخرج منها إلا أصلب عوداً وأكثر شباباً وحيوية.. خاضت معركة التريك، فخرجت منها بمجموعة من المعاجم الطبية والعلمية<sup>(٦)</sup> والزراعية والعسكرية، ما لبثت أن وضعتها في التداول، وأسست عليها كلية للطب في جامعة دمشق؛ التي كانت الوحيدة في الوطن العربي التي تدرس الطب بلغة عربية فصيحة منذ عام ١٩١٩م.

## ٥ - الاستعمار:

ثم خاضت معارك الاستعمار فكانت سجالات: استطاعت في الجزائر بجهود جمعية العلماء<sup>(٧)</sup>، ومدارس تعليم العربية التي أسسها رئيسها عبد الحميد بن باديس<sup>(٨)</sup> أن تشعل ثورة نجحت في طرد المستعمر الفرنسي عسكرياً، وما تزال بعد خمسين سنة من طرده تعاني الأمرين مما تركه لها من تلوث لغوي شوّه لسانها، وذهب بشرط واسع من أبنائها؛ أنساه لغته، فقطع صلته بثقافته وتراثه، وأضعف مشاعر الانتماء لديه، وتركه حائراً بين بين؛ لا يدري أأعجمي هو أم عربي؟! وما تزال المعركة محتدمة على أشدها بين تيار التعريب والفرانكوفونية<sup>(٩)</sup> في المجتمع الجزائري من جهة، وفي داخل الإنسان الجزائري الذي نسي لغته على لسانه، وما تزال جذورها حيّة في ضميره؛ تنتظر المناخ الملائم لنموها من جهة أخرى.

(٦) مجلة مجمع اللغة العربية الجزء الخامس - المجلد الأول. ط ١٩٢٠.

(٧) أسست عام ١٩٣١.

(٨) عبد الحميد بن باديس: ت ١٣٥٩هـ = ١٩٤٠م [الأعلام للزركلي مج ٣ ص ٢٨٩].

(٩) أدركوا الدعائم ١ - اللغة. د. إبراهيم حقي، ط ٢٠١٢ دار الفكر، ص ٢٣.

## ثانياً: التحديات الراهنة:

تلکم هي بعض التحديات التاريخية الكبرى التي واجهتها اللغة العربية بكفاية، فماذا عن التحديات الراهنة وما أسباب عجزنا عن مواجهتها؟!

### ١- العولمة:

ربما تكون العولمة أول هذه التحديات، فقد يبدو للمراقب - للوهلة الأولى - أن تيار العولمة الجارف، قد نجح في كسر الحواجز وإلغاء الفروق بين الثقافات، وأن ثورتي الاتصالات والمعلومات قد حوّلتا العالم إلى قرية واحدة، من أبسط مقوماتها أن تتحدث بلغة واحدة، وتشعر بمشاعر واحدة؛ لتعمل تحت راية واحدة، تقودها حكومة واحدة..

لكن بعض التأمل في طبيعة هاتين الثورتين، اللتين تفجرتا بين يدي عصر المعرفة، الذي تنعطف إليه الإنسانية بسرعة مذهلة مودّعة عصر الصناعة الآفل، سوف يلفت أنظارنا إلى حقائق مغايرة:

فالعولمة قناع، ما إن ينكشف حتى يبدو لنا الوجه الكالح المختبئ وراءه باسمه الصريح (الأمركة).

والأمركة (بمعنى التفرد بحكم العالم) حلم راود سدنة البيت الأبيض منذ انهيار الاتحاد السوفيتي الذي أخل بتوازن النظام العالمي.

أما الأمركة (بمعنى فرض النمط الأمريكي للعيش، بكل مصطلحاته، على العالم)، فواقع روّجت له الآلة الإعلامية الضخمة التي واكبت تفوق أمريكا التكنولوجي المذهل.

والأمركة بكل أوجهها الثقافية والسياسية والعسكرية والاقتصادية، ترى فرض لغتها على العالم حقاً ونتيجة طبيعية لهيمنتها، كي تكون لغة التخاطب بين المركز والأطراف.

لكن أحلام أمريكا الإمبراطورية التي تنتمي إلى عصور تاريخية قديمة، قد تجاوزها الزمن، وهي لا تمتُّ بصلّة إلى عصر المعرفة القادم، بمنطلقاته الفكرية ومرتكزاته الإنسانية والقيمية.

لقد فجرت ثورتا المعلومات والاتصالات المعرفة بين أيدي أجيال البشرية القادمة، وألغت الاحتكار والتفرد، ووسعت دائرة التعدد لتصبح في متناول كل فرد..

فالقريبة العالمية الواحدة، ستكون أزخر بالتنوع والتعدد، وأكثر وعياً بالديمقراطية - في الوقت ذاته - من أن تسلّم قيادها للكبار، تمنحهم حق النقض (الفيتو) لتلغي به شخصيتها القائمة على التعدد، وحققها في الوجود والعدالة المساواة.

وسيكون أفرادها من كل لون ولسان وجنس على عتبة سباق واحدة، يفوز فيه من كان أنضج فكراً، وأبعد نظراً؛ مثلما تصبح اللغات كلها أمام امتحان صعب، يفوز فيه الأقدر منها على الاشتقاق والتركيب والاختصار والرميز؛ لاستيعاب سيل المعلومات المتفجرة.

## ٢- التقدم العلمي والتقني:

فالمنتج للمعرفة وأشياؤها هو المعنى الرئيسي بتسمية المنتج العلمي والتقني وتحديد رموزه ومصطلحاته، وما على المستهلك إلا أن يسميها بأسمائها، ويدرسها بلغتها إلى أن يستكمل نقصه العلمي ويتحول إلى مرتبة الإنتاج.. ولعمري إن هذا الزعم ينطوي على عدة مغالطات:

أولها: أن أحداً من الأمم لم يأخذ به، فما من أمة أهملت لغتها لتدرس العلوم بلغة أخرى تحت هذه الذريعة، وهذه فرنسا تضع لكل مصطلح

أجنبي مصطلحاً بلغتها<sup>(١٠)</sup>، وتعد إهماله جرماً يعاقب عليه القانون. وهذه اليابان التي غزت العالم بمنتجاتها الصناعية والإلكترونية، من المؤكد أن جامعاتها تدرّس العلوم بلغتها اليابانية، ولم يخطر ببالها أن تسوّق لغتها مصاحبة لمنتجاتها.

وثانيها: أن اتهام العربية بأنها لغة آداب فقط فريضة دحضتها تجاربها التاريخية البعيدة إبان المأمون العباسي، والقريبة في تجربة كلية الطب في سورية. فالعجز ليس في اللغة، بقدر ما هو ضعف في الإرادة وخور في العزيمة؛ سوف يؤول بنا - إن استمر - إلى مزيد من الذل والتبعية والانهازم.

وثالثها: أن التحوّل في مدارسنا وجامعاتنا عن التعليم بلغتنا العربية إلى لغات أجنبية بدءاً برياض الأطفال جريمة كبرى وانسلاخ من الذات والهوية، سيكون وصمة عارٍ على جبين الجيل الذي هانت عليه نفسه قبل أن تهون عليه لغته.

إن تعلم اللغات الأجنبية شيء والتعليم بها شيء آخر، فتعلم اللغات الأجنبية وإتقانها أمر هام، وضرورة للتواصل مع العلم، أما تدريس سائر العلوم بلغة أجنبية، وهو الأمر الذي أخذ ينتشر ويتنامى في المدارس والجامعات الخاصة، فظاهرة خطيرة تجب معالجتها واستئصالها قبل أن تستفحل، مهما روج لها دعاة التغريب والتبعية..

وإن الاستخدام المكثف للغة العربية في التعليم بجميع مراحلها، وفي نشاطاتنا الثقافية، ومعاملاتنا الاقتصادية، سوف يطور مصطلحاتنا، ويثبت حيوية لغتنا وقدرتها على استيعاب المستجدات، وهو ما يتطلب الكثير من الوعي والجهد..

(١٠) أدركوا الدعائم اللغوية/ د. إبراهيم حقي، ط ٢٠١٢ دار الفكر، ص ٢٣.



## ٣- العامية والفصحى:

تتنامي دعوات لاستخدام العامية بديلاً من الفصحى، بحجة أن اللغة كائن اجتماعي متطور<sup>(١١)</sup> ومتغير، ينتجه المجتمع حسب طاقته وحيويته، وحسب حاجاته وإنتاجه..

وتجاوباً مع هذه الدعوات قامت إذاعات وقنوات فضائية، تلوي ألسنتها، لتروج كل منها لعامية بلدها، وتمادى التعصب للعاميات، حتى أصبحت لغة الخطاب والمحاضرة والتعليم، وغداً كثير من المثقفين عاجزاً عن صوغ جملة واحدة بالفصحى؛ دون ارتكاب أخطاءٍ مخزية فيها، بسبب إهماله استخدامها، وإفقه استخدام العاميات.

لست من دعاة إلغاء العاميات لإحلال الفصحى محلها، فلكل دوره ومكانه، إنما أدعو إلى تفصيح العامية لتقترب من الفصحى ما أمكن، ولترتقي باللغات العامية الدارجة فتتقارب. وقد أثمرت هذه الدعوة أواسط القرن الماضي، فاندثرت كلمات عامية هابطة، وحلت محلها كلمات فصيحة<sup>(١٢)</sup> درجت على ألسنة الناس، وحققت فعلاً اجتماعياً أكد حيوية المجتمع وقدرته على تطوير لغته نحو الأسمى.. أما ترك العاميات تتطور عفويًا لتواصل هبوطها وهجتها، فلا أراه دليلاً على حيوية المجتمع، مهما حاول المتشدقون إضفاء صفات الحيوية والحراك الاجتماعي عليها.

ومن تجربتي الشخصية بصفتي ناشراً عربياً أتواصل يومياً مع ناشرين

(١١) في طرائق تدريس اللغة العربية . د. محمود أحمد السيد، منشورات جامعة دمشق ص ٩ وما بعدها.

(١٢) للاستزادة يُنظر معجم الكنايات العامية والشامية ومعجم العامي الفصيح، د. محمد رضوان الداية، ط دار الفكر ٢٠٠٢-٢٠٠٤ م.

من أقطار عربية متباينة اللهجات، أستطيع أن أؤكد أن الفصحى اللينة هي أنجع وسيلة للتفاهم بيننا، لولاها لاحتاج كلُّ منَّا إلى الاستفسار عن ربع المفردات العامية المحلية، أو إلى الاستعانة بمجموعة من القواميس الشارحة لها.

\* \* \*

## إطلاق سراح العلم

(Science set free)

بقلم الدكتور روبرت شيلدريك

Rupert Sheldrake

ترجمة الدكتور عمر شابسيغ (\*)

### تقديم للمقالة من المترجم:

قررت ترجمة مقدمة هذا الكتاب ونشره في مجلة المجمع لما فيه من فائدة في إدراك الأمور التي تجري في الساحة العلمية. ومع كل التقدم الذي حصل في العلوم والتقانات فقد لاحظت شخصياً - كما لاحظ ويلاحظ الكثير من العلماء على مستوى العالم - وأنا أحاول القيام ببحوث علمية أنه قد ظهرت في القرن الفائت مدارس علمية تحتكر العلوم المختلفة لها ولمن يوافقها من آراء علمية وتقاوم بشدة أي تعديل أو نقد لما يؤمنون به من علوم حتى ولو كان ذلك التعديل أو النقد مبنياً على رياضيات حقيقية تتناسب مع الطبيعة تماماً، ووصل الأمر بهم إلى تزوير نتائج تجارب يقومون بها لتتوافق مع أفكارهم هم. وقد تبين لي أن هذا التشنج الفكري والعلمي والتعصب منتشر انتشاراً مُريعاً في الأوساط الجامعية العالمية ومراكز البحوث والمنشورات العلمية. وأثر ذلك على تقدم العلوم والتقانات. واستطاعت

---

(\*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

هذه المدارس العلمية أن تسيطر على الموارد المالية للبحوث فزادت في عرقله التقدم وحرّفته عن اتجاهاته اللازمة.

مؤلف الكتاب الذي أترجم مقدمته عانى من تعصب هذه المدارس العلمية وقضى مدة عشر سنوات وهو يبحث في كل ما حلّ بالعلوم. أقوم هنا بالترجمة وأدعو الجمهور أن يقرأ الكتاب كاملاً.

### الترجمة:

خلال سنوات عملي شاهدت الكثير من الأمور التي لم تفسر علمياً تفسيراً صحيحاً. من هذه الأمور مسألة حمام الزاجل وهي مسألة كنت أفكر فيها منذ صغري. كان السؤال هو كيف يجد الحمام بيته من مسافات تبلغ مئات الكيلومترات فوق أراض لا يعرفها، حتى إنه يقطع البحار لهذا الغرض؟ وحتى لو كانت عند طيور الحمام حاسة الحقل المغناطيسي فلا تستطيع معرفة بيوتها فقط بمعرفة اتجاهات الحقل المغناطيسي. فلو نزل إنسان بمظلة في منطقة مجهولة ومعه بوصلة فسيعرف أين اتجاه الشمال المغناطيسي ولكن لن يعرف أبداً أين يوجد منزله.

وعرفت أن ملاحظة طيور الحمام هي فقط إحدى القوى الحيوانية التي لم تُفسّر. ومثال آخر هو قدرة بعض الكلاب على معرفة موعد عودة صاحبها إلى البيت. فهل هذا تواصل عن بعد؟ (telepathy)؟

لم يكن من الصعب ولا من المكلف علي أن أقوم بأبحاث عن هذه الأمور وكانت النتائج مذهلة ونشرت كتاباً في عام (١٩٩٤) اسمه (سبع تجارب يمكن أن تغير العالم) واقترحت فيه القيام بتجارب يمكنها أن تغير أفكارنا عن طبيعة الحقيقة (nature of reality) وقمت بنشر كتابين الأول باسم (كلاب تعرف موعد عودة أصحابها إلى البيت) في عام (١٩٩٩) والثاني

باسم (الشعور بأن هناك من يحملق فيك) في عام (٢٠٠٣).  
 خلال العشرين سنة الماضية كنت زميلاً في معهد علوم الملكات  
 العقلية (noetic) في سان فرانسيسكو. كما أنني عضو في كثير من الجمعيات  
 العلمية من بينها جمعية البيولوجيا العملية وجمعية الاكتشافات العلمية. لقد  
 قضيت حياتي أشتغل بالعلم وأنا أو من بقوة بأهمية المقاربة العلمية للأمور.  
 ومع ذلك ازدادت قناعتني أن العلوم قد فقدت حيويتها وقوتها وفضولها، إذ  
 إن الفكر العقائدي شبه الديني والاتجاه إلى التوافق المبني على الخوف  
 والعطالة المؤسساتية كل ذلك يمنع الإبداع العلمي.

فوجئت أنا وكثيراً من زملائي العلماء مرات ومرات بالتباين بين  
 النقاشات العامة public بين العلماء وبين نقاشاتهم الخاصة. ففي المجالس  
 العامة يدرك العلماء المحظورات القوية التي تحصر مجال المواضيع  
 المسموح بها أما في المجالس الخاصة فيكون العلماء أكثر جرأة.  
 كتبت كتابي هذا لإيماني أن العلوم ستكون أكثر إثارة وجاذبية وصحيحة  
 عندما تغادر عباءة العقائد العلمية التي تقيد البحث وتسجن الإبداع.

### العقائد السبع في العلم الحديث:

إن النظرة الاعتبارية العلمية ذات تأثير كبير لأن العلوم كانت ناجحة إلى  
 حدٍّ بعيد فهي تمسُّ كلَّ حياتنا بفضل التقانات والطب الحديث. تحول  
 عالمنا الفكري بقدرٍ كبير بالتوسع الهائل في معرفة الجزيئات الصغيرة جداً  
 جداً للمادة ومجاهل الكون الواسع في كون مستمر بالتوسع.

غير أنه عندما نظن أن العلم والتقانة في العقد الثاني من القرن الحادي  
 والعشرين هما في ذروة قوتهما وفي توسع تأثيرهما إلى كافة أرجاء العالم  
 وعندما يجب أن يكون انتصارهما غير قابل للنقاش تظهر مشاكل غير متوقعة

تقوم بالتشويش على العلوم من داخلها. يعتقد أكثر العلماء أن هذه المشاكل سيمكن حلها مع الزمن بالاستمرار في البحوث بالطرق المقررة ولكن هناك بعض آخر وأنا منهم نعتقد بأن المشاكل هي أعراض لمرض أكثر عمقاً.

في هذا الكتاب أقول بأن العلم لم يعد يتقدم كما يجب بسبب فرضيات تعود لقرون مضت، تصلبت بحيث أصبحت عقائد. وأعتقد أن العلوم ستكون في وضع أفضل دون ذلك وستكون أكثر حرية في الانطلاق إلى عمق الحقائق الصحيحة وأكثر متعة وإثارة.

إن أكبر وهم علمي هو في أن العلم يعرف كل الإجابات وأن المبادئ الأساسية قد أصبحت راسخة ولم يبق إلا إضافة بعض التفاصيل.

العلم المعاصر يعتمد على ادعاء أن كل الحقيقة هي حقيقة مادية وأنه لا توجد إلا حقائق مادية. وأن الإدراك مثلاً هي نتيجة لعمليات مادية في الدماغ وأن المادة هي شيء لا وعي له ولا إدراك. وأن التطور هو دون غرض نهائي. وأن الله هو فكرة في عقول الناس موجودة في رؤوسهم.

أصبحت هذه المعتقدات قوية جداً ليس بسبب تفكير العلماء بها تفكيراً نقدياً critical بل لأنه لم يكن تفكيراً نقدياً. إن الحقائق العلمية حقيقية وكذلك التقنيات التي يستخدمها العلماء وما نتج عنها من تقانات. إلا أن نظام الاعتقاد الذي يحكم التفكير العلمي هو نظام إيماني بمعنى تشبته بمعتقدات علمية جامدة مؤسسة على عقائد من القرن التاسع عشر.

إن الكتاب الحالي هو مع العلم، فأنا أريد للعلوم أن تكون أقل عقائدية (بمعنى التشبث بفرضيات قديمة غير مؤسسة على علم صحيح وعلى الحقيقة) وأكثر علمية. إنني أؤمن بأن العلوم ستولد من جديد عند تحررها من العقائد التي تقيدها.

## ١ - الإيمان العلمي:

فيما يلي المعتقدات الأساسية التي يعتقد العلماء بأنها صحيحة:

١ - كلُّ شيءٍ هو أساساً ميكانيكي. فالكلب مثلاً هو آلية معقدة بدلاً من أن يكون كائناً حياً له أهداف خاصة به. وحتى الإنسان فهو مثل الآلة له مخ يشبه الحواسيب المبرمجة جينياً.

٢ - كلُّ المادة غير واعية unconscious وليس لها حياة داخلية أو خصوصية أو وجهة نظر. وحتى الوعي الإنساني غير موجود بل هو خيال ناتج عن العمليات المادية للدماغ.

٣ - الكمية الإجمالية للطاقة والمادة دائماً ثابتة (باستثناء الانفجار العظيم Big Bang عندما ظهرت كل المادة والطاقة الموجودة في الكون فجأة من العدم).

٤ - قوانين الطبيعة ثابتة فهي اليوم كما كانت في البداية وكما ستكون دائماً.

٥ - ليس هناك هدف من الطبيعة وليس هناك هدف أو اتجاه آخر للتطور.

٦ - كل الموروث البيولوجي (الحيوي) هو أمرٌ مادي موجود في الجينات وال DNA وفي أمور مادية.

٧ - العقول موجودة ضمن الجمجمة وهي عبارة عن نشاط دماغي فقط. وعندما ننظر مثلاً إلى شجرة فإن خيال الشجرة ليس هناك حيث تقف الشجرة ولكن داخل دماغك.

٨ - الذاكرات تتخزن بطرق مادية في الدماغ وتمسح عند الموت.

٩ - الظواهر التي لم تفسر كالتخاطب عن بعد telepathy هي أمور تخيلية.

١٠ - الأدوية هي الشيء الوحيد الذي يشفي الأمراض.

إن مجموع هذه المعتقدات تكوّن الفلسفة أو العقيدة المادية التي

تفترض أن كل شيء في العالم هو مادي بما في ذلك العقول. تغلب هذا الاعتقاد على العلوم في أواخر القرن التاسع عشر وحاليًا يعتبر ذلك وكأنه صحيح. لا يعرف الكثير من العلماء أن المادية هي أمر افتراضي بل يعتبرونها علمًا أو وجهة نظر علمية للحقيقة أو نظرة عالمية للعلم. وهؤلاء لم يتعلموا شيئاً آخر أو لم تعط لهم الفرصة ليناقشوا الأمر وهم يستوعبون ذلك الأمر بشكل عملية حلول osmosis. وحتى من يحاول البحث في اتجاه آخر فسوف تُحاربه المؤسسات العلمية المعتمدة.

وفي الاستخدام اليومي لكلمة (المادية) فإنها تعني طريقة حياة متجهة فقط إلى المصالح المادية مثل الثروة والرفاهية في الحياة. يجري تشجيع هذه الحالات بواسطة الفلسفة المادية التي تنفي وجود أية حقيقة روحية أو أهداف غير مادية إلا أنني في كتابي هذا تهمني فقط الادعاءات العلمية وليس تأثيرها على طريقة الحياة.

سأستخدم طريقة التشكيك لكي أحول كل واحد من هذه المعتقدات إلى سؤال أو مسألة وعندها ستنتفح أماننا مجالات جديدة عندما نأخذ فرضية مقبولة على نطاق واسع كبداية للتساؤل وليس كحقيقة غير قابلة للنقاش. فمثلاً إن فرضية أن الطبيعة ذات خواص ميكانيكية تصبح سؤالاً: (هل الطبيعة ذات خصائص ميكانيكية؟) وفرضية أن المادة ليس فيها إدراك تصبح سؤالاً (هل المادة دون إدراك؟).

في فصل الكلمات الأولى (prologue) سأقوم بدراسة العلم والدين والسلطة.

٢- مشكلة المصادقية في النظرة العالمية للعلم Scientific World Outlook:

خلال ما يزيد على مئتي عام قام الماديون بإطلاق الوعود بأن العلم



سيفسر كل شيء بواسطة الفيزياء والكيمياء. كما أن العلم سيرهن على أن المخلوقات الحية هي آلات حية والعقل ليس إلا نشاط دماغي وأنه ليس هناك هدف وراء وجود الطبيعة. أما المؤمنون فيعتقدون أن الاكتشافات العلمية ستعزز معتقداتهم. والآن وبالرغم من كل المنجزات العلمية والتقانات فإن للمادية مشكلة في المصادقية لم يكن أحد يتوقعها في القرن العشرين.

عندما كنت أدرس الكيمياء الحيوية في جامعة (كامبردج) في عام ١٩٦٣ دُعيت مع بعض الزملاء إلى سلسلة من اللقاءات الخاصة مع كل من (فرانيس كريك) Francis Crick و(سيدني برينر) Sidney Brenner في كلية الملك King's College في الجامعة. كان (برينر) و(كريك) قد ساهما قبل وقت قريب في فك الشيفرة الجينية. كان كلاهما ماديين حتى العظم إضافةً إلى كون (كريك) ملحدًا نشيطًا. وقد قاما بإعلامنا بوجود مشكلتين كبيرتين في البيولوجيا وهما: التطور والإدراك. وحسب أقوالهما لم يتم حل هاتين المشكلتين لأن من كان يعمل فيهما لم يكونوا أذكياء بقدر كافٍ وأنهما سيجدان الأجوبة خلال عشر سنين أو عشرين سنة. وتقرّر أن يأخذ (برينر) موضوع البيولوجيا التطورية و(كريك) موضوع الإدراك. قام الرجلان بدعوة مجموعتنا الطلابية للعمل معهما.

وبعد فترة طويلة تجاوزت الأربعين عاماً فشل كلاهما في مسعاه. وحتى الآن لا توجد براهين على أن الحياة والعقول يمكن تفسيرها بالكيمياء والفيزياء. إن المنطلق الأساسي للمادية هو أن المادة هي الحقيقة الوحيدة في العالم. وفي وقتنا الحالي لا يوجد إجماع عند علماء الأعصاب neuroscience حول طبيعة العقل. وقد صرح الفيلسوف (دافيد تشالمرز) David Chalmers بأن مجرد وجود التجربة الشخصية في الأمور هو مشكلة

صعبة جداً وتكمن الصعوبة في التحدي من عدم إمكان تفسيرها بواسطة آلية محددة. وحتى لو فهمنا كيف تقوم العين والدماغ بالاستجابة للون الأحمر مثلاً فإنه لا يمكن تفسير الشعور باللون الأحمر.

إنني مقتنع بأن العلوم وتطورها تجري إعاقتها بواسطة افتراضات انقلبت إلى عقائد يحافظ عليها بواسطة محرمات taboo قوية. هذه العقائد تقوم بحماية قلعة العلم المؤسساتية وبذلك تصبح عوائق أمام التفكير الحر.

## الكلمات الأولى

منذ نهاية القرن التاسع عشر سيطرت العلوم وغيرت الأرض. فقد لامست حياة كل الناس بواسطة الثقافة والطب الحديث. وهيبة العلم الفكرية لا يمكن للإنسان أن يتحداها، وتأثيره أعظم من تأثير أي نظام فكري آخر عبر التاريخ الإنساني. ومع أن أكثر جزء من قوة العلوم يأتي من التطبيقات العملية فإن لها جاذبية فكرية أيضاً، فهي تقدم طرقاً جديدةً في فهم العالم ويشمل ذلك الترتيب الرياضي في قلب الذرة والجزيء والبيولوجيا الجزيئية للجينات والامتداد الواسع للتطور في علم الفضاء والكون.

### ١- الكهنوت العلمي:

كان (فرانسيس بيكون) Francis Bacon (١٥٦١-١٦٥٦) السياسي والمحامي الذي أصبح وزيراً للعدل في بريطانيا قد تنبأ بقوة العلم المنظم organized وبرأيه فإن مفتاح هذه القوة الجديدة كان في إقامة مؤسسات منظمة للبحث. وفي مقالة له في عام ١٦٢٤ قام (بيكون) بتوصيف تكنوقراطيا مثالية تقوم فيها كهنوتية علمية باتخاذ القرارات لمصلحة الدولة ككل. ويلبس أعضاء

هذا الكهنوت ملابس طويلة ويعاملون كما يستحقون حسب قوتهم وهيتهم. وبرأي (بيكون) فإن الهدف العام لمثل هذه المؤسسة هو معرفة أسباب وأسرار حركة الأشياء. وكان (بيكون) يحب أن يرى العلم مرتباً كهنوتياً مثل كنيسة إنكلترا. وقد كانت تنبؤاته صحيحة ففي الدول الرأسمالية والاشتراكية تكون الأكاديميات العلمية التابعة للدولة هي مراكز القوة في المؤسسة العلمية. ويقوم العلماء بدور الكهنة ويؤثرون على سياسات الدولة في فنون الحرب والصناعة والزراعة والطب والتعليم والبحث.

مع بدايات القرن العشرين أصبح التعامل مع العلوم كمؤسسات وكمهن، وازداد ذلك كثيراً بعد الحرب العالمية الثانية بسبب مساهمات الحكومات والشركات الكبرى. إن أعلى مستوى في تمويل البحوث هو في الولايات المتحدة حيث بلغ مجموع ما صرف على ذلك في عام ٢٠٠٨ (٣٩٨) مليار دولار منها (١٠٤) مليار من الحكومة. إلا أن الحكومات والمؤسسات لا تمول من أجل العلم فأكثر التمويل ينطبق عليه مبدأ (بيكون) (المعرفة قوة).

في خمسينيات القرن العشرين بلغ شأن العلوم المؤطرة في مؤسسات مستوى عالياً وكتب في ذلك مؤرخ العلوم (جورج سارتون) George Sarton بطريقة تشبه كلام الكنيسة الكاثوليكية قبل الإصلاح. «يمكن تحديد الحقيقة بأقوال الخبراء. فكل الأمور يجري إقرارها من قبل مجموعات صغيرة من الناس وربما بواسطة أفراد يجري التحقق من أقوالهم من قبل مجموعة صغيرة. ليس للناس الآخرين أي قول، وعليهم فقط القبول بما تقرر لهم. يجري التحكم بالنشاطات العلمية بهذه الطريقة في الجامعات والأكاديميات والجمعيات العلمية ولكن هذا التحكم مبعده نهائياً عن التحكم الشعبي ما أمكن ذلك».

وهكذا فقد تحقق حلم (بيكون) في إقامة الكهنوت العلمي وعلى مستوى عالمي.

### ٣- تخيل العلم الكلي omniscience:

إن موضوع العلم الكلي هو موضوع متكرر في تاريخ العلوم لأن العلماء دائماً يأملون في الوصول إلى معرفة كلية إلهية. في بدايات القرن التاسع عشر تخيل الفيزيائي (سيمون لابلاس) عقلاً علمياً قادراً على معرفة كل شيء والتنبؤ بكل شيء. ولم تنحصر مثل هذه الأفكار في الفيزياء فمثلاً (توماس هكسلي) Thomas Huxley الذي ساعد في نشر نظرية (داروين) في التطور قام بتوسيع الجبرية determinism الميكانيكية لتشمل كامل عملية التطور قائلاً:

«إذا كان المبدأ الأساسي للتطور صحيحاً بأن كل العالم الحي والجامد هو نتيجة التفاعل المتبادل حسب قوانين محددة بين القوى التي تملكها الجزيئات molecular التي تشكلت منها السديمية الأولية للكون فإنه من الصحيح أن كل ما في الكون جاء من هناك من تلك السديميات وأن الوصول إلى معلومات كافية وبمعرفة خصائص الذرات السديمية يمكن التنبؤ بالحياة الحيوانية لبريطانيا في عام ١٨٦٩».

عندما جرى تطبيق الجبرية determinism على نشاطات الدماغ البشري كانت النتيجة إلغاء الإرادة الحرة للإنسان على أساس أن كل النشاطات الفيزيائية والبيولوجية يمكن التنبؤ بها. لم يكن هذا الاعتقاد معتمداً على حقائق علمية بل على أساس الاعتقاد أن كل شيء يتحدد بقوانين رياضية.

وحتى في يومنا هذا هناك من العلماء من يعتقد أن الإرادة الحرة هي وهم. فهم يعتقدون بأن نشاط الدماغ يتحدد بعمليات ميكانيكية ولا يؤمنون

بوجود نفس غير ميكانيكية قادرة على الاختيار. فمثلاً صرح عالم الدماغ البريطاني (باتريك هاغارد) Patrick Haggard في عام (٢٠١٠) بما يلي: «كعالم أعصاب يجب أن تكون جبرياً. إذ توجد قوانين مادية تطيعها العمليات الكهربائية والكيميائية في الدماغ. فبوجود نفس الظروف لا يمكنك عمل أي شيء مختلف فليست هناك كلمة (أنا) التي يمكن أن تقول: (أنا أريد أن أعمل بشكل آخر)». إلا أن (هاغارد) لا يسمح لمعتقداته العلمية بالتداخل مع حياته الشخصية: «حياتي العلمية وحياتي الشخصية منفصلتان. ولا أزال أستطيع إقرار ما هي دار السينما التي أريد الذهاب إليها ولا أشعر بأن ذلك مقرر لي في قدرتي ولكنني أستطيع إقرار ذلك في دماغي».

### ٣ - عدم التحديد ولعبة الحظ indeterminism:

تبين في القرن العشرين أن كل الظواهر الطبيعية تقريباً هي ظواهر احتمالية probabilistic بما في ذلك جريان السوائل الحر وتكسر الأمواج على الشواطئ والطقس وكلها تظهر بشكل آني وغير محدد مما يستبعد التنبؤ الدقيق بها. وراصدو الطقس كثيراً ما يخطئون مع وجود حواسيب قوية لديهم وسيالة كبيرة من المعلومات من السواتل. وسبب ذلك ليس لأنهم غير علماء بل لأن الطقس بطبيعته غير قابل للتنبؤ به بالتفصيل فهو عشوائي. لا يمكن الوصول إلى الجزم بالأمر في أحوال العالم اليوم كما يحصل في الفيزياء المكمّاة quantum. وحتى مدارات الكواكب حول الشمس هي عشوائية على المدى الطويل مع أنها تظهر وكأنها ذات قوانين محددة.

وهكذا فإن الاعتقاد بالجبرية أو القسرية التي كانت معتمدة لدى العلماء في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ظهر بأنه خيال غير حقيقي. وكان تحرر العلماء من هذه العقيدة سبباً في تقبل مبدأ عدم التحديد في

الطبيعة بوجه عام وفي التطور بوجه خاص. وهكذا لم ينته أو يتوقف العلم عند التخلص من مبدأ الجبرية. ونفس الأمر سيحصل عند التخلص من العقائد التي لا تزال تقيد العلم فتعود العلوم إلى التجدد وبإمكانات كبيرة.

#### ٤- التخيلات والأوهام الأخرى عن العلم الكلي:

في نهايات القرن التاسع عشر كانت أوهام العلم الكلي قد أصبحت أبعد من الاعتقاد بالجبرية والحتمية. وكمثال على ذلك فقد كتب عالم الفلك الكندي (سيمون نيوكومب) Simon Newcomb في عام ١٨٨٨ يقول: «على الأغلب نحن نقرب من حدود ما يمكن أن نعرفه في الفلك». وفي عام (١٨٩٤) صرح (ألبرت ميكلسون) Albert Michelson الذي حاز جائزة (نوبل) لاحقاً: «لقد تم اكتشاف أهم القوانين الأساسية والحقائق في علم الفيزياء وهذه القوانين ثابتة لدرجة أن احتمال تغييرها لاحقاً بسبب اكتشافات جديدة هو جزء من المليون». كما صرح (اللورد كلفن) Kelvin في عام (١٩٠٠) أنه: «لا يوجد أي شيء جديد يمكن اكتشافه في الفيزياء الآن. وكل ما تبقى هو التدقيق في القياسات».

جرى تحطيم هذه المعتقدات في القرن العشرين بواسطة الفيزياء الكمومية quantum physics والانشطار والاندماج النووي واكتشاف المجرات galaxy ونظرية الانفجار العظيم Big Bang وهي فكرة بداية لكون صغير وحر جداً لدرجة عظيمة قبل حوالي (١٤) مليار سنة وأصبح يتوسع ويبرد ويتطور منذ ذلك الوقت.

ومع ذلك عاد وهم العلم الكلي ثانية إلى الظهور بنهاية القرن العشرين وذلك بسبب نجاحات فيزياء القرن العشرين والاكتشافات في مجال البيولوجيا العصبية والبيولوجيا الجزيئية. في عام (١٩٩٧) كتب (جون

هوغان) John Hogan كتاباً في مجلة Scientific American تحت اسم: «نهاية العلم: مواجهة حدود المعرفة في ضوء عصر العلوم» وبعد مقابله لكثير من العلماء قام هذا الكاتب بتقديم الأطروحة التالية:

«عندما يؤمن الإنسان بالعلوم فإنه عليه أن يتقبل إمكان أو احتمال أن العصر الذهبي للاكتشافات العلمية قد انقضى. ولا أعني بكلمة العلوم التطبيقية منها بل العلم بأكثر نقاوة وعظمة له أي البحث العميق لتفهم الكون ومكاننا فيه. والبحث الإضافي هنا لن يقدم ثورات في العلم بل ضبط لما هو موجود». إن كلام (هوغان) صحيح فعندما نكتشف شيئاً مثل بنية DNA فإنه لا يمكن أن نستمر في اكتشاف ذلك. إلا أن (هوغان) اعتبر أن كلاً أسس العلوم صحيحة. واعتبر أن الإجابات الأساسية أصبحت كلها معروفة مع أنها بغالبيتها ليست كذلك. وهذا الكلام يمنع العلم من التقدم وفيه كثير من الغرور الإنساني.

## ٥- العلم والمسيحية:

كان مؤسسو العلم الميكانيكي المادي في القرن السابع عشر مسيحيين: (كيبلر) - (غاليلي) - (ديكارت) (بيكون) - (بويل) - (نيوتن). وكان منهم (كيبلر) و(غاليلي) و(ديكارت) كاثوليكياً و(بيكون) و(بويل) و(نيوتن) بروتستانتياً. كان (بويل) أرستقراطياً غنياً وكان متحمساً للدين وصرف الكثير من المال لتمويل البعثات التبشيرية في الهند. وقضى نيوتن أكثر وقته وطاقته في الدراسات الإنجيلية مع اهتمام خاص لتأريخ مواعيد التنبؤات فقد قام بحساب أن يوم القيامة سيقع في الفترة بين عامي (٢٠٦٠) و(٢٣٤٤) وأورد ذلك بالتفصيل في كتابه «ملاحظات حول تنبؤات دانيال والقيامة عند القديس يوحنا».

أنشأ علم القرن السابع عشر رؤية الكون وكأنه آلة ذكية صممها وبدأها الله. وكل الأمور كانت محكومة بقوانين رياضية إلهية.

قبل القرن السابع عشر كان علماء الجامعات وكهنوت المسيحية يعتقدون أن الكون وكل مكوناته تسيره الأرواح والملائكة.

رفض العلم المادي الميكانيكي كل هذه المعتقدات وأصبح العالم المادي عالماً دون حياة وآلة دون روح. وكانت المادة بدون هدف وبدون وعي وكانت الكواكب والنجوم أجساماً ميتة. وفي هذا العالم والكون المادي كان العقل الإنساني هو الشيء الوحيد غير الميكانيكي. ولم يكن أحد يستطيع أن يفسر علاقة العقل بالآلة الجسم الإنساني إلا أن (ديكارت) اقترح أن ذلك كان يجري في الغدة النخامية دون أي برهان على ذلك.

بعد حادثة محاكمة (غاليلي) من قبل محكمة التفتيش الكاثوليكية انفصلت مجالات العلم والديانة المسيحية باتفاق متبادل وأصبح العلم متحرراً من تأثير الكنيسة واستمر ذلك حتى ظهرت أفكار الإلحاد بقوة في نهاية القرن الثامن عشر بعد الثورة الفرنسية وكانت هذه الأفكار لا تعترف إلا بالعلم المادي وأن العالم الروحي غير موجود وأن العقل الإنساني كان ناتجاً عن نشاط الدماغ فقط.

## ٦- العقائد الجامدة والمعتقدات والبحث الحر:

ليس أمراً مخالفاً للعلم أن يقوم الإنسان بالتساؤل عن الاعتقادات المتفق عليها والأساسية في العلم. ويقوم العلم الخلاق على روح البحث بعقل مفتوح. وبشكل مثالي يكون العلم عملية process وليس موقفاً أو نظاماً إيمانياً. يكون العلم تجديداً عندما يكون العلماء أحراراً في توجيه أسئلة جديدة وإنشاء نظريات جديدة. كتب مؤرخ العلوم (توماس كون) Thomas Kuhn في كتابه «بنية الثورات



العلمية» (Structure of Scientific Revolution) إنه في أحوال العلوم العادية يقوم أكثر العلماء بالتشارك بنموذج للحقيقة وبطريقة لسؤال الأسئلة قام بتسميتها (بالمثال المحتذى) (paradigm). فالمثال المحتذى الحاكم هو الذي يحدد الأسئلة التي يمكن للعلماء أن يسألوها وكيف تجري الإجابة عنها. والعلم العادي يحدث ضمن هذا الإطار ويقوم العلماء باستبعاد ما لا يدخل في هذا الإطار بطريقة جدلية. وتتراكم الحقائق الشاذة حتى تصل الأمور إلى حد الكارثة. أما التغيرات الثورية فتحدث عندما يتبنى الباحثون إطارات فكر وممارسة أكثر شمولية فيكونون قادرين على إدراج أفكار كان قد جرى رفضها سابقاً اعتقاداً بأنها شاذة. بمرور الوقت يصبح المثال المحتذى الجديد أساساً لطور جديد من العلم العادي. (انظر تعليق المترجم في نهاية المقالة).

ساعد (كون) في تركيز الانتباه على الوجه الاجتماعي للعلوم وقام بتذكيرنا بأن العلم هو نشاط جماعي ويجب ألا ننسى أن العلماء يتعرضون لكل قيود الحياة الاجتماعية الإنسانية بما في ذلك من ضغوط من قبل النظراء وضرورة التوافق مع قواعد هذه المجموعة. كانت أقوال (كون) قائمة على حقائق تاريخ العلوم ولكن علماء اجتماع العلوم قاموا بتطوير أفكاره بدراسة كيفية ممارسة العلوم عملياً وبدراسة كيف يقوم العلماء بإنشاء شبكات دعم لهم وكيف يدرسون الموارد المادية للبحوث والنتائج لزيادة قوتهم وسطوتهم وكيف يتنافسون على التمويل والجاه والاحترام.

إن الدراسة التي قام بها (برونو لاتور) Bruno Latour في كتابه «العلم يعمل: كيف نتابع العلماء والمهندسين عبر المجتمع» هي من أكثر الدراسات المؤثرة في هذا الموضوع. لاحظ (لاتور) أن العلماء كثيراً ما يفرقون بين المعرفة والمبادئ فالعلماء ضمن مجموعتهم المهنية يعرفون

الظواهر التي يغطيها مجالهم العلمي بينما أولئك الذين هم خارج المجموعة تكون معرفتهم مشوهة. وعندما يفكر العلماء بالآخرين الذين هم خارج مجموعتهم فإنهم يعجبون منهم كم هم غير منطقيين فيقول: «إن صورة غير العلماء في أذهان العلماء صورة باهتة فهم يظنون أن القلة من العقول تكتشف الحقائق بينما أغلبية الناس تملك أفكاراً غير منطقية أو على الأقل هم أسرى لعوامل كثيرة اجتماعية وثقافية ونفسية تجعلهم يلتصقون بعناد بأفكار مر عليها الزمن. وهم يعتقدون أن كل واحد منا يحمل عالماً نائماً في داخله وسيستيقظ عند إزاحة الشروط الاجتماعية والثقافية جانباً.

إن المؤمنين بالرؤية الشاملة العلمية يعتقدون أن كل ما هو مطلوب هو قيادة وعي الجماهير عن العلم بواسطة التعلم والوسائط الإعلامية.

منذ القرن التاسع عشر جرى نشر مبدأ المادية بنجاح وانقلب ملايين من الناس إلى هذه النظرة العلمية مع معرفتهم الضئيلة بالعلوم. فهم يمكن تسميتهم بأنهم رعايا كنيسة العلم التي يعمل العلماء كهنة لها فيمنعون العلم من التطور بكهنوتيتهم العلمية.

الغالبية العظمى من العلماء ليسوا مثاليين ولا يتقبلون النقد ويتشبثون بأفكارهم ويشوهون نتائج التجارب لتناسب مع أفكارهم ولو كانت خاطئة. بينما هم أناس عاديون لديهم من المشاعر والأخلاق ما لدى باقي الناس فليسوا باحثين عن الحقيقة وبعقول مفتوحة بل يتنافسون على التمويل والسيطرة وهم مقيدون بآراء زملائهم الذين يقيمون أعمالهم ويخضعون للمحظورات (Taboo).

إن كل ذلك يقودنا إلى تحويل الفرضيات إلى أسئلة لنصل إلى ما يعرفه ولا يعرفه العلم.

**ملاحظة للمترجم:**

لقد تعرضت مدة ثلاث سنوات لضغط ما سمّاه (روبرت شيلدريك) بكهنة كنيسة العلم. فقد قضيت هذه السنوات وأنا أحاول أن أنشر مقالة عن تعديل طفيف على نظرية النسبية لتوسيع تطبيقها. واكتشفت قبل أن أقرأ كتاب (شيلدريك) أن كهنة كنيسة العلم منتشرون بشكل كامل في كل الجامعات ومراكز البحث والجمعيات العلمية الكبرى والمجلات العلمية الكبرى واسعة الانتشار. وكهنة كنيسة العلم ليسوا فقط من العلماء ولكن موجودون في كل مفاصل الهيئات السابقة. فمثلاً في الجمعية الملكية في بريطانيا قمت بإرسال بحثي إليها فإذ بالجواب برفض النشر يأتيني من سكرتيرة النشر بحجة أن موضوع البحث ليس مقبولاً. قمت عندها بالاتصال برئيس الجمعية الملكية وأعلمته رفضي أن يجري تقييم بحثي من قبل سكرتيرة أو من قبل الهيئة الإدارية وعلمت لاحقاً أن الهيئة الإدارية أعطيت تعليمات برفض أي بحث يظهر وجود ولو خطأ صغير في تفسير نظرية النسبية دون عرضها على التقييم بواسطة علماء مختصين. بعد الاتصال برئيس الجمعية الملكية أرسل بحثي إلى عالم متخصص قام بالرد بأن بحثي مملوء بالأخطاء دون أن يبين ما هي تلك الأخطاء وعندما طلبت أن أعرف أخطائي لم يجيبوني. تكررت هذه الطريقة عند محاولتي النشر في كل المجلات المختصة والمواقع المختصة على الشبكة. هذه الحادثة تدل على قوة كنيسة العلم وعلى مدى تأثيرها في تأخير أو منع التقدم العلمي.

\* \* \*



التعريف والنقد



## نظرات في بعض قرارات لجنة اللغة العربية في الألفاظ والأساليب لعامي ٢٠١٣ - ٢٠١٤

د. عبد الناصر إسماعيل عسّاف (\*)

قامت هذه القرارات الثمانية عشر على إجازة بعض ما استعمله المعاصرون من ألفاظٍ وأساليبٍ مولدة موروثة، أو محدثة طارئة، أو قديمة تحفظ بعض الناس منها، أو رموها بما ليس فيها، ممّا التبس عليهم من أمرها، عن تشدد وتنطع، أو عن سوء فهم وتفسير؛ وكان عدد ما كان فيها من هذا القبيل ثلاثة عشر لفظاً وأسلوباً؛ وعلى تخطئة بعض ما جرى به استعمال المعاصرين من ألفاظٍ وأساليبٍ ومنعها، وكان عدد ما اشتملت عليه من هذا الباب ثمانية؛ وعلى ضبط ثلاثة تراكيب ممّا أحدثه المعاصرون ضبطاً نحوياً.

وبعض قرارات الإجازة والتصحيح قائمٌ على شجاعة وجرأة تمحو ما علق بالأذهان من وسم المجمع وما يصدر عنه بالجمود والتقليد اللذين يعاندان الجديد، ويحظران التطور، ويمنعان الأساليب والألفاظ المعاصرة، لكن بعض ما وقع فيها من ذلك لا يعدو أن يكون تسويغ استعمال ليس له من بنية الاستدلال العلمي المحكم شيء. وإذا أبدى بعضها للمدقق استعانةً

---

(\*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

ببعض أصول اللغة العامّة الصحيحة من جواز الاشتقاق من اسم الذات أو من الجملة والتركيب، أو اختلاف الدلالة لاختلاف حروف الجرّ التي يتعدّى بها الفعل الواحد مثلاً، فإن أصول الاستدلال في بعضها كان واهياً جدّاً، يبدو لك في قياس رقيق يمكن أن تخزّقه نسيم الصبا، أو بينات سماع ونقل ضعيفة جدّاً مبنية على أرض رخوة من تحريف «المكتبة الشاملة» أحياناً، أو من خطأ في قراءة النصّ وتفسيره.

وإذا كان في قرارات الإجازة والتصحيح شيءٌ غير قليل من الشجاعة والسّماحة، فإنّ بعض ما بُني على المنع والتخطئة غشيه شيءٌ من تحجير الواسع، وأخذ من العجلة ما لو اكتسى ثوب الحكمة والأناة لكان وراءه تلبّث أو توقّف.

ومن الحسن قبل أن أبدي رأيي في بعض ما كان في تلك القرارات، أن أقترح ثلاثة أمور أملاها عليّ النظّر في تلك القرارات:

١- من المفيد أن ينهض للبحث فيما تريد لجنة الألفاظ والأساليب أن تنظر فيه وترى فيه رأيها، من ألفاظ وأساليب، باحثان فأكثر؛ لما في ذلك من إغناء وتلاحق أفكار وتعدّد آراء، يحقّق لتلك القرارات ما ينبغي ويليق بها من إحكام، ويحفظ لها هيتها بعيداً عمّا لا يحسن من هفوات علميّة ومنهجية تتسلّل إليها هنا وهناك.

٢- ينبغي أن يتضمّن القرار النصّ على ما ينوب عن اللفظ أو الأسلوب المختلف فيه، ويُذكر في ذلك ما سلّم من الاعتراض والخلاف، أو كان أولى أو أعلى في الصّحة أو الفصاحة أو الكثرة.

٣- يقع في عبارة قرار اللجنة الذي ينتهي به الكلام على هذا اللفظ أو ذاك الأسلوب أحياناً من التغيير الذي أصاب المقترّح بوجه من الوجوه، ما



لا نجد له تفسيراً، نصّاً أو إشارة. فمن ذلك ما كان في القرارات التي تناولت ألفاظ «جايل، حبذ، مهمّة». وتترك أشياء حقها ومقتضى الكلام، ولاسيما التعليل، أن تكون في هذا القرار أو ذاك. ومن ذلك مثلاً ما كان في القرارات التي تناولت ضبط التراكيب المزجّية ضبطاً نحوياً، وكلمتي «نوايا» و«مهمّة». فهل كان ذلك عن سهو، أم كان وراءه شيء يدعو إليه؟.

فمن الواجب في رأيي أن ينبّه القرارُ تنبيهاً مفسراً معللاً على ما كان من ذلك تركاً أو تبديلاً.

\* النظر في القرار (١٨٥) الذي تناول ضبط نحو: «أمين عام الجامعة» ضبطاً نحوياً، دالٌّ على أن ذلك الضبط لا خلاف فيه، وهو ممّا لا ينبغي أن يكون فيه ذلك؛ لأنّه ليس فيه ما يدعو إلى مثله، وليس فيه عناء أو اعتياص؛ ومن ثمّ لا حاجة أن يُخصّص بقرار. لكنّ الخلاف في صحّة التركيب نفسه وجوازه، وهو الذي ينبغي تناوله، وبتّ الرأي فيه. ويدلّ على ذلك من قرار اللجنة «تحفظ د. مازن المبارك.... لأنّ معنى التركيب يلبس ليصبح: أمين عموم الجامعة».

وممّا يؤكّد ذلك أنّ التعليل نهض إلى تسويغ هذا التركيب وتفسيره، وبنى عليه صحّته. وهذا التعليل عندي دالٌّ على قطيعة وانفصام في حلقات القرار؛ لأنّ قضية الاقتراح وقرار اللجنة ضبط هذا التركيب نحوياً، ومدار التعليل على إجازة هذا التركيب وصحّته.

ومن ثمّ كان المناسب أن يُعنى القرارُ بالحكم على التركيب من حيث الصحّة والجواز، بما ينبغي من بينات وأدلة، وأن ينصّ عليه نصّاً؛ وإن أجازته مجمع اللغة العربيّة في القاهرة، فكم من لفظ أو أسلوب رأى فيه مجمع اللغة العربيّة في القاهرة رأيه، قلّده فيه اللجنة في هذه القرارات

وتقفّت أثره، - وإذا شاء ذكر بعد ذلك الضبط النحويّ المناسب، ونصّ عليه؛ لأنّه تحصيل حاصل لا يخفى.

هذا، وينبغي التنبية على أنّ في التعبير عن ذلك أسلوبين آخرين: «أمين الجامعة العامّ - الأمين العامّ للجامعة، مجلس المدينة المحليّ - المجلس المحليّ للمدينة،....»؛ وأنّهما أولى من هذا الأسلوب المختلّف فيه؛ لخلوّهما ممّا في ذلك الأسلوب من اعتياص والتواء في أداء المعنى، الذي يحتاج إدراكه على وجهه إلى شيء من توقّف وتدبّر لا تجده فيهما، ولما في ذلك الأسلوب من خروج عن الأصل، وارتكاب ما فيه الخلاف من وجهين: إضافة الموصوف إلى صفته، والفصل بين المضاف والمضاف إليه.

\* خطأ القرار (١٨٦) استعمال المعاصرين (التواجد) بمعنى الاجتماع أو ما في معناه في نحو قولهم: «على الموظّفين التواجد في مكاتبهم»؛ لانتفاء أيّ دليل لغويّ على صحّته؛ ورأى الصواب في استعمال «الحضور أو الاجتماع أو التجمّع أو لزوم المكان أو الالتقاء» كلّ بحسب سياقه.

وهذا رأي سديد أيده القرار بما ساق له في التعليل من بينات دالة على انتفاء استعمال «تواجد» وتصريفاته بهذا المعنى سماعاً أو قياساً؛ لأنّ هذا الفعل وما أخذ منه استعمل بمعنى: أرى من نفسه الوجد، وهو الحبّ؛ وليس في مادّة (وجد) وتصريفاتها، على تعدّد دلالاتها، ما له صلةً بمعنى الحضور أو الاجتماع أو اللقاء أو ملازمة المكان. لكنّ بعض ما كان في التعليل عند الاختبار لا يصحّ، أو يحتاج إلى مزيد بحث ونظر.

فالنصّ على أنّ دلالة «تواجد» على معنى (أرى من نفسه الوجد): «مستحدثة، إذ لم ترد إلّا في مؤلّفات القرن الهجريّ الثامن وما بعده في أخبار الصوفيّة...» = قول من افتقر بحثه إلى التّبّع والاستقراء الكافي؛ لأنّ

هذا الفعل، في ضوء ما انتهى إليه بحثي، استعمل بهذا المعنى قبل ذلك بأربعة قرون أو أكثر؛ فقد ورد مثلاً في عبارة أبي بكر الشبلي (ت ٣٣٤هـ): «من تواجد فهو فاقد»<sup>(١)</sup>.

والحكم على أن هذه الدلالة مستحدثة يحتاج إلى مزيد بحث ونظر؛ لأنّ الزمخشري نصّ على هذا الاستعمال في (أساس البلاغة)، إذ قال (وجد): «تواجد فلان أرى من نفسه الوجد»، ومنه نقله الزبيدي في مستدرّكه، ولم ينبزه بشيء<sup>(٢)</sup>. فكأنّ استعمال الفعل «تواجد» وتصريفاته للدلالة على إظهار الوجد عربيّ قديم، حتى إذا انتهى إلى المتصوّفة، احتفوا به، وخلعوا عليه من روحهم ووجدهم، فطار وانتشر، وكان استعماله دالاً على ذلك الوجد الصوّفيّ إظهاراً أو تكلفاً من المستحدث الطارئ.

وإنكار صحّة «أن يقال: (الوجود) بدل الحضور أو التجمّع، لأنّ الوجود مصدر الفعل (وُجِد) الذي يعني الإنشاء من العدم، فقولهم: (علينا الوجود في مكان ما)، يعني: علينا النشوء أو الكون، وليس هذا المراد» = ممّا يحتاج إلى مزيد بحث وفحص، ولا سيّما في ضوء استعمال هذا المصدر في كلام العرب شعراً ونثراً.

\* وقع في الكلام على «جائلة» الذي ولده المحدثون في القرار (١٨٧) ما يقتضي التعقيب والتنبيه:

١- النصّ المنسوب نصّاً في التعليل إلى (تاج العروس)، وهو: «الجيل: الأمة والجنس من الناس، والقرن من الزمن، وثلاث القرن يتعايش

(١) أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء ١٠ / ٣٧٤، وعبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية ٣٠١، وابن عساكر، تاريخ دمشق ٦٦ / ٥٩. وانظر أيضاً في تاريخ دمشق ٤٠ / ٣١، والذهبي، تاريخ الإسلام ٧ / ٦٠٧.

(٢) انظر: الزبيدي، تاج العروس (وجد).

فيه الناس (ج) أجيال» = ليس من التاج في شيء، بل هو نصّ (المعجم الوسيط)، وهو ما يدلّ عليه التعقيبُ الوارد على النصوص المنقولة من المعاجم. والظاهر أنّ نصّ التاج سقط سهواً أو بخطأ طباعي، وأنّ اسم (المعجم الوسيط) بذلك سقط أيضاً.

٢- النصّ في التعليل الصرفي على أنّ الفعل «جايل» مشتقُّ «من اسم ذات هو (الجيل) الذي يعني زمناً محدّداً هو ثلث القرن غالباً...» = فيه ما لا يناسب المعنى الذي يدلّ عليه استعمال المعاصرين لهذا الفعل وتصريفاته؛ لأنّ المفهوم من ذلك كما يدلّ الاستعمالُ العيشُ في زمن أو عصر واحد على الإطلاق، غير مقيّد بثلاث قرن؛ والدلالةُ العرفيّةُ العامّةُ للجيل عند الناس هي الزمن والعصر لا ثلث القرن. فليس من الصواب تعميمُ الخاصّ، وهو مفهوم الجيل في بعض الدراسات العلمية، ولا سيّما دراسات علم الاجتماع، وطرده طرداً يلغي استعمال الناس المعاصرين العامّ الغالب.

ثمّ لو كان هذا المناسب الصحيح لكان من الواجب أن يُذكر في القرار، وهو ما لا أثر له فيه، بل القرارُ جارٍ على الدلالة العامّة للجيل، وهي العصر. ٣- ورد أنّ المعاجم العربية لم تذكر الفعل «عاصر» في مثل «عاصر فلاناً» بمعنى العيش في عصر واحد، وأنّ المعجم الوسيط ذكر ذلك.

وهذا فيه إطلاق لا يصحّ؛ لأنّ ذلك ممّا نصّ عليه بعض اللغويين، فقد ذكره الزبيديّ فيما استدركه، فقال: «العِصَار، بالكسر: مصدر عاصرت فلاناً مُعاصرة وعِصَاراً، أي كنتُ أنا وهو في عَصِرٍ واحد، أو أدركتُ عَصْرَهُ. قاله الصاغانّي. قلت: ومنه قولهم: المعاصرة مُعاصرة، والمعاصرُ لا يُناصر»<sup>(٣)</sup>.

(٣) الزبيديّ، تاج العروس (عصر). وكلام الصغاني في كتابه التكملة والذيل والصلة (عصر) ٣/١١٧.

\* ورد في الكلام على «حَبَّد» وتصريفاته في القرار (١٨٨) في غير موضع ما يدل على نفي ورود هذا الفعل بإطلاقه، أو بمعنى شَجَّع وفضَّل، في المعاجم العربيَّة إلا (المعجم الوسيط). ومن ثمَّ كانت الدعوة في الاقتراح إلى جواز قولهم: «حَبَّدَا» بمعنى (شَجَّع وفضَّل) مع مشتقاته، وإضافته إلى المعجم العربي؛ وكان قرار اللجنة والمجلس بآخرة الموافقة على «جواز استعمال الفعل «حَبَّد» ومشتقاته بمعنى فضَّل وأحبَّ، وإضافتها إلى المعجم العربي».

وهذا الحكم بوجهيه لم يصدر عن تمام تتبُّع ومزيد نظر وتدبُّر؛ لأنَّ الزبيدي ذكر ذلك فقال: «(لا تُحَبِّدُنِي تَحْيِيدًا)، أهمله الجوهريِّ وصاحب اللسان، وقال الصغانيُّ عن الفراء: أي (لا تقل لي: حَبَّدَا) هكذا رواه، وهو من الألفاظ المولدة المنحوتة من قولهم: حَبَّدَا، في المدح، ولا حَبَّدَا، في الذمِّ، وفي زيادة مثله على الصحاح نظرٌ. قال شيخنا: ثم ظاهر كلامه بل صريحه أنها لا تُستعمل إلا في النهي، لأنه جاء بالفعل مقرونًا بلا الناهية، وفسَّرها بقوله: لا تقل لي حَبَّدَا، والصواب أن الذين استعملوها استعملوها بغير نهي، فقالوا: حَبَّدَه تَحْيِيدًا: قال له حَبَّدَا، ولا تُحَبِّدْ: لا تُقَلِّ ذلك، وهو لفظٌ مَنحوتٌ من لفظ حَبَّدَا المركَّب من حَبَّ وذَا، وإلا لكان آخِرُه حرف علة، كما لا يخفى، وهذا إنما قاله بعضُ النحويِّين، وليس من اللغة من شيءٍ فلذلك لم يذكره الجوهريُّ وغيره من أئمة اللغة، انتهى»<sup>(٤)</sup>.

(٤) الزبيدي، تاج العروس (حبَّد). وكلام الصغاني في كتابه التكملة والذيل والصلة (حبَّد) ٣٧٤/٢، وأصل كلام الزبيدي في القاموس (حبَّد). وما ورد في كلام الزبيديِّ أو شيخه من شكٍّ في أن يكون هذا من اللغة، وأنَّه قاله بعضُ النحويِّين، ربَّما عارضه قولُ أبي حيان الأندلسي في الارتشاف (٢٠٦٠): «وقالت العرب: لا تحبِّدْ».

فهذا كما لا يخفى نصٌّ صريحٌ دالٌّ على قدم استعمال هذا الفعل الذي وُصِفَ بأنّه «من الألفاظ المولدة المنحوتة من قولهم: حَبَّذا، في المدح، ولا حَبَّذا، في الذمِّ». وبه ينتفي نفْيُ الوجه الأوّل، أعني ورود الفعل «حَبَّذا» بإطلاقه في المعاجم العربية غير المعجم الوسيط.

ثم إنَّ دلالة هذا الفعل عند التدبّر على الاستحسان والتشجيع والتفضيل من لازم هذا الاستعمال وتاممه، أو قل: هو معنى المعنى، وبعض إحياءاته؛ فقولهم: حَبَّذا فلاناً: إذا قال له حَبَّذا، هو بأخرة استحسانٌ وتشجيعٌ؛ فإذا قلت للمرأة: حَبَّذا، وهو ما عبّر عنه بـ«حَبَّذه»، كنت تستحسن منه شيئاً كان وراء ذلك، ومثله يفضي إلى التشجيع. وبذلك يكون استعمال المعاصرين موافقاً لما ورد في ذلك النصّ وامتداداً له؛ وينتفي نفْيُ الوجه الثاني، أي ورود هذا الفعل بمعنى شجّع واستحسن.

ومن ثمَّ ينبغي أن يُضمّن الكلام على هذا الفعل وتصريفاته النصّ على أنّ هذا الاستعمال مولدٌ قديم، نصّ عليه بعض اللغويين، ولم يكثر في كلام القدماء كما كثر في كلام المعاصرين.

هذا، ومن الواجب التنبيه على بعض ما كان في التعليل، حين عُرض رأيي النحويين في صيغة حَبَّذا، من تناقض ظاهر. فقد نصّ أولاً على أنّ «الذي عليه النحاة والمعربون اليوم أنّ (حَبَّذا) مؤلّفة من كلمتين هما: (حَبّ) فعل ماض جامد لإنشاء المدح، و(ذا) اسم إشارة في محلّ رفع فاعل، وما بعدهما مبتدأ؛ ثمَّ عُرضت أقوال القدماء الثلاثة فيها، كما وردت في شرح ابن عقيل، وكان الأولان منها: «- (حَبّ) فعل، و(ذا) فاعل، وأنهما باقيان على أصلهما. - ركباً وغلبت الفعلية لتقدّم الفعل فصار الجميع فعلاً، وما بعده فاعل، أي في (حَبَّذا): حَبَّذا كلّها فعل، وزيد فاعل».

حتى إذا ذُكر القول الثالث عُقِبَ عليها بأنَّ «ما ذهب إليه المحدثون هو أخذ بالقول الثاني»!!.

\* أجاز القرارُ (١٨٩) استعمالَ التركيب (حتى ولو) في مثل قولهم: «سأشتري الكتاب حتى ولو كان غالياً»؛ وعلل لذلك بما يدعو إلى التعقيب والنقد:

١- قام التعليلُ في فقرته الأولى على رفض حجة من ضعف هذا التركيب (حتى ولو) المبنية على عدم سماعه في لغة الاحتجاج. ومستند هذا الرفض «أنَّ اللغة لم تُنقل إلينا كاملة، ومعروف أنه ما وصل إلينا من نثر العرب إلا عُشره».

وهذا سندٌ ظنيّ يقوم على الاحتمال والرجم بالغيب، فلا يقوى على دفع ما قامت عليه حجة المضعفين أو المعترضين؛ لأنها شهادة نفي مبنية على استقراء ما انتهى إلينا من كلام العرب الذي يُحتجّ به، فهي بأخرة دليل علمي صحيح فلا يُدفع بالظنّ والاحتمال. ولو شئت قلت: حجة المعترضين أو المضعفين صحيحة ريثما ينتهي إلينا ممّا غاب عنّا من اللغة دليلٌ إثبات قطعيّ، ودليلُ الرفض الذي قام عليه التعليلُ لا يصحّ ولا ينهض حتى ينتهي إلينا ممّا غاب عنّا من لغة العرب دليلٌ إثبات ينقض النفيّ.

٢- قامت الفقرةُ الثالثة من التعليل على حمل تركيب (حتى ولو) على تركيب (حتى وإن) لما بينهما من تمام المماثلة، في «حتى»، وزيادة الواو، وحرفي الشرط «لو» و«إن». وورد فيها القطع بأنَّ تركيب (حتى وإن) في أعلى درجات الفصاحة، لثبوته في حديث النبي ﷺ: «سمعت أبا هريرة يقول: قال أبو القاسم ﷺ: من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه».

وفي ذلك عند النظر والتحقيق أمران:

أ- لا يثبت بهذا الحديث استعمال المعاصرين (حتى وإن) الذي يمكن أن يكون موروثاً عن المتأخرين؛ لأن عبارة الحديث عند التأمل مختلفة، والكلام فيه ليس على ظاهره؛ ف«حتى» فيه لم تدخل على «إن»، بل على فعل مقدّر تقديره: حتى يدعه، وكذا وقع في بعض نسخ صحيح مسلم. وجملة (وإن كان أخاه لأبيه وأمه) متأخرة عن موضعها. والكلام على وجهه من التقدير: من أشار إلى أخيه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه، بحديدة، فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه.

وإذا كان هذا الحديث حجةً عند من يجيز هذا الاستعمال (حتى وإن)، يثبت به صحته وفصاحته، فقد سقطت من يده تلك الحجة.

ب- الحكم على «حتى» في هذين التركيبين المولدين «حتى ولو»، «حتى وإن» بأنها جازة غائبة، قول غريب لا ينبغي الالتفات إليه. والمناسب لما قرره العلماء أن تكون «حتى» فيهما ابتدائية.

٣- الفقرة الرابعة من التعليل التي تقوم على إثبات هذا التركيب بنصه في الحديث النبوي، مكتظة بما لا يناسب العلم وأصوله، ويتناهبها خلل منهجي في البحث والاستدلال والمحاكمة.

أ- كان من الواجب التحقّق من الحديث الذي ذُكر في تفسير الرازي، ووردت فيه كلمة «حتى» كما نصّ في تلك الفقرة، في مظانه من كتب الحديث. ولو كان ذلك لعرف القارئ أنه لم يُذكر البتة في كتب الحديث بهذه الصيغة التي فيها «حتى»، وأنه ورد فيها خلواً منها، أي: «للسائل حق ولو جاء على فرس»، أو بلفظ: «... وإن جاء على فرس»؛ ولانتهى إلى أنّ «حتى» زيادة طارئة ليست من أصل الحديث. فمن أين جاءت إذن؟.



لو نظرت في تفسير الرازي بطبعاته المتعدّدة، وعارضت نسخه بعضها ببعض، لعرفت أنّ المصدر الذي أخذ منه كلام الرازي هو المكتبة الشاملة الإلكترونية، وأنّ نصّ الحديث في معظم نسخ تفسير الرازي التي ضمّتها المكتبة الشاملة، وهي خمس، كان فيه شيء من تحريف؛ إذ وقع في ثلاث منها: (للسائل حتى ولو جاء على فرس) بتحريف كلمة «حقّ» ← «حتى»؛ ووقع في أخرى: (للسائل حقّ حتى ولو جاء على فرس) بتحريف كلمة «حقّ» التي في أصل الحديث، وزيادة كلمة «حقّ» قبلها، وهي عمدة في نصّ الحديث. وعلى هذه النسخة عوّل التعليل في الفقرة الرابعة منه، ومنها نُقل نصّ الحديث المحرّف. والصواب الموافق لما كان في كتب الحديث: (للسائل حق ولو جاء على فرس)، وهو ما وقع في بعض طبعات تفسير الرازي<sup>(٥)</sup>.

وبذلك تسقط الحجّة التي اعتمدت عليها هذه الفقرة من التعليل، لإثبات تركيب «حتى ولو» بنصّه في حديث النبي ﷺ، والحكم بصحّة العبارة.

ب- ما كان في هذه الفقرة من تصريح بكون هذا الحديث صحيحاً في تفسير الرازي ممّا لا دليل عليه في كلام الرازي نصّاً أو إشارة، فقد ذكر الحديث فقط، ولم يذكر شيئاً عن حكمه صحّة أو ضعفاً.

ج- ما ورد في هذه الفقرة من «أنّ للحديث رواية أخرى نقلها بعض المحدثين المتأخرين بعبارة» وإن جاء على فرس «وضعّف الحديث». = جارٍ على خلاف الواقع من وجوه:

- رواية الحديث بلفظ: «للسائل حقّ وإن جاء على فرس» في كتب الحديث والتفسير أشهر وأسير من رواية «... ولو جاء على فرس»، خلافاً لما تُشعر به هذه العبارة.

(٥) الفخر الرازي، التفسير الكبير، الطبعة الهيئة المصرية - القاهرة، ط ١، ١٣٥٧ هـ -

- هذه الرواية رواية قديمةٌ معروفةٌ تداولها القدماء والمتأخرون، ولم يقتصر نقلها على بعض المحدثين المتأخرين كما ورد في هذه الفقرة.

- الحديث بصيغته («... ولو جاء على فرس» و«.. إن جاء على فرس») ممّا كان للعلماء فيه مقالة منذ القديم، فلا وجه لتخصيص تضعيفه أو تقييده ببعض المحدثين المتأخرين.

ومن ذلك كلّه يبدو للقارئ أنّ إجازة هذا التركيب (حتى ولو) هو من قبيل تسويغ استعمال مولّد، وأن ما ورد في التعليل لا يرقى إلى حدّ الاستدلال العلميّ المحكم. والمناسب في مثله النصّ على أنّه من المولّد القديم الذي كثر استعماله في عبارة المعاصرين، وأنّه جائز على تقدير زيادة الواو. هذا، ومن الواجب أن يتضمّن القرار في هذا التركيب النصّ على أنّ الأولى حذف «حتى» أو الواو، فيقال مثلاً: «سأشتري الكتاب ولو كان غالياً» أو «سأشتري الكتاب حتى لو كان غالياً».

\* تناول القراران (١٩٢، ١٩٥) إعراب بعض التراكيب اللغويّة المعاصرة نحو: الرأسماليّ، والرأسماليّة، والشرق الأوسط، والشرق أوسطيّ، والشرق أوسطيّة؛ وكان القرار الذي انتهت إليه اللجنة فيهما: إتباع الجزء الأوّل من التركيب حركة الجزء الثاني الذي يُعرّب بحسب موقع التركيب المزجي من الإعراب في الجملة، فيقال: «نجحت الرأسماليّة، وواجهنا الرأسماليّة، واتّجهنا إلى الرأسماليّة، ونجحت سياستنا الشرق أوسطيّة...» استصحاباً لمقولة الإعراب من مكانين، أو لظاهرة الإتيان اللفظي في العربيّة.

هذا ما كان عليه القراران اللذان كان ينبغي أن يكونا قراراً واحداً، لانتفاء ما يدعو إلى فصل أحدهما عن الآخر وعزله. وفيه عند التحقيق نظر من وجهين:

١- اعتمادُ الإِتباع في إعراب هذه التراكيب اعتماداً دَلَّ عليه الاقتصارُ على هذا الوجه دون غيره = خلافُ ما تقتضيه المناقشةُ التي سبقت القرار، وكانت بيّناها المستفيضة مقدّمةً إليه؛ لأنّ تلك المناقشة خلصت نصّاً إلى جواز وجهين في إعراب هذه المركّبات المحدثّة:

الأوّل: بناء الجزء الأوّل منها على الفتح، وإعراب الجزء الثاني بحسب موقع التركيب المزجي من الإعراب في الجملة، أخذاً بأحكام إعراب المركّب المزجي.

الثاني: إِتباع الجزء الأوّل من التركيب حركةً الجزء الثاني الذي يُعرَب بحسب موقع التركيب المزجي من الإعراب في الجملة،..... إلخ.

وأخذُ اللجنة بالوجه الثاني في القرار الذي انتهت إليه، والاقتصارُ عليه، والإعراضُ عن الوجه الآخر، مؤذناً بشيء في الوجه الأوّل يدعو إلى تركه وهجرانه. فإذا بدا في ذلك الوجه للجنة بدءاً فالواجب التنبيةُ عليه؛ وإلّا فالواجبُ أن يُذكر الوجهُ الأوّل أيضاً. وإذا كان للوجه الثاني منزلة في نفس اللجنة يدعوها إلى اختياره وإيثاره، فقد كان ينبغي أن تبين ذلك وتعلّله تعليلاً بيّناً، لا أن تطرح الوجه الآخر وتلغيه إلغاءً لا تفسير له.

٢- إِتباع الجزء الأوّل من هذه التراكيب حركةً الجزء الثاني حملاً على ما سمّاه بعض العلماء المعرب من مكانين، أو على الإِتباع اللفظي، وهو رأي جديد فيما أعلم، انطوى على جرأة تشبه أن تكون عجلة، وربّ عجلة تهب ريثاً؛ لما فيه من قياس مع الفارق؛ لأنّ إعرابَ المعرب من مكانين - وهو في كليّات معدودة - وراءه جوارٌ مستحكم بين الحروف، بحيث لا يكون بينها فاصل البتّة نحو: «أخوك، أخاك، أخيك، امرؤ، امرئ، امرأ»، أو يكون بينهما ما لا يُعتدّ به، والغالب في الإِتباع اللفظي أن يكون بين حرفين

متجاورين تجاوراً مستحكماً لا فاصل فيه بينهما؛ فأين هذا الجوار المستحکم بين آخر الجزء الأول والجزء الثاني من هذه التراكيب، مع بعد الشقّة، والفصل بينهما بثلاثة أحرف فأكثر؟!.

هذا، وفي بعض ما ورد في مقدّمات هذين القرارين ما يدعوني إلى التعقيب من وجهين:

١- ورد في حاشية القرار الأوّل (١٩٢)، - وهي «وقد روي في هذا الوجه الاستصحاب الذي قال به الكوفيون في إعراب الأسماء الستة من مكانين، وقال به بعض القرّاء في قراءة (الحمد لله) و(الحمد لله) [ الفاتحة ١ : ١ ]، وراعته لهجات عربيّة في إتباع الراء لحركة الهمزة في امرئ». - ما يقتضي التعقيب من ثلاثة أوجه:

أ- يحتاج مصطلح «الاستصحاب» الوارد في هذه الحاشية إلى بيان المفهوم الذي يدلّ عليه، فهو في السياق الذي ورد فيه ملبس قلق قد يوحي بشيء من مطابقة بينه وبين المعرب من مكانين.

ب- حملُ قراءة من قرأ (الحمد لله) و(الحمد لله) على الإعراب من مكانين = لا يستقيم؛ لأنّ الإعراب من مكانين كما تدلّ الأمثلة التي عدّها القائلون بذلك منه، وهم الكوفيون، لا يكون إلّا في كلمة واحدة. والذي عليه هاتان القراءتان الشاذّتان إتباعٌ لفظيٌّ: في الأولى إتباع الأول للثاني، وفي الثانية إتباع الثاني للأول.

ج- المفهوم من عبارة «وراعته لهجات عربيّة في إتباع الراء لحركة الهمزة في امرئ» أنّ الإعراب من مكانين في «امرئ» بإتباع الراء لحركة الهمزة لغةً بعض العرب. والصحيح أنّ الإتباع في هذه الكلمة إذا دخلت عليها همزة الوصل، أو الإعراب من مكانين، لغةً معظم العرب إلّا من شدّد.

فإذا أسقطت العرب من امرئ همزة الوصل كانت لغة بعض العرب فيها الإعراب من مكانين، بضم الميم في الرفع وفتحها في النصب وخفضها في الكسر، إتباعاً للهمز، فيقولون: قام مُرُوٌّ ورأيتُ مرّاً ومررت بمِرءٍ<sup>(٦)</sup>.

٢- ورد في مقدمات القرار الثاني النصُّ على أن لنا في ضبط التركيب المزجي كما هو معلوم خيارين، كان الأول مناسباً للمقام، وهو بناء الجزء الأول على الفتح، وإعراب الجزء الثاني بحسب موقع المركب المزجي من الجملة. حتى إذا ذُكر الثاني بدا غريباً؛ لأنه موصول بالمركب الإضافي، لا المزجي. وهذا ما دعا إلى التعقيب بامتناعه في المركب المزجي. فإذا كان ذلك كذلك فكيف يكون لنا كما هو معلوم خياران. هذا كما لا يخفى من إلقاء الكلام على علّاته قبل ضبطه وإحكامه!

\* منع القرار (١٩٣) استعمال المعاصرين كلمة «الأريحيّة» بمعنى الراحة أو الحرّيّة، في مثل قولهم: «تجولنا في المدينة بكلّ أريحيّة، وتكلّمنا بأريحيّة»، وخطأه؛ وعلل لذلك بما وقع في (لسان العرب) و(تاج العروس) من دلالة هذه الكلمة على النزوع إلى الكرم أو العطاء والارتياح لذلك، وانتفاء صلتها الدلاليّة المباشرة بدينك المعنيين: الراحة والحرّيّة، وقدّر أن يكون الخطأ ناشئاً من اجتزاء الكلام وانتزاع بعضه من بعض ابتساراً، من عبارة اللسان: «الأريحيّة: الارتياح للندى والنشاط إلى المعروف»: اقتصر المجتزئ منها على أولها «الأريحيّة: الارتياح»، وأهمل سائرهما، فكانت بين يديه بمعنى الراحة.

وفي ذلك عندي نظر؛ فقد هداني البحث فيما وردت فيه هذه الكلمة من نصوص ووجوه استعمال في بعض كتب العربية والأدب والبلاغة،

(٦) انظر: الزبيدي، تاج العروس (مرء).

مستعيناً بالمكتبة الشاملة، إلى أن اقتران «الأريحية» بالكرم والجود والندى ليس استعمالاً حصرياً لا مُعَدَّى عنه، وإن كان هو الذي احتفلت به المعاجم، فصرّحت به ونصّت عليه، وكثر في الاستعمال، بل هو وجه من وجوه ورد بها الاستعمال، يدلّ عليها ما انتهى إلينا من كلام القدماء، ويرشّحها المعنى العامّ الذي يقتضيه قولُ بعض اللغويين: «وراحٌ لذلك الأمر يَراحُ رَواحاً كَسَحَاب، ورُؤُوحاً، بالضمّ، وراحاً ورياحاً، بالكسر، وأزِيحِيَّةٌ: أشرف له وفرح به، وأخذته له خِفَّةٌ وأزِيحِيَّةٌ؛ قال الشاعر:

إنَّ البخيل إذا سألتَ بهزته وترى الكريمَ يَراحُ كالمختالِ»<sup>(٧)</sup>

فهذا النصّ الذي كانت «الأريحية» فيه وما اتّصل بها من تصرفات المادّة ثابتاً، و«الأمر» متغيّراً، دالٌّ على جواز اقتران «الأريحية» بكل أمر من الأمور، إذا تحقّق معناها، وهو أن يعتري المرء ويغشاه لمخالطة هذا الأمر أو ذاك، من كرم وندى ومعروف وطرب وشراب وطعام وقراءة، حالة من الأنس والفرح والخفة. والاستدلال له بما كان موصولاً بالكرم «وترى الكريمَ يَراحُ كالمختالِ لا ينقض ذلك؛ لأنّ الكرم ممّا ينضوي في ذلك المتغيّر «الأمر»، فهو أمر من الأمور.

ويشهد لذلك قولٌ من قال في اشتقاق «الراح»: «اشتقاقها من ثلاثة أشياء: أحدها من ارتياح صاحبها، وما يجده في نفسه من هزة السرور، وخفة النشاط، وهي الأريحية. قال أبو عبادة:

وما باتَ مطوياً على أريحيةٍ بعقبِ النوى إلاّ امرؤُ باتَ مُغرماً»<sup>(٨)</sup>

(٧) الزبيدي، تاج العروس (روح). وانظر: ابن منظور، لسان العرب، والمعجم الوسيط (روح). وفي اللسان بطبعاته المتعدّدة «أشرق له» بالقاف لا بالفاء، ولعله ألصق وأليق.

(٨) السريّ الرقاء، المحب والمحبوب والمشموم والمشروب: كتاب المشروب ٢٩/٤.

إذ قرن «الأريحيّة» دون تخصيص أو تقييد بهزّة السُرور وخفّة النشاط. ومما يؤيد ذلك أيضاً أن تجد «الأريحيّة» مقترنة في عبارة القدماء بغير الكرم والندى والمعروف اقتراناً واضحاً، فمن ذلك مثلاً قولهم: أريحية الصّبا والشباب والفتوة والحداثة والحديث، وأريحية النّشوة والسُّكر والراح والشراب والمدام، وأريحية الأدب<sup>(٩)</sup>.

وبهذا وذاك يتنفي تقديرُ اختصاص «الأريحيّة» بالكرم والندى والمعروف، ويكون اقترانها به في المعاجم من قبيل التمثيل الذي لا يتجاوز ذلك إلى الحصر، يثبت صحّة استعماله ولا ينفى مثله عمّا سواه.

ولقائل أن يقول: وأين استعمال هذه الكلمة «الأريحيّة» في عبارة المعاصرين بمعنى الراحة أو الحرّيّة من ذلك كلّ؟ وأيُّ صلة تجمع هذا بذاك؟.

لو نظرت فيما وقعت فيه «الأريحيّة» من نصوص لغوية ووجوه استعمالية انتهت إلينا من القدماء، ووقفت على معانيها التي نصّ عليها العلماء نصّاً، أو اقتضاها المقام ووشى بها السياق، لعرفت أن استعمال المعاصرين لهذه الكلمة بهذين المعنيين موصول بذلك غير منبّت عنه. فهذه الكلمة، في تلك النصوص والوجوه الاستعمالية بأسبقها المتعدّدة، تفيض عليك بمعاني الرضا والسرور والخفّة والنشاط والاستحسان والأنس والنشوة والمرح والظرف واللطف والحركة. وهذه المعاني النصّية والسياقية

---

(٩) انظر بعض الشواهد الدالّة على ذلك في: الجاحظ، رسائل الجاحظ ٣٤/٤، ٢٠٢، والمحاسن والأضداد، ١٩٨؛ والأصفهاني، الأغاني ٣٢٨/٤؛ والتوحيد، البصائر والذخائر ١/١٠٠؛ والثعالبي، تمة يتيمة الدهر ٧٢/٥؛ وابن سيده، شرح المشكل من شعر المتنبي ٣١٤؛ وابن الجوزي، أخبار النساء ١٨٩؛ والنويري، نهاية الأرب ٧٩/١، ٩٥/١٥؛ والمقرّي، نفع الطيب ٢/٢٧.

والاقتضائية بعضُ دوالِّ «الراحة» وعلاماتها، تؤذن بزوال المشقة وانتفاء التعب، وتفضي إلى الارتياح.

ومما يؤيد ذلك عندي قولُ عبد القاهر الجرجانيّ - وهو أوضح دليل استعماليّ من كلام القدماء وجدته يصل الأريحية بالراحة - : «فإن كان الأمرُ كما ظنّناه، رجونا أن يصادف الذي نريد أن نستأنفه بعون الله تعالى منك نيةً حسنة تقيك الملل، ورغبةً صادقة تدفع عنك السأم، وأريحيةً يخفُّ معها عليك تعبُ الفكر وكُدُّ النَّظَر، والله تعالى وليُّ توفيقك وتوفيقنا بمنّه وفضله»<sup>(١٠)</sup>.

فإذا أراد المعاصرون من قولهم: «تجولنا في المدينة بكلِّ أريحية»، وأجاب الطالب عن أسئلة الامتحان بأريحية تامّة» التعبير عن «الراحة» كان تعبيره عن ذلك بـ«الأريحية» من قبيل التعبير عن الشيء ببعض دوالِّه أو علاماته ولوازمه، وكان امتداداً لماضي هذه الكلمة بشيء من الاتساع الذي تبيحه روح اللغة وأصولها السميحة. وإذا أرادوا من ذلك التعبير عن بعض علامات «الراحة» ودوالِّه كالنشاط والخفة والسرور - وهو ما تحتمله عبارتهم، وهو منها غير بعيد - كان تعبيرهم جارياً على وجه من وجوه دلالة الكلمة «الأريحية»، كما استعملها القدماء، بلا اعتراض.

واستعمالُ «الأريحية» في نحو قول المعاصرين: «تكلّمنا بأريحية»، للتعبير عن «الحرية» التي يريدون بها أن يتصرّف الفرد كما يهوى تصرّفاً لا تحدّه قيودُ أسرة، ولا تقيده ضوابط صارمة، ولا يحول دونه محظور أو مانع، أي التحرر من القيود والحدود، لا «الحرية» بالمفهوم المنقطع عن المراد والواقع الاستعماليّ للغة في زمننا، الذي ورد في التعليل لقرار المنع، وهو: «كون الإنسان حرّاً ليس بمملوك، وهي الخلوص من الشوائب أو

(١٠) عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز ٥٢٥-٥٢٦.



الرقّ أو اللؤم» = لا يبعد أن يكون امتداداً لماضي تلك الكلمة الاستعماليّ، بشيء من اتّساع؛ لأنّ هذه الكلمة تدلّ في بعض ما وردت فيه من كلام القدماء، دلالةً سياقيّة أو اقتضائيّة، على معنى الخروج عن المألوف وتجاوز الحدّ، والإفراط في الحركة والترنح والاهتزاز. فمن هذا الوجه ربما كان بين استعمال «الأريحيّة» عند القدماء، في بعض الوجوه والأسيقة، واستعمالها عند المعاصرين بمعنى «الحرّيّة»، وشيجة وصلّة.

ومن الأمثلة التي بدت لي تزكّي هذا التقدير أو التصرّو، ومنها استنبطته:  
- قال الشريف المرتضى<sup>(١١)</sup>:

شديدُ ثباتِ الرّأي بينَ مواطنٍ      رياحُ الخطوبِ بينهنَّ زعازعُ  
وقورٌ فإنْ لاذتْ به أريحيّةٌ      فلا الحِلْمُ مَعْبُونٌ ولا الجَدُّ خاشعُ

- حدّث إسحاق بن إبراهيم الموصلي أبا إسحاق إبراهيم بن المهدي أن يحيى المكي حدّثه أنّ ابن سريج غنى عطاء بن أبي رباح بذي طوى بشعر جرير:

إنّ الذين غَدَوا بُلْبُكَ غادروا      وَشَلًّا بَعِينِكَ لا يزال مَعِينَا  
غَيْضَنَ من عَبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لي      ماذا لَقِيَتَ من الهوى وَلَقِينَا

... فلما سمعه عطاء اضطرب اضطراباً شديداً ودخلته أريحية، فحلف ألا يكلم أحداً بقية يومه إلا بهذا الشعر، وصار إلى مكانه من المسجد الحرام؛ فكان كل من يأتيه سائلاً عن حلال أو حرام أو خبر من الأخبار، لا يجيبه إلا بأن يضرب إحدى يديه على الأخرى وينشد هذا الشعر حتى صلّى المغرب، ولم يعاود ابن سريج بعد هذا ولا تعرّض له<sup>(١٢)</sup>.

- «وقال بعض الخلفاء: إني لأجد للسّماع أريحيّةً، لو سُئِلْتُ عندها

(١١) مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، موسوعة الشعر العربي، الإصدار الأول، ٥٦٢.

(١٢) الأصفهاني، الأغاني ١/ ٢٥٧. وانظر فيه أيضاً: ١٧/ ٣٠٠ - ٣٠١.

الخلافة لأعطيتها. وسمع معاويةً عند عبد الله بن جعفر الغناء، فحرك رأسه ورجليه، وصفق بيديه، ثم تاب إليه رأيّه، فقال كالمعتذر من فعله: إن الكريم طروب، ولا خير فيمن لا يطرب»<sup>(١٣)</sup>.

- قال أبو حيان التوحيدى: «... على أن من وصف كريماً أطرب، ومن أطرب طرب، والطرب خفة وأريحية تستفزّان الطباع، وتُشبّهان الحصيف بالسخيف..»<sup>(١٤)</sup>.

ثم لو نظرت في قول الجاحظ: «وقد تنقسم المودة إلى ثلاث منازل: منها: ما يكون على اهتزاز الأريحية وطبع الحرّية»<sup>(١٥)</sup>؛ لبدا لك دالاً على أنّ الأمر إذا تمكّنت منه «الأريحية» كان فيه «طبع الحرّية»، فجرى على أصله بعيداً من العوائق والقيود المصطنعة؛ وربّما أشار إلى نوع ائتلاف بين «الأريحية» و«الحرّية»، وأنّ إحداهما تفضي إلى الأخرى، فالأريحية تنتج علاقة سماحة ورضا خالية من العوارض والعوائق، و«الحرّية» على طبعها ممّا يؤدّي إلى ضرب من «الأريحية».

ومن ذلك كلّه يبدو من الواجب إعادة النظر في ما كان في هذا القرار برمته، وصيانته ممّا استبدّ به من منع وتخطئة، وحفظه ممّا أدّى إلى ذلك من هفوات منهجية وعلمية.

للبحث صلة

\* \* \*

(١٣) الثعالبي، من غاب عنه المطرب ٩٣.

(١٤) أبو حيان التوحيدى، أخلاق الوزيرين ٣٧.

(١٥) الجاحظ، رسائل الجاحظ ٤/٢٠٠.

## الوثيقة النبوية في المدينة المنورة

### متى كتبت؟

### تحقيق تاريخي<sup>(١)</sup>

أ. إبراهيم الزبيق (\*)

استوقفني منذ مُدَّةٍ مديدة كتابٌ لمؤلف هندي، مقيم في أمريكا، هو الدكتور بركات أحمد، وعنوانه «محمد واليهود نظرة جديدة»<sup>(٢)</sup>. ولا أنكر أنَّ عنوانه قد أغراني بقراءته، مؤملاً الوقوف على هذه النظرة الجديدة في ذلك البحث المثير. ولم يتركني المؤلفُ أنتظر طويلاً، فمنذ كلماته الأولى في مقدّمته قال بصراحة ودون تمهيد: «ما رُوي عن علاقات محمد بيهود الحجاز لم يكن إلا أسطورة من الأساطير، وقد قمتُ بتحليل هذه الفترة المبكرة من فترات التاريخ الإسلامي الذي قَبَلَ المؤرِّخون، المسلمون منهم وغير المسلمين، ما ورد فيه على عِلَّاته دون تمحيص. وإذا نجحتُ نظرتي

---

(\*) باحث في التراث.

(١) أطلق مؤرخونا القدماء عليها اسم الكتاب أو الصحيفة، وفي مقدّمتهم ابنُ إسحاق، كما سيأتي، وسَمَّها الباحثون المحدثون دستور المدينة أو الوثيقة، وعلى رأسهم الدكتور محمد حميد الله، ينظر كتابه «مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة»: ٥٧، ٥٨ وقد آثرت تسميتها بالوثيقة النبوية، لأنه غداً عَلِمَ عليها في الدراسات الحديثة، لا يشار إليها في هذا الاسم غيرها من كتب رسول الله ﷺ، ومعاهداته.

(٢) ترجمه محمود علي مراد، وصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة سنة ١٩٩٦م.

الجديدة في إثارة شكوك وجيهة بشأن الشواهد التي تستند إليها الروايات المذكورة، فسأعتبر أن محاولتي كانت تستحق أن تبذل». [ص ٣].  
 ولا أخفي أن لهجته المتعالية والصارمة في آن قد أثارت استغرابي، وتميئت لو أنه ساق هذه النتيجة المبرمة بعد مقدماتها المنطقية. ولعله حاول أن يخفف من تعاليها بعد صفحات، فقال مُطمئناً قارئه: «إنَّ أول واجبات المؤرِّخ لا يتحصَّل في فنِّ تجميع المواد، بل في فنِّ آخر أسمى هو فنُّ تحقيقها، أي تمييز ما فيها من حقٍّ أو زيفٍ» [ص ٤٣].

إذن هو يريد أن ينهج النهج العلمي في البحث، فلا تابع القراءة. وتهيأت حقاً لهذا الفنِّ الأسمى، فن تحقيق الروايات، فإذا به يأخذ قارئه إلى مواضيع شتى، تحتاج كلها إلى وقفات هادئة. ولأنَّ مقالتي هذه لا تتسع لمناقشتها كلها، سأقتصر على موضوع واحدٍ منها، هو بمثابة عمودها الفقري، بحث فيه زمن كتابة وثيقة المدينة<sup>(٣)</sup>، وسيساركني القارئ الكريم من خلاله في الاطلاع على نظرتي الجديدة التي وعد المؤلف بها، وهل نجح حقاً في إثارة الشكوك كما أراد؟

\* \* \*

وأول من أورد هذه الوثيقة بتمامها من كُتاب السيرة النبوية علامة المغازي والسير محمد بن إسحاق، المتوفى نحو ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م<sup>(٤)</sup>، ونقلها

(٣) وأثار المؤلف مسألة أخرى، وهي: هل هي وثيقة واحدة، أم وثائق أدمجت في وثيقة واحدة فيما بعد؟ وهو ما رجحه. ينظر ص ٨٢، ٨٩ - ٩٠ من كتابه. وقد أثار هذا الموضوع كذلك غيره من الباحثين، ولكن من زاوية أخرى، منهم الدكتور أكرم ضياء العمري، فهي عنده وثيقتان: وثيقة موادة اليهود كتبت قبل غزوة بدر الكبرى - وهو لا خلاف عليه - أما الوثيقة بين المهاجرين والأنصار فكتبت بعد بدر. ينظر كتابه «السيرة النبوية الصحيحة»: ٢٧٦/١، ولي أوبة إلى هذا البحث في مقالة أخرى، إن شاء الله تعالى.

(٤) سير أعلام النبلاء: ٣٧/٧، ٥٥.

عنه ابن هشام في سيرته<sup>(٥)</sup>. وعليها اعتمدت فيما اقتبست منها.

قال ابن إسحاق: «وَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِتَابًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَادَعَ فِيهِ يَهُودَ وَعَاهِدَهُمْ، وَأَقْرَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَشَرَطَ لَهُمْ، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ﷺ، بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ، فَلِحَقِّ بِهِمْ، وَجَاهِدَ مَعَهُمْ، إِنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ»<sup>(٦)</sup>.

ثُمَّ بَيَّنَّ الْأَحْكَامَ الَّتِي تَنْظُمُ الْعِلَاقَاتِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَعَرَّفَهُمْ حَقُوقَهُمْ وَوَجِبَاتَهُمْ. وَمَا يَهْمُنِي مِمَّا جَاءَ فِي هَذِهِ الْوَثِيقَةِ، عَلَى عِظْمَةِ مَا حَوَتْ، مَا يَتَعَلَّقُ فِيهَا بِالْيَهُودِ، فَقَدْ نَصَّتْ فِيمَا نَصَّتْ عَلَيْهِ:

«وَإِنَّهُ مِنْ تَبَعِنَا مِنْ يَهُودٍ فَإِنَّ لَهُ النَّصْرَ وَالْأُسُوءَةَ غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصِرِينَ عَلَيْهِمْ»<sup>(٧)</sup>، «لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ، مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثَمَ، فَإِنَّهُ لَا يُوتَغُ»<sup>(٨)</sup> «إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ»، «وَإِنْ عَلَى الْيَهُودِ نَفَقَتُهُمْ، وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ نَفَقَتُهُمْ، وَإِنْ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَإِنْ بَيْنَهُمُ التُّصْحِحَ وَالتَّصِيحَةَ وَالبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِمْ امْرُؤٌ بِحَلِيفَةٍ، وَإِنَّ النَّصْرَ لِلْمَظْلُومِ، وَإِنَّ الْيَهُودَ يَنْفَقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ، وَإِنَّ يَثْرِبَ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ»<sup>(٩)</sup>، «وَإِنَّ بَيْنَهُمْ

(٥) سيرة ابن هشام: ١٤٧/٢-١٥٠، ونشرها الدكتور محمد حميد الله في كتابه النفيس «مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة»: ٥٧-٦٤، وبين الفروق في رواياتها.

(٦) سيرة ابن هشام: ١٤٧/٢.

(٧) سيرة ابن هشام: ١٤٨/٢.

(٨) لا يوتغ: أي لا يهلك، والوتغ: الهلاك، ينظر «لسان العرب»: (وتغ).

(٩) سيرة ابن هشام: ١٤٩/٢.

النَّصْرَ عَلَى مَنْ دَهَمَ يَثْرِبُ»، «وإنَّه لا يحولُ هذا الكتابُ دون ظالمٍ أو آثمٍ، وإنَّه من خرج آمنٌ، ومن قعد آمنٌ بالمدينة، إلا من ظلمَ أو آثمَ»<sup>(١٠)</sup>.

\* \* \*

وتاريخ كتابة هذه الوثيقة من سياق ابن إسحاق لها كان في السنة الأولى للهجرة، وتابعه على ذلك جمهورُ المؤرِّخين، أكتفي بذكر ثلاثة منهم مشهود لهم بالدقَّة والتَّحرِّي:

أولهم الإمام الحافظ أبو عبيد القاسم بن سلام، المتوفى سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٩م<sup>(١١)</sup>، فقال: «هذا كتابُ رسول الله ﷺ بين المؤمنين من قريش وأهل يثرب، وموادعته يهودها أولُ مقدِّمه المدينة»<sup>(١٢)</sup>.

وثانيهم العلامة الأديب أحمد بن يحيى البغدادي المعروف بالبلاذري، المتوفى بُعيد سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٤م<sup>(١٣)</sup>، فقال: «كان رسول الله ﷺ عند قدومه المدينة وادع يهودها، وكتب بينه وبينهم كتاباً، واشترط عليهم ألا يمالئوا عدوّه، وأن ينصروه على من دَهَمَه»<sup>(١٤)</sup>.

وثالثهم الإمام المجتهد محمد بن جرير الطُّبري، المتوفى سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٣م<sup>(١٥)</sup>، فقد قال: «ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة مُنْصَرَفَهُ من بدر، وكان قد وادع حين قدم المدينة يهودها على أن لا يعينوا عليه أحداً، وأنه إن دَهَمَه بها عدوٌّ نصره»<sup>(١٦)</sup>.

(١٠) سيرة ابن هشام: ١٥٠/٢.

(١١) سير أعلام النبلاء: ١٠/٤٩٠، ٥٠٧.

(١٢) الأموال: ٣٠٧/١.

(١٣) سير أعلام النبلاء: ١٣/١٦٢، ١٦٣.

(١٤) أنساب الأشراف: ٢٨٦/١.

(١٥) سير أعلام النبلاء: ١٤/٢٦٧، ٢٨٢.

(١٦) تاريخ الطبري: ٤٧٩/٢.

وهذا التاريخ يتفق كذلك مع سياق أحداث السيرة النبوية المطهرة مع اليهود، فبنو قَيْنُقَاع كانوا أوَّل من نقض هذا العهد، بعد رجوع النبي ﷺ من غزوة بدر ظافراً<sup>(١٧)</sup>، فنزل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨] فلَمَّا فرغ جبريل من هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «إني أخاف من بني قَيْنُقَاع». قال عروة بن الزبير<sup>(١٨)</sup>: فسار إليهم رسول الله ﷺ بهذه الآية<sup>(١٩)</sup>.

وأما بنو النَّضِير وقُرَيْظَة فنقضوا كذلك ما جاء بهذه الوثيقة حين نزلت قريش في أحد، أمَّا قريظة فتخاذلت عن نُصْرته فحسب، فعفا عنهم رسول الله ﷺ من بعد. وأما بنو النَّضِير فلم يكتفوا بخذلانه، بل أرسلوا إلى مشركي قريش، فحرَّضوهم على القتال، ودلُّوهم على مواقع ضعف المسلمين<sup>(٢٠)</sup>، وفي هذا إعلان للحرب، بل ومشاركة فيها، وهو أحد أسباب إجلاء بني النَّضِير عن المدينة، صرَّح بذلك الصَّحابي الجليل عبدُ الله بنُ عمر بن الخطَّاب، فيما أخرجه عنه البخاري ومسلم في «صحيحهما»، إذ قال: «إنَّ يهود بني النَّضِير وقُرَيْظَة حاربوا رسول الله ﷺ، فأجلى بني النَّضِير وأقرَّ قريظة ومنَّ عليهم، حتى حاربت قريظة بعد ذلك فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المُسلمين»<sup>(٢١)</sup>. يشير بذلك إلى نقض قريظة للعهد بعد نحو ستين في غزوة

(١٧) سيرة ابن هشام: ٥١/٣.

(١٨) هو ابن أخت السيدة عائشة؛ زوج النبي ﷺ، وفقهه ومحدث ثقة مشهور، وأول من ألف كتاباً في المغازي، توفي على الصحيح سنة ٩٤هـ/٧١٢م، ينظر «تهذيب التهذيب»: ٩٢-٩٥، و«بحث في نشأة التاريخ عند العرب»: ٢١-٢٢.

(١٩) تاريخ الطبري: ٤٨٠/٢.

(٢٠) مغازي موسى بن عقبة: ٢١٠.

(٢١) صحيح البخاري (٤٠٢٨)، ومسلم (١٧٦٦)(٦٢).

الخدق، وتحالفهم مع الأحزاب على قتاله ﷺ<sup>(٢٢)</sup>.

\* \* \*

أما النظرة الجديدة التي يريد الدكتور بركات أحمد أن يُتحفنا بها، فهو أن هذه الوثيقة كُتبت بعد إجلاء بني قريظة [ص ٨٣]. أي في أوائل السنة السادسة للهجرة. وفي جوابه عن سؤال: وكيف كانت علاقة المسلمين باليهود طوال تلك الفترة، يقول: «ونظراً لعدم وجود معلومات نهائية بشأن أي اتفاق تمَّ مع اليهود، فإنَّ العلاقة بينهم وبين المسلمين في المدينة ظلت تخضع لقاعدة أشبه بقاعدة بقاء كل شيء على حاله، وبالأحرى بدا كما لو أن هناك هُدنة غير حاسمة بين الطرفين، وأن هذه الهدنة ظلت قائمة إلى أن وقعت الصَّحيفة». [ص ٧٢].

وقد توسَّل للتدليل على صحة نظريته هذه بأمور<sup>(٢٣)</sup>:

أولها: محاولته المستميتة للطعن بمحمد بن إسحاق، والتشكيك بصحة مروياته، وحسبي أن أورد ممَّا ساقه بحقه قوله: «وقد كُتبت الكثير عن حياة هذا المؤرِّخ، كما أن كتابه كان من جميع نواحيه موضع دراسة شاملة، غير أنَّ الدِّراسات التي اضطلع بها البَحَّاثَة المسلمون وغير المسلمين لم تُعر التفاتاً للأحداث التي شهدها ابن إسحاق، والتي أثَّرت على آرائه بشأن اليهود الذين كانوا يعيشون في ظلِّ الحكم الإسلامي» [ص ٢٤]. ويستتج بعد كلام كثير «أنَّ الذي لا شك فيه هو أن ابن إسحاق كما سنرى فيما بعد - عند بحثنا لرواياته - كان متحاملاً دائماً على يهود الحجاز». [ص ٢٨].

ومثل ابن إسحاق كذلك الواقدي وابن سعد، فذكر أنه لم يعتمد على ما

(٢٢) سيرة ابن هشام: ٣/ ٢٣١-٢٣٣.

(٢٣) ولم أتعرض لما وقع فيه المؤلِّف من تناقض في آرائه وأقواله في البحث، وهي كثيرة.



كتابه [ص ٤٣]، معللاً ذلك بأن أي مؤرّخ إنما هو إلى حدّ بعيد جزءٌ من عصره، وهو لا يستطيع أن يعزل نفسه عن المناخ الفكري الذي يتنفسه [ص ٣٥].  
ولستُ الآن بصدد الدِّفاع عن هؤلاء المؤرّخين الأجلّاء، لأنه مع ما قال في حقّهم، فإنّه لم يستطع من خلالهم أن يشكّك بصحة الوثيقة، وهي موضوعُ مقالتي، إذ قال: «والعلماء من جميع المدارس الفكرية مثل واط وسرجنت وحميد الله على أنّ الوثيقة صحيحة بلا جدال، ومعظم العلماء المُحدثين ينازعون في تاريخ هذه الوثيقة وفي وحدتها». [ص ٨٢].

والتزاماً بالمنهج العلمي في ردّي عليه، تجنّبتُ الاستشهاد بأقوالهم، ليكون أبلغ في الحجّة. وكان المؤلّف قد ذكر من قبلُ المصادر التي اعتمد عليها في دراسته، وهي، إلى جانب تهذيب ابن هشام لكتاب ابن إسحاق: القرآن الكريم، والجامع الصّحيح للإمام البخاري، وصحيح مسلم. فجلّ اعتماداه كان على المصادر الأربعة المذكورة [ص ٢٠، ٢١].

وما أدري كيف يستقيم المنهج العلمي في فنّ تحقيق الروايات التي وعدنا به، باقتصاره على هذه الكُتب الأربعة على أهميتها، دون الرجوع إلى سائر الروايات في المصادر الأخرى وتحليلها؟

\* \* \*

وثاني الأدلة التي يسوقها للتدليل على صحة نظريته الجديدة، أن سعد ابن معاذ لم يذكر هذه الوثيقة في إجابته للنبي ﷺ وهو في طريقه لبدر، حين قال له: «والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل. قال: قد آمنّا بك وصدّقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا وموآثيقنا على السَّمع والطّاعة، فامضِ يا رسول الله لما أردت، فنحن معك». فعقّب على ذلك بقوله: «وقد وقعت غزوة بدر في حوالي الجزء الأخير من السّنة الثّانية من الهجرة، لذلك من المهمّ أن نلاحظ أنّه لا الرّسول ولا سعد

ابن معاذ أشارا بصورة جانبية إلى الوثيقة التي سُميت بالصَّحيفة، ولو أن هذه الصحيفة كانت قد وقعت بعد وصول الرسول إلى المدينة مباشرة، أو حتى خلال السنتين الأوليين من إقامته فيها لما أُشير للاتفاق السابق عليها الذي تمَّ في العقبة، والذي كان من شأن الصحيفة أن تَجَبَّه وتلغيه». [ص ٧١].

وجوابُ تساؤله هذا يؤكِّدُ أنَّ الوثيقة حقاً قد كُتبت في السنة الأولى للهجرة، ولا يستفاد منه نفي ذلك، لأن بيعة العقبة كانت تعهداً من الأنصار خاصَّة بحماية الرسول ﷺ في المدينة بعد هجرته إليها، إذ قال لهم رسول الله ﷺ ليلتذ في جُملة ما قال: «وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قَدِمْتُ عليكم ممَّا تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم، ولكم الجَنَّة»<sup>(٢٤)</sup>.

أما الوثيقة - فنصَّت فيما نصَّت - على الاتفاق بين المسلمين عامة واليهود خاصة على حماية المدينة ممن يدهمها من الأعداء. ومن ثمَّ كان خطاب النبي ﷺ - وهو في طريقه لغزوة بدر - إلى الأنصار، لأنَّ في خروجه من المدينة تحلُّلاً من التزامهم بحمايته داخلها، ومن ثمَّ أراد أن يتعرَّف موقفهم الجديد.

ثم إن الوثيقة سككت عن قتال الأنصار خارج المدينة، وهو ما يتفق مع بيعة العقبة، ومن ثمَّ لم يُشركهم النبي ﷺ في غزواته قبل غزوة بدر، ولم يرسل أحداً منهم في السرايا التي أرسلها قبلها<sup>(٢٥)</sup>. وحين خرج الأنصار معه إلى بدر لم يخرجوا لقتال، وإنما لتعقب قافلة قريش، فصار لزاماً على سعد ابن معاذ؛ وهو الأنصاريُّ، أن يقول ما قال.

ووفقاً للمنهج العلمي في البحث، كان على المؤلف أن يذكر لنا ما الذي

(٢٤) أخرجه أحمد في «المسند» (١٤٤٥٦)، وهو طرفٌ من حديث طويل لجابر بن عبد الله، وإسناده صحيح.

(٢٥) ينظر «مغازي موسى بن عقبة»: ١١٩، ١٢٠، و«تاريخ الطبري»: ٤٠٢/٢ - ٤١٠.

يخصُّ الأنصار وحدهم في الوثيقة، ويلغى ويحُجُّ ما كان منهم في بيعة العقبة، ثم يبيِّن لنا حينئذٍ وجه المخالفة بينهما. أما أن يُلقَى اعتراضه دون دليلٍ عليه، فهو افتراضٌ منه، وليس الافتراض في البحث التاريخي بالمنهج العلمي في شيء.

\* \* \*

وعدمُ تسمية القبائل اليهودية الثلاث في الوثيقة، وهم بنو قَيْنُقَاع وبنو النَّضِير وبنو قُرَيْظَةَ، دليلٌ ثالثٌ على صحة نظريته الجديدة [ص ٨٢]، فيقول: «ومعظم المؤرِّخين المسلمين لم يتنبَّهوا إلى عدم ذكر هذه القبائل اليهودية المهمة الثلاث في الصحيفة.. والتفسير البسيط لهذا الموضوع هو أن الوثيقة وقعت بعد جلاء بني قريظة». [ص ٨٣].

وأقول: وهو تفسيرٌ لا تؤيِّده الوقائع، فإنَّ معظم المؤرِّخين المسلمين لم يتنبَّه لذلك، لأنه أمرٌ لا يستحقُّ الانتباه، وهم العرب لساناً، ويفقهون أسرارَه. فقد ورد في ديباجة الوثيقة: «وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرَّهم على دينهم وأموالهم»<sup>(٢٦)</sup>.

ويهود في لغة العرب جمع يهودي، والعربُ حين تطلق هذا اللفظ تعني كلَّ اليهود دون استثناء<sup>(٢٧)</sup>.

وخشية ألا يفهم الأعاجمُ ذلك أوضح بعضُ المؤرِّخين المسلمين مثل أبي عُبَيْد القاسم بن سلام والبلاذُري والطَّبْري المراد، فذكروا أنَّ رسول الله ﷺ حين قدم المدينة «وادع يهودها»<sup>(٢٨)</sup>. ومعروفٌ في العربية أنَّ الجمع إذا

(٢٦) سيرة ابن هشام: ١٤٧/٢.

(٢٧) ينظر «لسان العرب»: (هود).

(٢٨) الأموال للقاسم بن سلام: ٣٠٧/١، وأنساب الأشراف للبلاذري: ٢٨٦/١، وتاريخ

الطبري: ٤٧٩/٢.

أضيف يُفيد العموم<sup>(٢٩)</sup>؛ أي يهود المدينة كلهم دون استثناء، وفي مقدمتهم ولا شك يهود القبائل الثلاث: بنو قَيْنُقَاع، وبنو النَّضِير وبنو قُرَيْظَةَ. وكان لكل قبيلة من هذه القبائل مساكنها في المدينة لا يشاركها فيها غيرها، وهذه القبائل الثلاث هي صاحبة النفوذ بالمدينة عشية هجرة النبي ﷺ إليها، ولذلك هي المعنية أولاً وأخيراً بالوثيقة.

وثمة مجموعات صغيرة من يهود كانت تسكن الأوس والخزرج في أحيائهم، ولا قوة عسكرية لهم، هذه المجموعات فصلت أسماؤها في الوثيقة بحسب انتسابهم إلى بطون الأوس والخزرج، لما يترتب على هذه المشاركة من حقوق وواجبات. وذكر هذه المجموعات الصغيرة لا يعني إغفال تلك القبائل الثلاث، كما يريدنا المؤلف أن نفهم من نظره الجديدة.

\* \* \*

ورابع أدلته التي ساقها: «هو إعلان يثرب حرماً آمناً، واعتبار إقليم من الأقاليم حرماً يفترض إمّا وجود تقليد قوي، وعُرف مرعيّ باطراد، كما كان الحال بالنسبة لمكة، أو وجود قوة عسكرية قادرة على فرض وحماية قداسة الحرم من التهديد الخارجي والاضطرابات الداخلية، ولم يكن النبي ﷺ والصحابة في السنوات الأولى للهجرة، ولا سيّما حتى غزوة الأحزاب يعيشون في أمن، كما لم يكونوا بالتأكيد واثقين من قدرتهم على حماية المدينة بنجاح.. لذلك فمن المقبول أن نستنتج أن إعلان يثرب كحرم جاء بعد حادثة بني قُرَيْظَةَ، التي لم تكن في واقع الأمر سوى استمرار لغزوة الأحزاب.. وإن إنشاء هذا الحرم وفقاً للحديث جاء بعد عودة رسول الله من خيبر سنة ٦٢٨هـ/٦٢٨م». [ص ٨٦، ٨٧، ٨٨].

وقد أُتِيَ المؤلَّف في دليله هذا من قِبَلِ خَلْطِهِ بين معنيين لتحريم المدينة، الأول: وهو الحَرَمُ الآمن المراد بالوثيقة، فقد فسَّرته الوثيقة نفسها: «وإنَّه ما كان بين أهل هذه الصَّحيفة من حَدَثٍ أو اشتجار يُخاف فساده، فإنَّ مردَّه إلى الله عز وجل، وإلى محمد رسول الله ﷺ. وإنَّه من خرج آمن، ومن قعد آمنٌ بالمدينة إلا من ظَلَمَ أو أثَمَ»<sup>(٣٠)</sup>.

ومعنى هذا أن أهل المدينة، على اختلاف أعراقهم وانتماءاتهم الدينية، آمنون على أموالهم ودمائهم وأعراضهم. وما يقع بين أفرادهم أو قبائلهم من نزاعاتٍ يُحَلُّ وَفَق ما جاء بالوثيقة، بعيداً عن تلك الأعراف الفاسدة التي كانت سائدة من قبل. وهذا الآمن هو الذي كانت المدينة بمسيس الحاجة إليه، لافتقادها له، قبل هجرته ﷺ، عقوداً من السنين مديدة، واستتبابه إحدى غايات هذه الوثيقة العظيمة.

أما التحريم الثاني، والذي وقع بعد عودة رسول الله ﷺ من خيبر، وأشار إليه المؤلَّف، فهو تحريمُ الصَّيد في المدينة، وقَطْع أشجارها؛ روى ذلك أنس بن مالك، فقال: «خرجتُ مع رسول الله ﷺ إلى خيبر أخذمه، فلما قدم النبي ﷺ راجعاً، وبدا له أحدٌ، قال: هذا جبلٌ يحبُّنا ونحبه. ثم أشار بيده إلى المدينة، قال: اللهمَّ إني أحرم ما بين لابتيها<sup>(٣١)</sup> كتحرير إبراهيم مكَّة، اللهمَّ بارك لنا في صاعنا ومُدِّنا»<sup>(٣٢)</sup>. وجاء تفسير ذلك من حديث

(٣٠) سيرة ابن هشام: ١٤٩/٢ - ١٥٠.

(٣١) لابتيها مثنى، مفردة اللَّابَة: وهي الحرَّة. والمدينة تقع ما بين حرَّتَيْن عظيمتين. ينظر «لسان العرب»: (لوب).

(٣٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٨٨٩)، ومسلم في صحيحه برقم (١٣٦٥)(٤٦٢). وقوله ﷺ عن جبل أحد: هذا جبل يحبنا ونحبه. قاله كذلك في رجوعه من غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٤٨١)، (٤٤٢٢).

جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «إبراهيم حرم مكة، وإنني حرمت المدينة ما بين لابتيها، لا يُقطع عِضَاهُهَا، ولا يُصَاد صَيْدُهَا»<sup>(٣٣)</sup>. ومن حديث سعد بن أبي وقاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنني أحرمت ما بين لابتي المدينة أن يُقطع عِضَاهُهَا، أو يُقتل صَيْدُهَا»<sup>(٣٤)</sup>.

وذكر الإمام الطحاوي عن بعض العلماء سبب نهيه ﷺ عن صيد المدينة وقطع أشجارها، فقال: «لأن ذلك زينة المدينة، فأراد أن يترك لهم فيها زيتها ليألفوها، ويطيب لهم بذلك سُكْنَاهَا»<sup>(٣٥)</sup>.

فأين هذا مما ذهب إليه المؤلف من افتراضات ليس له عليها دليل؟ وأين ما وعدنا به من تحقيق الروايات لتمييز ما فيها من حق أو زيف؟ [ص ٤٣].

\* \* \*

وآخر ما توسل إليه للتدليل على صحة نظريته الجديدة، هو استغرابه استخدام كلمة «الإثم» في ثماني مواد من الوثيقة، سبغ منها تتعلّق باليهود، ويستنتج من ذلك «أنّ العبارات المتعلقة باليهود أُدخلت بعد جلاء بني النضير وبعض بني قريظة جزاءً على إثمهم. ولم يكن رسول الله ﷺ لدى وصوله إلى يثرب يتوقّع إثمًا من اليهود، مع أنه لم يكن ينتظر كذلك من جانبهم تأييداً وعوناً خالصين. واليهود كذلك لم يصدر منهم في السنة الأولى من الهجرة، وهي السنة التي تعتبر عادة سنة توقيع الصحيفة، شيء يثير لدى المسلم خوفاً من نفاقهم أو خديعتهم». [ص ٨٨-٨٩].

(٣٣) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٣٦٢)(٤٥٨).

(٣٤) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٣٦٣)(٤٥٩).

والعِضَاهُ: كلُّ شجر له شوك، وقيل: أعظم الشجر. واحداها عِضَاهَةٌ، ينظر «لسان

العرب»: (عضه).

(٣٥) شرح معاني الآثار: ١٩٤ / ٤.

والقارئ للوثيقة بتدبر وإمعان يرى أن كلمة «الإثم»، وهي بمعنى الذنب، وعمل ما لا يحل<sup>(٣٦)</sup>، استخدمت للتأكيد على أن مسؤولية من يخرق بنودها هي مسؤولية فردية، والمذنب وحده يتحمل جريرة ذنبه، لا يشاركه غيره من قبيلته - كما كان سائداً من قبل - والمسلمون واليهود في ذلك سواء. وقد نصّ على ذلك بأوضح عبارة في آخر الوثيقة: «وإنَّ البِرَّ دون الإثم، لا يكسب كاسبٌ إلا على نفسه.. وإنه لا يحولُ هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمنٌ بالمدينة إلا من ظلمَ أو أثم»<sup>(٣٧)</sup>.

هذا هو الاحتكام إلى القانون بأروع تجلياته، بعيداً عن نيات اليهود وما قد يقع منهم، فهل يفهم من ذلك ما يريد المؤلف أن يفهمنا إياه؟

\* \* \*

ولإيهام القارئ بالنزاهة والموضوعية العلمية كتّب أستاذه برنارد لويس في تصديره للكتاب: «المؤرّخ باحثٌ لا يسعى لإثبات نظرية أو لاختيار مادة يدلُّ بها على نقطة معينة، إنما يسير وراء الشواهد التي تعرض له إلى حيث تقوده.. فإنّ من الزلل أن يستسلم المؤرّخ لمشاعر الولاء أو التحامل التي قد يتلوّن بها فهمه للتاريخ وعرضه له». [ص ١٥].

وهي كلمة حقّ في منهج البحث التاريخي، ولكنّ الالتزام بها مطلبٌ عسير عند من يستسلم لمشاعر الولاء أو التحامل من المؤرّخين، ويلوّن بها فهمه للتاريخ وعرضه له. ومنهم أستاذه برنارد لويس نفسه، فقد اعترف تلميذه بركات أحمد بأنّه: «قرأ مخطوط الكتاب كلمة كلمة، وقدم لي مقترحاتٍ عملية قيّمة تأثّر بها كل فصل من فصول هذا الكتاب تقريباً». [ص ١٢].

(٣٦) لسان العرب: (أثم).

(٣٧) سيرة ابن هشام: ١٥٠/٢.

وما قعد عن فعله المؤلف، سأقومُ به، وسأسعى وراء الشواهد التي تعرضُ لي إلى حيث تقودني، لأقف عمّا وقع فعلاً بعد غزوة الأحزاب، وهو التاريخ الذي ذكره المؤلف لكتابة الوثيقة:

يروى الإمام البخاري في «صحيحه» من حديث سليمان بن صرد أن رسول الله ﷺ قال لما أجلى الأحزابُ عنه: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسيرُ إليهم»<sup>(٣٨)</sup>.

وهذا ما وقع، فبعد غزوة الأحزاب زال الخطر عن المدينة، ولم تعد تخشى من أيّ تهديد خارجي. وسار رسول الله ﷺ إلى مكة في السنة التالية معتمراً، فصدّته قريشٌ عن البيت، ووقع بينهم صلح الحُدبية إلى أن نقضته قريشٌ كذلك، فكان ذلك سبب فتح مكة، وقد فصلتُ كتبُ السيرة النبوية هذه الوقائع.

ويروي الإمامان البخاري ومسلم كذلك في «صحيحهما»: عن أبي هريرة، قال: «بينما نحن في المسجد خرج إلينا رسول الله ﷺ، فقال: انطلقوا إلى يهود. فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس، فقام رسول الله ﷺ، فناداهم: يا معشر يهود، أسلموا تسلموا. فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم. فقال لهم رسولُ الله ﷺ: ذاك أريد، أسلموا تسلموا. فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم. قال: ذاك أريد. ثم قالها الثالثة، فقال: اعلموا أنما الأرضُ لله ورسوله، وإني أريدُ أن أجليكم من هذه الأرض، فمن وجدَ منكم بماله شيئاً فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله»<sup>(٣٩)</sup>.

وهذا الحديثُ بعد فتح خيبر، لأنَّ إسلامَ أبا هريرة كان بُعيد فتحها<sup>(٤٠)</sup>،

(٣٨) صحيح البخاري (٤١١٠).

(٣٩) صحيح البخاري (٦٩٤٤)، (٧٣٤٨)، وصحيح مسلم (١٧٦٥) (٦١).

(٤٠) فقد أخرج البخاري في «صحيحه» (٢٨٢٧) بإسناده إلى أبي هريرة أنه قال: «أتيت رسول الله ﷺ، وهو بخيبر بعدما افتتحوها».



واليهود الذين ذهب رسول الله ﷺ إلى بيت مدراسهم - وهو البيت الذي يدرسون فيه<sup>(٤١)</sup> - هم بقايا اليهود بالمدينة بعد إجلاء بني قَيْنُقَاع وبني النَّضِير، والفراع من أمر يهود بني قريظة<sup>(٤٢)</sup>.

هذان النَّصَان الصَّحِيحَان، والذي يسلّم المؤلّف كذلك بصحتهما [ص ٤١، ٤٢]، يدلان على أمرين، الأول: زوال الخطر عن المدينة بعد غزوة الأحزاب. والثاني: إرادة رسول الله ﷺ إجلاء بقايا اليهود من المدينة بعد فتح خيبر.

فإذا سلّمنا جِداً بصحة ما ذهب إليه، وهو أن الوثيقة كُتبت بعد إجلاء بني قريظة، فأَيُّ فائدة ترتجى حينئذٍ من كتابتها مع قومٍ فقدوا قوتهم العسكرية والسياسية، ولم يعد يُخشى منهم غدرٌ أو تنتظر منهم معونة؟ وهل يستقيم في منطق السياسة أن يترك النبي ﷺ القبائل اليهودية الثلاث ذات البأس: بني قَيْنُقَاع وبني النَّضِير وبني قريظة دون صحيفةٍ تحدّد علاقاتهم بالمسلمين سنين طويلة، عاشت المدينة خلالها في خوفٍ من خطر خارجيٍّ عليها، حتى إذا تمكنت هيبة المسلمين وقويت، وزال الخطر بعد انتصارهم في غزوة الأحزاب وجلاء بني قريظة، يكتب صحيفةً مع ما بقي من يهود المدينة، وهو يريدُ إجلاءهم عنها، ينصُّ فيما ينص فيها على نُصرتهم له إذا دهم يثرب عدوٌّ؟

ومع ما حشد المؤلّف من أدلةٍ ليقنعنا بنظرته الجديدة، فإنه لم يستطع الدِّفاع عن جدوى هذا الاتِّفاق مع اليهود في ذلك التوقيت الذي اختاره، فقال: «ويبدو أن كُتِّب المغازي فقدوا الاهتمام بيهود يثرب بعد هزيمة بني قريظة وغيرهم من اليهود.. ولأنَّ سكان المدينة من اليهود خلال الفترة

(٤١) لسان العرب: (درس).

(٤٢) فتح الباري: ٦ / ٢٧١.

المتأخرة من حياة الرسول ﷺ لم يشتركوا في أي حرب، ولم يثيروا أي شغب كفَّ كُتَاب المغازي عن الاهتمام بأمرهم. والرسول ﷺ لم يعيش طويلاً بعد فتح مكة، وبوفاة الرسول ﷺ اختفت الصحيفة، والأمة التي تمخضت عنها، واليهود الذين كانوا طرفاً فيها عن الأضواء». [ص ٩٤].

وإذا كان ذلك كذلك فعلام يهتمُّ بهم كُتَاب المغازي؟ والغريبُ حقاً أنَّ المؤلِّف نفسه يعترف من بعدُ بضياح نفوذ اليهود وقوتهم بعد بني قريظة، [ص ١٧٠]، بل وينسى في آخر كتابه ما قاله في نظرتَه الجديدة، وكأنَّه ضميراً يؤيِّدُ أنَّ الوثيقة كُتبت أوَّل مقدِّمه ﷺ المدينة، فيقول: «لقد كان الرسول ﷺ يعلم قبل وصوله إلى المدينة أنَّ اليهود سيرفضون تصديقه، ولكنه عرض عليهم مع ذلك شروط الصَّحيفة على أساس وحدانية الله سبحانه وتعالى». [ص ٢٠٢]

وهكذا يتضح لنا أنَّ هذا المؤلِّف في نظرتَه الجديدة بدل أن يسير وراء الشواهد التي تعرض له إلى حيث تقوده، وقع في زلل استسلامه لمشاعر الولاء أو التحامل التي لوَّنت فهمه للتاريخ وعرضه له، حتى انتهى به المطافُ أخيراً إلى أن يجردَ النبي ﷺ ممَّا لم يجردَّه منه حتى غلاة المستشرقين، وهو حُسنُ السِّياسة، وعبقريَّة القيادة.

ونتساءل: هل يستحقُّ هذا المنهج في البحث أن يُوصف بأنَّه «نموذجٌ حي للبحث التاريخي في أعلى مستوياته»، كما وصفه الدكتور إتبرز من جامعة نيويورك؟ وهل هو أول دراسة موضوعية «للموضوع» يقوم بها مسلمٌ، كما ذكر الدكتور نور الحسن من جامعة دلهي<sup>(٤٣)</sup>؟ وهل يمثل هذه الطريقة في البحث يُعاد كتابة تاريخنا وفهمنا له، تحت بريق كلمة خداعة؛ نظرة جديدة؟

\* \* \*

(٤٣) ورد قولهما هذا في غلاف الكتاب.

## المصادر والمراجع

- الأموال، لأبي عبيد القاسم بن سلام، حققه وعلق عليه سيد رجب، دار الهدى النبوي، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- أنساب الأشراف، تصنيف أحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري، تحقيق الدكتور محمد حميد الله، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩م.
- بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، تأليف الدكتور عبد العزيز الدوري، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٣م.
- تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر.
- تهذيب التهذيب، تصنيف أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، باعثناء إبراهيم الزبيق وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، المعروف بصحيح البخاري، للإمام الحافظ الكبير محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، مطبوع مع فتح الباري؛ شرح الحافظ ابن حجر العسقلاني، عناية عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ترقيم فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق مجموعة من العلماء بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.
- السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري،

- وعبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- السيرة النبوية الصحيحة، تأليف الدكتور أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة السادسة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- شرح معاني الآثار، تأليف أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق محمد زهري النجار ومحمد سيد جاد الحق، أعادت نشره عن الطبعة المصرية عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٩٥٥م.
- لسان العرب، لجمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت.
- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تأليف أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، قابله على نسخة خطية وأعدده للطبع ووضع فهرسه الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، تأليف الدكتور محمد حميد الله، دار النفائس، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- مسند الإمام أحمد ابن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، وإبراهيم الزبيق، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- المغازي، لموسى بن عقبة، جمع ودراسة وتخرير محمد باقشيش، المملكة المغربية، جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

# المحاضرات والمدارسات (\*)

---

(\*) المدارس: هي المقابل العربي لكلمة (seminar) الأجنبية، وتعني بحثاً يقدمه أحد أعضاء المجمع، للتذاكر به ومناقشته في مجلس المجمع.



## كلمة الدكتور مروان المحاسني

### في احتفالية المخطوط العربي (\*)

أيها الحفل الكريم:

يطيب لي أن أرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم متابعتكم للنشاطات الثقافية المجمعية، وجميعها تصبُّ في مجالات تخدم مسار لغتنا الحثيث للتطابق مع مقتضيات العصر. ولا يكون ذلك إلا بالاستناد إلى معرفةٍ دقيقة لمحتويات تراثنا، بما يساعدنا على إيجاد تطابقٍ مستمر بين لغتنا، وبين حضارةٍ غازية جارفة تحمل حقائقَ الحاضر، وهي قادرة على استكشاف مقوّمات عالم المستقبل.

ذلك أن العلاقة العضوية الوثيقة القائمة بين حضارتنا ولغتنا، هي الحافظ لنا من مخاطر الاستغراب أي التغريب الطوعي، إذ إنها تحوّل دون انزلاقنا في قطيعةٍ معرفية مع تراثنا الحضاري، الذي هو عماد هويتنا. وليس تخصيص ندوةٍ تنظر في كنوزنا التراثية، المستقرة في مخطوطاتٍ تجاوزت الكثير من صُروف الدهر لتصل إلينا، سوى تأكيدٍ لضرورة التقرب من منطلقاتنا الثقافية، نستقي منها ما يساعدنا على ازدياد تلك الهمسات، بل

---

(\*) ألقى رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق الدكتور مروان المحاسني هذه الكلمة في احتفالية المخطوط العربي التي أقيمت بتاريخ ١/٦/٢٠١٦م.

تلك التخرّصات، التي يغلب عليها التشكيك في مقدرة اللغة العربية على الاضطلاع بأعباء الحداثة.

إنّ الغرض من العودة إلى التراث، مطبوعاً كان أو مخطوطاً، هو إبراز ما قد يكون خافياً علينا، في أصولٍ لم تحظْ باهتمام الباحثين، من نصوصٍ تحتوي على إضافاتٍ أو تحليلات، تسلط الضوء على بعض المفاهيم التي ينقصها الوضوح، معتمدين معرفة لغوية هي وحدها قادرة على فتح مغاليت تاريخنا الفكري، بما يوصلنا إلى استخلاص الفوائد والعبر، من ذلك الصرح العلمي والفلسفي والإبداعي الذي أقرّ الغرب أنه بنى حضارته عليه.

وإنّ الانتماء إلى مجال لغوي يعني الانتماء إلى جميع مكونات الثقافة التي تحملها اللغة، تلك المكونات التي تجتمع فيها القناعات والرموز، والتمثلات والعقائد، والمواقف وردود الأفعال، وجميعها تتجلى في الإرث الحضاري المطبوع في الذات الحضارية.

من المؤكّد أن التعمّق في التراث هو الذي يقف في وجه ما تحمله العولمة من مغرياتٍ وتطلعات يستسلم لها المشرقي، بل يغرق فيها منجذباً إلى بريقتها، نابذاً ما اعتاده في حضارته الأثيلة من اعتمادٍ صامد للعقل، يحول دون انجرافه بعيداً عن ثوابت لا يجوز له أن يحيد عنها، إلا حين يجد أنّ ذلك يتسق مع قيمه، وينسجم مع معايير ذاتيته الثقافية.

وما قصده مجمعنا من تسليط الأنظار على شؤون المخطوطات، هو إعادة المصطلحات إلى نصابها، بعد أن رأينا الكثيرين يعتقدون أن إحياء التراث يقتصر على المخطوطات المتعلقة بعلم العربية، وبالتفسير الفقهي، جازمين بأننا قد استحوذنا منها على أهم محتوياتها بما يكفي لخدمة اللغة والدين، متجاهلين بذلك القيم الفكرية والأخلاقية، التي حملتها



المخطوطات إبان ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، كحرية الفكر، وكرامة الإنسان، وحرية انتقال الأفراد، وانتقال الأفكار والسلع، إلى جانب ذلك المستوى الرفيع من العلوم الدقيقة كالبصريات وعلم التشريح والكيمياء وغيرها من العلوم التي هي الحامل الأساسي للعلوم الغربية الحديثة.

نحن الوارثون لتراث الآباء والأجداد الذي نطلق عليه اسم التراث، وهو مصطلح يجب علينا توضيح ما يوجد من فروق بينه وبين مصطلحين آخرين مشتقَّين من الجذر ذاته، هما مفهوم الإرث ومفهوم الميراث.

هما لفظتان تخصّان ما يخلفه الميت لورثته، وتشيران إلى نصيب الأفراد من تركة الميت، أي إنهما تفترضان موت الأب المورث للمال والاسم والجاه.

أمّا مفهوم التراث في العصر الحديث فيشير إلى موروث حضاري وفكري يعني حضور الأب في الابن، بما يضمن استمرار الماضي في الحاضر، لينعم الأبناء بمنطلقات فكرية وأخلاقية توصلهم إلى آفاق جديدة.

إن العودة إلى التراث تثير تساؤلاً متكرراً: ما دام كل من التراث والتاريخ متعلقاً بالماضي فما الفرق بينهما؟ وأرى أن الإجابة عن هذا

السؤال قد شرحها محمد أركون في كتابه عن تاريخية الفكر الإسلامي، وهي أنه إذا كان التاريخ هو الماضي في بعده التطوري، فإن التراث هو

الماضي في بعده التطوري موصولاً بالحاضر ومتداخلاً معه ومتشابكاً به، أي كما يقول ليفي برول «Levy Bruhl»، العالم الاجتماعي الفرنسي، في

كتابه عن الأقوام البدائية «Mythologie Primitive»: «إن الأقوام البدائية لا تاريخ لها، بينما نعيش نحن في عالم تاريخي له مستقبله الذي تمّ إنجاز جزء

منه هو الماضي القومي، وبقي الجزء المتمم وهو في قيد الإنجاز».

وإن النظرة إلى الماضي القومي وإلى المستقبل جعلت مجامع اللغة

العربية تطرح موضوعين لغويين هامين يسبران أعماق التراث. أحدهما هو الذخيرة اللغوية التي تسعى إلى جمع كامل لما يمكن الوصول إليه من اللغة العربية، في برنامج حاسوبي يُتَوَجَّح ما نجده في المعاجم، متساوفاً مع ما تميزت به المراحل الزمنية من تغيرات. والمشروع الثاني هو مشروع المعجم التاريخي للغة العربية الذي اختص فيه كل مجمع ببرهة زمنية تاريخية محددة، لدراسة النصوص الشعرية والمخطوطات والكتب التراثية الهامة، لتبيان ما يطرأ على اللغة العربية من تطورات عبر العصور.

إن اهتمام مجمعنا بصيانة ما لديه من مخطوطات جعلنا نستعين بخبير عالمي هو صاحب مؤسسة جمعة الماجد الذي أرسل لنا عدداً من الخبراء نظروا في مخطوطاتنا ودرّبوا العاملين لدينا على حفظها، وترميم بعض ما يمكن أن يُصيبها من تَلَف، ونحن نسعى إلى إدخال محتوياتها في برنامج لغوي حاسوبي عالمي، يجعل تلك الكنوز الثقافية في متناول الدارسين أينما كانوا.

أيها السيدات والسادة:

حقيقة الأمر أنه لا يمكننا إحداث قطيعة تامة مع بعض عناصر التراث كاللغة والقيم والتقاليد والمشاعر، لأنها تكوّنت طيلة حقب تاريخية طويلة، واللغة القومية هي عمادها، ولا تولد الشخصية القومية الحضارية في الحاضر بل هي امتداد لخبرات الأجيال.

ومازلنا نتبحر في دقائق تراثنا المتغلغل في نفوسنا، مؤمنين بأنه عون لنا على التطور والنماء، لأنه إنساني في قيمه ومناهجه ومواقفه.

لذلك نقول: باللغة واللغة وحدها يندمج الفرد في المجتمع، مستوعباً تراث الأمة الفكري والأخلاقي والشعوري، مستنبطاً نتاج قرائح الكتاب والشعراء والمفكرين على مرّ الحقب والأزمان.

وما زلنا ننهل من تراثنا كؤوساً مترعةً من الألفاظ المعتمدة في العلوم،  
وفي المجالات المعرفية المختلفة، وهي اللبنة الأساسية في بناء فهمنا  
لحاضرنا، ولرؤف مكونات مستقبلنا.

وكما يقول الفيلسوف الألماني (هردر):

«قلب الشعب ينبض في لغته، وروحه تكمن في لغة الآباء والأجداد».

والسلام...





## طبيعة العصر والمحتوى الرقمي العربي

أ.د. محمود السيد (\*)

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف طبيعة العصر الذي نحيا فيه، وأن نقف على المحتوى الرقمي العربي على الصعيد العربي واقعاً وتشخيصاً، ثم نتعرف بعض المبادرات التي سعت إلى زيادة مساحة المحتوى العربي الإلكتروني على الشبكة (الإنترنت)، لتتوصل أخيراً إلى عدد من التوصيات الرامية إلى النهوض بهذا الواقع والارتقاء به.

### أولاً - طبيعة العصر

يتسم العصر الذي نحيا تحت ظلاله بسمات متعددة، ومن هذه السمات أنه عصر التدفق المعرفي، والانتشار الثقافي الخاطف، والمواصلات السريعة، وأنه عصر العلم والتقانة (التكنولوجيا) والمعلوماتية، وهو عصر هيمنة الأقوياء على الضعفاء، وعصر ازدواج المعايير، وانحسار القيم المعنوية لمصلحة قيم الاستهلاك والقيم المادية، وعصر تنامي العنف والإرهاب والتفكير الظلامي التكفيري، وعصر تلوث البيئة واختلال المنظومة البيئية، والتفجر السكاني، وانتشار أحزمة الفقر حول المدن، وازدياد نسبة البطالة وخاصة بين الشباب، وهو عصر هيمنة التقانات

---

(\*) ألقى عضو مجمع اللغة العربية بدمشق الدكتور محمود السيد هذه المحاضرة بتاريخ

٢٠١٦/١١/٣٠ م.

المتقدمة والمعلوماتية والاتصالات في ظل العولمة على كل جوانب الحياة تعليمياً وعملاً وثقافة وإعلاماً وتفاعلاً اجتماعياً وإلكترونياً... إلخ.

ولم يشهد التاريخ مرحلة تضاءلت فيها المسافة بين العلم والتقانة مثلما شهدتها في عصرنا الحالي، فما إن تنتهي التجربة في مختبرات العلماء حتى تجد سبيلها إلى التنفيذ، وخاصة في مجال الاتصال.

وتعددت أساليب الاتصالات وتقنياته إن في مجال الإعلام، أو في مجال التعليم، أو في مجال الاتصال الشخصي، فهناك القنوات الفضائية والشابكة (الإنترنت)، والهواتف المحمولة الذكية، والتقنيات التعليمية الحديثة. وهذا كله فرض نفسه على برامج تعليم اللغة، فازداد الاهتمام بالبعد الثقافي في تعليم اللغات، ولم تعد العلاقة بين اللغة والثقافة مجرد جدل أو محور نقاش، بل أصبحت وجهين لعملة واحدة، وغدت الثقافة مهارة خامسة تصاحب زميلاتها من المهارات اللغوية الأربع محادثة واستماعاً وقراءة وكتابة. وهذا ما دفع المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) إلى الدعوة على الصعيد العالمي لاحترام ثقافات الشعوب ولغاتها الوطنية، وتخصيص يوم الواحد والعشرين من شهر شباط من كل عام موعداً للاحتفال بيوم اللغة الأم للمجتمعات البشرية حفاظاً على ذاتيتها الثقافية، ووعاؤها اللغة الأم.

ويمر العالم اليوم بمرحلة جديدة تؤدي فيها الاتصالات وتقانة المعلومات دوراً حيويّاً ومؤثراً في مجالات الحياة كافة، إذ تغيرت كل أنماط العمل والترفيه والتعليم والإعلام متحولة إلى الرقمية الكاملة Digitization، وتعددية الوسائط Multimodality والتفاعلية Interactivity والشخصنة Customization<sup>(١)</sup>.

(١) الدكتورة عزة فاروق جوهرى - المبتاداتا ودعم استرجاع المحتوى الرقمي للصحف العربية الإلكترونية في البيئة الرقمية - جامعة بني سويف - قسم المكتبات والوثائق - ٢٠١٠.

وغدت الثقافة الرقمية Digital Culture أسلوب حياة يركّز على المعرفة والتعلم والثقافة وتوظيف التقانة في التنمية والتقدم والنفعية إن على المستوى الفردي، أو على المستوى الاجتماعي في الأعم الأغلب.

ومن الملاحظ أن الأطفال في عصرنا الحاضر تعلّقوا بالوسائط التقانية بعد أن هيمنت على المجتمعات، وأثرت فيهم حتى بات يطلق على الأطفال في عصرنا مصطلح الأطفال الرقميين: Digital Kids، إذ إنهم ينمون في عالم زاخر بالرموز والأدوات الرقمية والتواصل الاجتماعي والشبكة (الإنترنت)، وصارت الخبرات التي يحصل عليها الأطفال بنتيجة تفاعلهم مع تلك الوسائل خبرات غير تقليدية شقّت طريقها إلى حياتهم في الأسرة والمدرسة وفي ألعابهم وتعلمهم وتفاعلهم مع أقرانهم، وأضحت الأدوات والرموز الرقمية وسائل إتاحة للمعرفة والثقافة والترويج في بناء شخصية الطفل، وواقعاً مؤثراً في حياته<sup>(٢)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن الثقافة الرقمية تحتل حيزاً كبيراً على الصعيد العالمي، وغدت توجهاً عالمياً وحضارياً.

وفي ضوء ذلك تبّهت المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) على أهمية الغنى الرقمي في تعليم الأطفال، واستثمار الثقافة الرقمية في تحقيق نقلة نوعية في تربية الأطفال وتعليمهم، وفي إصلاح التعليم والتركيز على التعليم الجماعي من خلال المشاركة الرقمية بين الأطفال والتوظيف الإيجابي للتواصل الاجتماعي الإلكتروني، ذلك لأن ثمة مخاطر كامنة في سوء

Montgomery K, (2001), Digital Kids: The Neu on line children, S (٢)  
Consumer culture, iND. Siger 8c j. Singer, (eds), Handbook of children  
and the media. Thousand Oaks, ch: Sage Publications, inc p 637.

استخدام الوسائط التفاعلية في حال غياب الرقابة والتوجيه. لذا كان لا بدّ من حماية الأطفال من سلبيات الثقافة الرقمية، وعالمها الافتراضي<sup>(٣)</sup>.

وإذا كانت مستويات الأهداف التربوية لدى المفكر التربوي (بلوم) تتمثل في الحفظ والتذكر والفهم والتحليل والتركيب والتطبيق والتقويم فإن التصنيف الرقمي يتمثل في<sup>(٤)</sup>:

- ١- الإيجاد Creating: البرمجة، الخلط، النشر، الإذاعة، التوجيه...
- ٢- التقويم Evaluating: التعليق، المراجعة، التشريك، التشبيك، الاختبار..
- ٣- التحليل Analyzing: الربط، التحقق، الاستعادة...
- ٤- التطبيق Applying: التنفيذ، المشاركة، التشغيل...
- ٥- الفهم Understanding: الاستقصاء، التغريد، التصنيف، التعقيب، الإحالة...
- ٦- التذكر Remembering: النتيجة، التركيز، التشبيك الاجتماعي، استخدام جوجل...

ويؤكد هذا التصنيف توظيف الأبجدية الرقمية على أنها خبرة تعلم ونمو كاملة في البنية الثقافية للمتعلم معرفة ومهارات واتجاهات وقيماً. وغني عن البيان أن ثمة هُوّة هائلة أي فجوة رقمية بين الوطن العربي وثورة الاتصالات والمعلوماتية في الدول المتقدمة، هوة تفصل بين من

(٣) UNESCO (2005) The role of UNESCO in the Construction of Knowledge societies through the UNiTwinn / UNESCO chairs Programme.

Paris. UNESCO P 17.

(٤) Beetham, H, and Sharpe, R (2013). Rethinking pedagogy for a digital age: Designing for 21st Century learning. NY P289.



يملك المعرفة وأدوات استثمارها ومن لا يملكها، أي بين الدول المتقدمة والدول النامية، وتنعكس مظاهرها في النفاذ إلى مصادر المعرفة، واستيعاب المعرفة، وتوليد المعرفة الجديدة، والإبداع، وصولاً إلى مجتمع المعرفة. ويقصد بمجتمع المعرفة المجتمع الذي يقوم على إنتاج المعرفة وتنظيمها ونشرها وتوظيفها في مجالات الحياة كافة باستخدام التقنية الرقمية. وتظل المجتمعات تعاني الفجوة الرقمية عندما لم تتمكن من النفاذ إلى مصادر المعرفة واستيعابها وتوظيفها لتوليد معرفة جديدة تسهم في تطوير التنمية في المجتمع.

ولقد حوّلت الثورة التقانية الهائلة التي حدثت في الربع الأخير من القرن الماضي وفي العقد الأول من الألفية الجديدة، حوّلت المعلومات إلى مورد من الموارد الاقتصادية، وظهرت مفاهيم جديدة على الساحة الدولية مثل الاقتصاد الرقمي والمجتمع الرقمي.

### ثانياً - المحتوى الرقمي العربي تعريفاً وأهمية

ثمة أنظار في الدول العربية توجهت نحو الثقافة الرقمية، وعقدت المؤتمرات على نطاق الساحة العربية للبحث في زيادة المحتوى الرقمي العربي على الشبكية، ومن المؤتمرات التي شهدتها الساحة العربية:

١ - المؤتمر الحادي عشر للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات

«نحو استراتيجية لدخول النتاج الفكري المكتوب باللغة العربية

في الفضاء الإلكتروني» - القاهرة، أغسطس ٢٠٠٠.

٢ - المؤتمر الوطني الأول لصناعة المحتوى الرقمي العربي «نحو

استراتيجية وطنية سورية في صناعة المحتوى الرقمي العربي» -

دمشق ٢٠٠٩.

- ٣- ندوة «رقمنة وتطوير المحتوى العربي» - معهد الكويت للأبحاث العلمية - الكويت ٢٠١٠.
- ٤- ورشة العمل «إشكاليات اللغة العربية في المواقع الإلكترونية» - دمشق ٢٠١٠.
- ٥- المؤتمر الحادي والعشرون للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات (اعلم) المكتبة الرقمية العربية، عربي أنا: الضرورة، الفرص والتحديات - بيروت تشرين الأول ٢٠١٠.
- ٦- المؤتمر الثالث لجمعية المكتبات السودانية - الخرطوم - يوليو ٢٠١٣.
- ٧- ندوة الوطنية والمسؤولية الاجتماعية - المكتبة الرقمية العربية - الرياض ٢٠١٥.

ويقصد بالمحتوى الرقمي العربي Digital Arabic Content ما يوضع على الشبكة (الإنترنت) باللغة العربية، ويطلق عليه أيضاً المحتوى الإلكتروني العربي، وهو مجموع مواقع وصفحات (الويب) التي كتبت باللغة العربية أو الكتب أو الموسيقى أو الفيديو... إلخ، أي كل ما هو مكتوب في الفضاء الرقمي باللغة العربية إن في داخل البلاد العربية أو في خارجها، وكل ما هو مسجل بأصوات عربية أو مصوّر تصويراً يستدل به على مصدره العربي، ويتناول قضايا ثقافية وفكرية وإعلامية واجتماعية واقتصادية... إلخ.

ويتضح من هذا التعريف أن مساحة المحتوى العربي يفترض أن تكون مساحة واسعة تشمل الثقافة بمختلف أبعادها، والأخبار، والإعلام، والترفيه، ومحتوى الخدمات الإلكترونية كالحكومة الإلكترونية، والتجارة الإلكترونية، والتعليم الإلكتروني، والمدونات، والشبكات الاجتماعية، والألعاب... إلخ.

ويتمثل المحتوى الرقمي العربي في أشكال كثيرة من بينها النصوص والصور وأشربة الفيديو والبرامج التلفزيونية والإذاعية والتسجيلات الموسيقية وأفلام السينما... إلخ، فهو عبارة عن مجموعة من تطبيقات تعالج، وتخزن، وتعرض معلومات باللغة العربية وبرمجيات تتلاءم معها إلكترونيًا، ويشمل كل معلومة متوفرة باللغة العربية بصيغة رقمية، وكل ما يتداول رقميًا من معلومات مقروءة أو مسموعة، ويشمل الخدمات الإلكترونية والمحتوى السمعي والفيديو والبرمجيات وقواعد البيانات ومنتجات المصدر المنتج الداعمة، والأدوات وبرامج معالجة اللغة العربية والمحركات البحثية ومحركات الترجمة... إلخ.

ومن مجالات الخدمات العامة الحكومة الإلكترونية، والتعليم الإلكتروني، والصحة الإلكترونية، والثقافة الإلكترونية، والمشاركة المجتمعية... إلخ.

ومن مجالات الإعلام والترفيه على سبيل المثال اللُّعب، والترفيه، والمجلات، والصحف، وكتب الجمهور، والكتب التعليمية، والمهنية والتدريب، والإعلام الاقتصادي، والترفيه السينمائي، والإنتاج التلفزيوني، والموسيقا، والنفاذ، وإعلانات الشبكة... إلخ.

وتتجلى أهمية المحتوى الرقمي العربي في توظيفه لدعم التنمية في المجتمع العربي، والتحول به إلى مجتمع معرفي تتوفر له المعلومات والفرص الإلكترونية، كما تتجلى أهميته على الصعيد العالمي في حفاظه على الهوية العربية، وتعزيز المخزون الثقافي والحضاري الرقمي إنتاجاً واستخداماً لدعم التنمية وولوج عالم المعرفة.

وترجع أهمية المحتوى الرقمي العربي إلى عاملين أولهما نشره

وسهولة الوصول إلى المتلقي، وثانيهما كثافة المحتوى إذا توفر، وهو الذي يعد من أهم عوامل التعبير عن الثقافة والحضارة على الصعيد العالمي. ومن هنا كانت صناعة المحتوى الرقمي العربي من الأهمية بمكان على أنها وسيلة للحصول على المعلومات في حياتنا اليومية بصورة مستمرة، وسعي إلى بقاء اللغة العربية لغة حية في الفضاء السّبيراني، وإسهام من المنطقة العربية في صناعة المحتوى الرقمي على الصعيد العالمي، وتوفير فرص عمل جديدة للشباب العربي بطريق تشجيع صناعة هذا المحتوى، وضمن وجود سوق هامة لتسويق برمجياته وتطبيقاته<sup>(٥)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن الشبكة (الإنترنت) تعد موسوعة ثقافية وتعليمية ووعاءً خصباً لنشر المعرفة، وتعد الطريقة السهلة والسريعة في الوصول إلى المعلومة، كما أن المحتوى الرقمي العربي يمثل، إضافةً إلى بعده العربي، بعداً اقتصادياً ما دام يتوجه إلى ما يزيد على ٣٤٠ مليون نسمة يتحدثون اللغة العربية، ويوفر مصدر دخل مهمّاً في المنطقة العربية مادامت السوق التي يتوجه إليها واسعة.

### ثالثاً - واقع المحتوى الرقمي العربي

أصدر الاتحاد الدولي للاتصالات عام ٢٠١١ تقريراً عنوانه «قياس أهداف القمة العالمية لمجتمع المعلومات - إطار إحصائي» أشار فيه إلى أن من بين الأهداف التي أعلنتها القمة التشجيع على تطوير المحتوى الرقمي، وتيسير استعمال جميع اللغات العالمية على الشبكة (الإنترنت)، وضمن نفاذ

(٥) الأمم المتحدة - اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الإسكوا) - تعزيز المحتوى الرقمي العربي في المنطقة العربية - الاجتماع السادس للجنة الاستشارية للتنمية العلمية والتكنولوجية والابتكار التقني (التكنولوجي) - ٣-٤ نيسان ٢٠١٢.

أكثر من نصف سكان العالم إلى تقانة المعلومات والاتصالات واستعمالها، إذ تبلغ نسبة الذين يستعملون الشبكة من المتحدثين باللغة العربية ٨, ١٨٪ فقط، وهي نسبة أقل بكثير من نسبة المتحدثين باللغة الألمانية ٥, ٧٩٪ والمتحدثين باللغة اليابانية ٤, ٧٨٪، والمتحدثين باللغة الكورية ٢, ٥٥٪.

ولا تتجاوز نسبة المحتوى الرقمي العربي ٣٪ بحسب تقرير صادر عن الاتحاد، مع أن عدد السكان العرب يصل إلى ٥٪ من إجمالي سكان العالم، وما زالت العربية تراوح مكانها في المركز السابع بين اللغات العالمية، مع أن الجزء الأكبر من المحتوى العربي مجرد ترجمات لمحتويات من لغات أخرى، وثمة صفحات كثيرة مكررة ومنسوخة حرفياً وزاخرة بالأخطاء اللغوية، إضافة إلى اللهجات العامية والهجين اللغوي.

وإذا وقفنا على نوعية المحتوى وبخاصة في المجال العلمي نجد أن ثمة هوة بين ثراء المحتوى في اللغة الأجنبية وفق هذا المحتوى في العربية، فعلى سبيل المثال: إن مصطلح «تلوث البيئة» ورد في الشبكة بطريق محرك البحث Google وذلك في شهر أيلول من عام ٢٠١٥ حوالي ٣٣٩, ٠٠٠ مرة، في حين ورد مقابله في اللغة الإنجليزية «Environmental Pollution» نحو خمسة ملايين وثلاثمئة ألف مرة. ولو أخذنا مصطلح «العصب الوجهي» في العربية وجدنا أنه ورد ٣٠, ٠٠٠ ثلاثين ألف مرة في حين ورد مقابله في الإنجليزية «Facial nerve» ٦٦٠, ٠٠٠ ستمئة وستين ألف مرة. ولو أخذنا مصطلح «التسارع الزاوي» في الفيزياء فإننا نلاحظ وروده / ٦, ٦٠٠ / ستة آلاف وستمئة مرة، في حين أنه ورد في الإنجليزية «Angular acceleration» / ٤٥٠, ٠٠٠ / أربعمئة وخمسين ألف مرة.

وهذه الفروق تدل دلالة واضحة على الهوة بين المحتوى الرقمي

العربي العلمي على الشبكة وبين هذا المحتوى الأجنبي.

ويبين الواقع أن أغلب مبادرات المكانز العربية تجري خارج الوطن العربي، وتقوم بها مؤسسات أجنبية وبخاصة أوروبية، كما يبين أن حصيلة المكانز العربية على الشبكة ضعيفة كمًّا ونوعاً، وثمة ضآلة للبرمجيات العربية أو المعربة التي يمكن أن تساعد المتحدثين باللغة العربية ومستخدميها على استخدام الشبكة، وضعف في الكفاءات التي يمكن الاعتماد عليها في التطوير<sup>(٦)</sup>.

وتتحمل وكالات الإعلان وأجهزة الإعلام مسؤولية التطور البطيء للمحتوى الرقمي، إذ إنها لم تواكب التحول من القنوات التقليدية إلى قنوات الهاتف المحمول والقنوات الرقمية. وهناك شبه انعدام للقوانين والأنظمة التي تدعم مزودي المحتوى، كما أن البيروقراطية والتكاليف القانونية المرتبطة بالحصول على الحماية ومكافحة القرصنة مرتفعة جداً، يضاف إلى ذلك أن من الصعوبة معرفة المحتوى المسموح به قانونياً على مستوى الدولة.

ومن التحديات التي تواجه المحتوى الرقمي العربي عدم وجود نظام بيئي ويشمل ذلك حقوق النشر والملكية الفكرية، وهناك نقص في الخبراء الذين يمتلكون المهارات اللازمة لإنشاء المحتوى<sup>(٧)</sup>.

وإذا وقفنا على واقع الدور الذي تقوم به (جوجل) في نشر المحتوى الرقمي العربي وحفظه فإننا نجد أنها تعمل على تعزيز المحتوى على

(٦) بنت عتتر شهاب أحمد- المكانز العربية على شبكة الإنترنت- الواقع ومتطلبات التطوير- جامعة المنصورة- نيسان ٢٠١٤.

(٧) مختبر ومضة للأبحاث- المحتوى العربي الرقمي- لمحة عن القطاع Google- آذار ٢٠١٥.

الشابكة من خلال مشروعات متنوعة تشتمل على النص المكتوب والمصور والمسموع والمرئي، ومعظمها مشروعات تفاعلية، ولا تضع قضية الحفظ ضمن أولوياتها، ومع أن (جوجل) تعزز وجود المحتوى العربي ونشره، إلا أنها لا تضمن استمرار ذلك المحتوى وحمايته بسبب عدم اهتمامها بالحفظ الرقمي لمحتوى مشروعاتها<sup>(٨)</sup>.

ولقد أشار مؤتمر المحتوى العربي في الشابكة المنعقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض إلى أن السبب الأساسي في تخلف صناعة المحتوى الرقمي العربي هو غياب السياسات والرؤية المستقبلية<sup>(٩)</sup>.

ويرجع بعض أسباب هذا الضعف إلى أن العرب مازالوا حديثي التواصل بلغتهم عبر الأثير، إضافة إلى عقود بعض أبناء الأمة ل لغتهم، إذ إنهم استبدلوا بها اللغة الأجنبية في جامعاتهم مناهج وتدریساً واجتماعات، كما أن معظم البحوث والدراسات والمؤلفات تنشر بها حتى غدا المحتوى الجيد لإنتاج العرب يدون بغير لغتهم، ولا يبقى للعربية إلا القليل، وفي هذا القليل قد يكمن الفكر الظلامي والتطرف والمهاترات والاتهامات والتكفير مما يعطي صورة سلبية عن حال العرب، من ضيق في الأفق، ومحدودية في العقلنة، وتطرف في الطروحات والممارسات في منأى عن رسالة الأمة العربية وحضارتها الإنسانية. كما أن الرقمنة العربية اهتمت فقط بالتراث

(٨) الدكتورة فتن سعيد بامفلح- دور جوجل في نشر المحتوى الرقمي العربي وحفظه- مؤتمر المحتوى الرقمي العربي في الإنترنت- التحديات والطموحات- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض- تشرين الأول ٢٠١١.

(٩) الدكتورة أماني محمد السيد- استخدام الهواتف المحمولة في تعزيز الوصول إلى المحتوى الرقمي العربي- دراسة لمتطلبات النشر اللاسلكي ومقوماته- مؤتمر المحتوى العربي في الإنترنت- المرجع السابق.

العربي في الماضي أكثر من دعم الإنتاج الفكري العربي في المجالات المعرفية المختلفة والتأج الفكري الحديث.

ومن جانب آخر يلاحظ أن ثمة ضعفاً في الإتاحة الرقمية للدوريات العربية على الشبكة، وهذا ما أدى إلى فقدان الباحثين فرص الحصول على مصادر المعلومات خارج حدود التأج الفكري المحلي، ومحدودية منافذ النشر للباحثين واقتصارها على المنافذ التقليدية، كما أن ثمة ضعفاً في برامج التأليم الإلكتروني في الجامعات العربية التي تعتمد على التأج الفكري الرقمي<sup>(١٠)</sup>.

- ويرجع الضعف في صناعة المحتوى الرقمي في الوطن العربي إلى:
- القصور في البنية التحتية لتقانة المعلومات وبفوارق نسبية في عموم الدول العربية.
- القصور في الثقافة المجتمعية بأهمية المحتوى الرقمي مقارنة بالدول الأخرى.
- القصور في التعاملات الرقمية بين المؤسسات العربية على الصعيدين المحلي والدولي.
- ضعف إسهامات دور النشر العربية في مجال الإتاحة الرقمية للكتب والأعمال الموسوعية.
- القصور في برامج التأعاون المؤسسي بين الجهات الحكومية والخاصة في مجال صناعة المحتوى الرقمي وندرة المبادرات الفردية.

---

(١٠) الدكتور طلال ناظم الزهيري - الإتاحة الرقمية للدوريات العربية ودورها في تطوير صناعة المحتوى الرقمي العربي - المجلة العراقية لتكنولوجيا المعلومات - تشرين الأول ٢٠١١.



- ضعف دور الجامعات العربية وافتقارها إلى برامج التعليم الإلكتروني المتكاملة.
- افتقار معظم الدول العربية إلى تشريعات وقوانين لحماية حقوق الملكية الفكرية للمصنفات الرقمية.
- ضعف إسهام الجمعيات والمؤسسات الأكاديمية في مجال الإتاحة الرقمية للدوريات والمجلات التي تصدر عنها.
- ضعف برامج الرقمنة والإتاحة لعموم المكتبات على اختلاف أنواعها في الوطن العربي<sup>(١١)</sup>.
- والواقع أن كل مطلع على المحتوى الرقمي العربي على الشبكة يدرك الحالة المؤسفة التي وصل إليها هذا المحتوى، فالفقر والضعف والعشوائية هي من السمات الرئيسة لهذا المحتوى، فضلاً عن أن هذا المحتوى غير احترافي وغير تفاعلي؛ وثمة غياب واضح لمحركات بحث عربية فعالة، وندرة لمواقع البوابات العربية على الشبكة، حيث يقتصر دورها على تنسيق المحتوى وتصنيفه.
- ويدرك المطلع على المحتوى الرقمي العربي أيضاً افتقار هذا المحتوى إلى التنوع، وطغيان النصوص على غيرها من فئات المحتوى السمعية والبصرية، وضعف حجم الاستثمارات في هذا المحتوى، وقصور التحديث والتطوير المتلائم مع خصائص اللغة العربية<sup>(١٢)</sup>.
- وثمة فجوة للترجمة مع أهمية الترجمة والعلمية منها خاصة، كما أن

(١١) المرجع السابق.

(١٢) الدكتورة عزة فاروق جوهرى والدكتورة سوسن ضليمي - إشكالية وجود المحتوى الرقمي العربي على العنكبوتية وسبل دعمه - ص ٢٤.

معظم مشروعات الرقمنة العربية تهتم بالتراث العربي والإسلامي أكثر من اهتمامها بالإنتاج الفكري العربي في المجالات المعرفية المختلفة والتأج الفكري الحديث<sup>(١٣)</sup>.

إلا أن الصورة المرسومة لهذا الواقع ينبغي لها ألا تحجب عن أنظارنا المبادرات المتعددة التي ظهرت على الساحتين العالمية والعربية للارتقاء بواقع الرقمنة العربية على الشابكة. وهذا ما يدفعنا إلى تعرّف بعض من هذه المبادرات والإنجازات التي تحققت حتى تكون الصورة أمامنا شاملة إلى حدّ ما.

### رابعاً - مبادرات لزيادة مساحة المحتوى الرقمي العربي

لقي المحتوى الرقمي العربي بعض الاهتمام على الصعيد كافة محلياً وعربياً وعالمياً، وثمة اهتمام من مواقع عالمية باللغة العربية في بعض الدول وفي المنظمات العالمية والإقليمية والعربية، إلى جانب الاهتمام من شركات خاصة ومبادرات فردية. وفيما يلي فكرة موجزة عن كل جانب من هذه الجوانب.

#### ١ - على الصعيد العالمي:

لما كانت اللغة العربية من بين اللغات الست المعتمدة في الأمم المتحدة كانت المنظمات التابعة للأمم المتحدة تعتمد العربية في أعمالها، ومن هذه المنظمات:

- المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو).
- المنظمة الدولية المعنية بالطفولة (اليونيسيف).
- منظمة الصحة العالمية.

(١٣) المرجع السابق ص ٢٥.

- برنامج الأغذية العالمي.
- برنامج الأمم المتحدة للبيئة.
- المنظمة العالمية للملكية الفكرية.
- الاتحاد الدولي للاتصالات.
- المفوضية العليا للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين.
- المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون الإنسان.
- منظمة حظر الأسلحة الكيميائية.
- محكمة العدل الدولية.
- البنك الدولي.

ومن الدول التي عُنت بالمحتوى الرقمي العربي على الصعيد العالمي: أمريكا، بريطانيا، فرنسا، الاتحاد الأوروبي، الصين، روسيا، سويسرا، الهند، ماليزيا، ... إلخ.

وإذا وقفنا على ما تقوم به منظمة اليونسكو في هذا الصدد فإننا نلاحظ أن لديها:

#### - مشروع ذاكرة العالم:

وهو أحد مشروعات توثيق التراث العربي المادي واللامادي والحفاظ على الذاكرة التراثية العربية وإيصالها إلى الأجيال القادمة باستخدام أحدث التقنيات وذلك بإنشاء بوابة إلكترونية عملاقة على الشبكة العالمية باللغتين العربية والإنجليزية، وبالتعاون مع الدول العربية والمنظمات والمؤسسات الدولية والإقليمية والوطنية والأهلية، وتشترك في المشروع ٥٥ مؤسسة، ويحظى بدعم الألكسو.

ويهدف هذا المشروع إلى:

- رقمنة المحاور الحضارية المختلفة.
  - الحفاظ على الذاكرة التراثية الإجمالية في الوطن العربي، وتعريف الأجيال الجديدة بها.
  - تشجيع أعمال الرقمنة في الدول العربية.
  - الإسهام في زيادة المحتوى الإلكتروني العربي ونشره على الشبكة.
  - استكمال ما أنجز من مبادرات عربية وإقليمية في مجالات توثيق التراث والثقافة العربية.
- وجرى تنفيذ ما يلي:
- تعريب أسماء النطاقات في اليونسكو والإسكوا والألكسو.
  - وضع نظام استرشادي عربي للأعمال والتعاملات الإلكترونية.
  - وضع نظام استرشادي عربي للاتصالات وتقنية المعلومات في المكتب الإقليمي العربي للاتحاد الدولي للاتصالات (الإسكوا).
  - إنشاء محرك بحث باللغة العربية.
  - وضع نظام استرشادي عربي للحماية الفكرية للبرمجيات والمحتوى الرقمي.
  - إنشاء شبكة لدعم وتطوير البرمجيات المفتوحة المصدر (الإسكوا-الألكسو).
  - إنشاء مكتبة عربية رقمية (الألكسو).
  - إنشاء مركز التوثيق العربي الرقمي للمكتب الإقليمي للاتحاد الدولي للاتصالات.
  - تعريب مصطلحات الاتصالات وتقنية المعلومات.
- أما منظمة الإسكوا فقد باشرت بالاهتمام بالمحتوى الرقمي العربي

وصناعته منذ عام ٢٠٠٣، وسعت إلى اعتماد سياسة عربية موحدة للسير نحو مجتمع المعلومات وفقاً لاستراتيجيات وخطط مرسومة وآليات تنفيذ محددة، وأوصت بتحديد جهة مسؤولة في كل دولة عربية عن تقانة (تكنولوجيا) المعلومات والاتصالات، وإقرار قوانين وتشريعات لحماية الملكية الفكرية وخاصة ما يتعلق منها بالمصنفات الرقمية، وعملت على دعم إنشاء وتطوير مكاتب ومراكز معلومات افتراضية، ودعم المؤسسات العامة والخاصة وتشجيعها على بناء مواقع خاصة على الشابكة، وحرصت على تفعيل التطبيقات الإلكترونية وتنشيط البحوث الخاصة باللغة العربية<sup>(١٤)</sup>.

ونفذت الإسكوا مجموعة من الأنشطة تجلت في الإسهام في تطوير صناعة المحتوى على الصعيد العربي وذلك باحتضان شركات ناشئة وصغيرة تعمل في مجال تطوير تطبيقات المحتوى. ومن الحاضنات التقانية التي أسهمت فيها<sup>(١٥)</sup>:

- قطب الغزالة لتكنولوجيات الاتصال في تونس.
- مركز الريادة والإبداع في مصر.
- جامعة أبو ظبي في الإمارات العربية المتحدة.
- حاضنة جامعة عدن في اليمن.
- حاضنة في لبنان Berytech
- حاضنة في فلسطين Picti
- حاضنة في الأردن IPARK

(١٤) الدكتور طلال ناظم الزهيري - الإتاحة الرقمية للدوريات العربية ودورها في تطوير صناعة المحتوى الرقمي العربي - مدونة طلال ناظم الزهيري - بغداد.

(١٥) الدكتورة نبال إدلبي - اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا) - مشروع تحفيز صناعة المحتوى الرقمي العربي من خلال الحاضنات التكنولوجية - بيروت ٢٠١٤.

ويتبين أن الإسكوا عملت على تعزيز صناعة المحتوى الرقمي العربي من خلال الحاضنات التكنولوجية، وكانت أفضل مشروعاتها في مجال المحتوى الرقمي العربي في كل من الأردن ولبنان وفلسطين وسورية واليمن، كما قدمت مبادرة (سواعد) لدعم المشاريع المبتكرة في المجال الرقمي وتطويرها.

وكان لجوجل دور في نشر المحتوى الرقمي العربي وحفظه، فعملت على فتح المجال واسعاً أمام المستخدمين للمشاركة في إغناء المحتوى العربي على الشبكة من خلال خدماتها التفاعلية المختلفة التي تنوعت لتشمل العمل الموسوعي والخدمات الجغرافية والأعمال البحثية وغيرها من المواد النصية أو تسجيلات الفيديو أو الرسوم أو الصور... إلخ<sup>(١٦)</sup>.

وثمة مبادرة لجوجل عنوانها «أيام الإنترنت العربي» ويهدف إلى سد الفجوة بين عدد متحدثي العربية وبين توفر المحتوى الرقمي بالعربية، وأسس هذا البرنامج كل من شركة يملي Yamli بالشراكة مع شركة فانيلاب Vinelab وشركة جوجل Google ومبادرة تغريدات وشركة ومضة وبالتعاون مع شركة ويكيبيديا وتويتر.

وتقوم مكتبة ويلكوم في لندن بدور في مجال المحتوى الرقمي، وهي مكتبة تضم مجموعة من الكتب والمخطوطات والمحفوظات والأفلام والصور عن تاريخ الطب من القديم وحتى يومنا. وأسسها (هنري ويلكوم)، وتحتوي المكتبة مواد نادرة من مصر القديمة والحديثة، عن أوراق البردي إلى المخطوطات الطبية العربية وقطع أثرية من غزو (نابليون) لمصر عام ١٧٨٩،

(١٦) الدكتورة فتن سعيد بامفلح - دور جوجل في نشر المحتوى الرقمي العربي وحفظه - مؤتمر المحتوى الرقمي العربي في الإنترنت - الرياض ٢٠١١.

وتشارك مع مكتبة الإسكندرية لجعل المجموعات العربية متاحة في شكل رقمي. وتعد مكتبة ويلكوم من أهم مستودعات الكنوز المتصلة بتاريخ الطب في العالم، إذ إنها تعمل على حفظ المخطوطات المنتشرة في أنحاء مختلفة من العالم وتجميعها في مخطوطة رقمية متكاملة، وجعل هذه المواد متاحة لجيل جديد من العلماء الذين مارسوا استخدام الشبكة ومواقع التواصل الاجتماعي.

## ٢- على الصعيد العربي:

قامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) بإنجاز عدة أعمال في إطار مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة، وهو المشروع الذي تقدمت به الجمهورية العربية السورية إلى مؤتمر القمة العربي الذي عقد في دمشق عام ٢٠٠٨، وقدم المؤتمر الشكر إلى الجمهورية العربية السورية على مبادرتها لإطلاق هذا المشروع، وكلف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إنفاذه بالتنسيق مع الدول العربية. وأنجزت المنظمة دراسةً عنوانها «المحتوى الرقمي العربي على الشبكة» سلّطت الأضواء فيها على واقع المحتوى الرقمي العربي، ووضعت خطة للارتقاء بهذا الواقع، وأسهمت المنظمة أيضاً في بناء المعجم العربي الحاسوبي التفاعلي، وهو مشروع مشترك بين الألكسو ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية.

## في سورية:

أنجزت سورية أعمالاً متميزة في مجال المحتوى الرقمي العربي، ومن هذه الأعمال ما قام به المعهد العالي للعلوم التطبيقية حيث عمل على وضع نظام الاشتقاق والتصريف وقاعدة معطيات الإعراب، وقاعدة معطيات معجمية، وقاعدة معطيات التراكيب، وضبط النصوص بالشكل.

وفي مجال التركيب اشتملت المعطيات على الجذر ومعنى التركيب والمجال الدلالي والمجال المضاد وشيوع التركيب والمرجع الذي استقى منه<sup>(١٧)</sup>.

ووضعت وزارة الاتصالات والتقانة في سورية الاستراتيجية العربية العامة لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات بغية تقديم خدمات تقانة الاتصالات والمعلومات والإعلام من أجل إتاحة أفضل الخدمات للمواطن العربي ليواكب روح العصر.

ومن مشروعات المنتج الأول في الاستراتيجية تعريب أسماء النطاقات، وتحديد مجموعة الأحرف العربية التي يمكن أن تستخدم في أسماء النطاقات، وثمة مبادئ توجيهية لطرق استخدام الحرف العربي في أسماء النطاقات وقواعد كتابتها بالحرف العربي، وزيادة استخدام الشبكة (الإنترنت) من جميع الفئات في المجتمع العربي.

ومن هذه المشروعات أيضاً توثيق التراث (ذاكرة الوطن العربي) جمعاً وتوثيقاً ورقمنة وتعميماً بواسطة بوابة إلكترونية باللغتين العربية والإنجليزية، ومنها أيضاً تعريب المصطلحات، وإتاحة القاموس إلكترونياً وبثلاث لغات (عربي، إنجليزي، فرنسي)، ومتابعة تحديث المصطلحات الجديدة، وتوحيدها.

وثمة إنشاء محرك بحث باللغة العربية، ويهدف هذا المشروع إلى إنشاء بوابة للوطن العربي مدعوم بدليل شامل عن المعلومات المنشورة باللغة

(١٧) الدكتورة أميمة الدكاك - تجربة المعهد العالي للعلوم التطبيقية في المحتوى الرقمي -

المؤتمر الوطني الأول لصناعة المحتوى الرقمي العربي بدمشق - حزيران - يونيو -



العربية وفي المنطقة العربية، وكسر حاجز اللغة بهدف دفع غير المتمكنين من اللغات الأخرى إلى الوصول إلى المعلومات بالعربية ودفع حركة النشر بالعربية وتأمين خدمات أخرى للمستخدم العربي<sup>(١٨)</sup>.

ومن إنجازات الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية «مدونة وطن» وهي بوابة إلكترونية تدوينية تتبنى نموذج الإعلام التدويني الإنساني متخصصة بتدوين وتوثيق أهم التفاصيل للمجتمع المحلي السوري، ويركز محتواها على النشاطات والفعاليات وأماكن ورياضة وأعمال والفلكلور الجمعي، وغيرها من الأنشطة الإنسانية التي يكون محورها الإنسان السوري سواء في الداخل أو الخارج متبينة شعار «الإنسان كنز الحياة، كنز الإعلام، كنز مدونة وطن»، وعملت لتحقيق هذا الشعار بدءاً من عام ٢٠١٣ وذلك بتقديم المعرفة للجميع، متوخية تحقيق الأهداف الآتية:

١- تقديم مثال ناجح لنموذج إعلامي محلي تدويني يؤسس لصناعة محتوى رقمي معرفي غير ربحي بغية نشر المعرفة وإبراز التجارب الإنسانية وتحقيق المنفعة التامة لمختلف شرائح المجتمع السوري، ويمكن تعميم هذه التجربة على دول مشابهة.

٢- تبيان أهم الخصائص التي تميز واقع المجتمع السوري وتحليل مقوماتها علمياً وتوثيقاً رقمياً بهدف الاستفادة منها في بحوث مستقبلية.

٣- نشر ثقافة المعرفة الإيجابية عبر تدوين الجوانب الإيجابية لوقائع الحياة اليومية.

٤- تشجيع حالات الإبداع والتميز من خلال الرصد والبحث والتوثيق

(١٨) الدكتور محمود السيد - اللغة العربية واقعاً وارتقاءً - الهيئة العامة السورية للكتاب -

لحالات تميز الإنسان السوري.

٥- تشجيع الإيمان بالذات والاعتماد على الإمكانيات المحلية من خلال تعميم الخبرات والتجارب العملية المتراكمة والمناسبة لحل المشكلات ولاسيما الزراعية منها.

٦- التركيز على دور المرأة السورية وإبراز الجوانب الإيجابية في مسيرتها. ومن الفعاليات التي أنجزتها مدونة وطن:

- مسابقة (مدونة وطن) عن طريق الهواتف المحمولة.
- خدمة إخبارية يومية باسم «خبر وحكاية» تقدم إلى مشتركى شبكة الاتصالات الخلوية.
- فقرة تلفزيونية يومية باسم «مع الناس» تذاع يومياً على القناة الفضائية السورية.
- استثمار المحتوى الرقمي وذلك بإعادة إنتاج المقالات المنشورة وإحيائها بطرائق ابتكارية.

وفي سورية مبادرة ناسا بالعربي لدعم المحتوى الرقمي العربي ونشر البحوث، حيث تهدف إلى نشر العلم والمعرفة، والعمل على رفع الوعي بأهميتها، والعمل على زيادة المحتوى العلمي الرقمي للغة العربية.

في السعودية:

من المبادرات في المملكة العربية السعودية مبادرة الملك عبد الله للمحتوى العربي بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، وهدفت هذه المبادرة إلى دعم الجهود المبذولة لإغناء المحتوى العربي وتطوير الأدوات المعنية في إغناء هذا المحتوى، وإتاحته للمستخدمين ونشر الوعي بأهميته وكيفية تطويره، والحفاظ على الهوية العربية الإسلامية.

ومن المشروعات التي عملت المبادرة على تنفيذها المدونة العربية والمعجم الحاسوبي التفاعلي وكتب التقنيات الاستراتيجية، وبلغ حجم المدونة العربية نحو مليار كلمة عربية تحتوي على أدوات خدمية حاسوبية تمكّن من التعامل مع محتوى المدونة والتفاعل مع محتوياتها التي تستوعب حقبة تاريخية مختلفة تبدأ من العصر الجاهلي حتى الوقت الحالي.

وأما المعجم الحاسوبي التفاعلي فهو مشروع مشترك مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ولسدّ الخلل الموجود في المعاجم، ويشمل خوارزميات التوليد والاشتقاق وجذور الكلمات العربية والمترادفات والمتضادات.

ومن المبادرات في المملكة أيضاً المكتبة الرقمية العربية، وتعد من أهم المشروعات الثقافية السعودية والعربية، أنشأتها مكتبة الملك عبد العزيز العامة في إطار اتفاقية تعاون مع وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات، ومن أهداف إنشائها تشجيع الجهود التعاونية والتكاملية في مجال الرقمنة.

ومن المبادرات أيضاً مكتبة الملك فهد الوطنية، وهي من أكبر الهيئات المتخصصة في نشر علوم المكتبات والمعلومات والبيولوجيا.

وثمة مركز المخطوطات في الدارة ويحوي ٢٠٠٠ مخطوطة مؤرشفة إلكترونياً و١٥٠٠ مصورة (بالميكرو فيلم)، وقد وصل عدد المخطوطات في السنوات الأخيرة إلى أكثر من ٣٠٠٠ مخطوطة بعد أن كانت مدمجة في الوثائق. وفي المملكة العربية السعودية قاعدة **Edusearch** التربوية التي دشنت بتاريخ ٦/٤/٢٠١٠، وهي قاعدة معلومات تربوية تخدم الباحثين والمختصين في المجال التربوي.

ومن مزايا هذه القاعدة تحديثها يومياً فور وصول الأعداد الجديدة، وأيضاً نصوص المقالات والبحوث كاملة على صيغة PDF مطابقة للأصل المطبوع.

وتعد جامعة الملك عبد العزيز أول جامعة في السعودية تقوم باعتماد أدوات التعلم الإلكتروني لخدمة الطلاب الذين يدرسون عن بعد أو الطلاب المنتسبين إليها.

### في الإمارات العربية المتحدة:

من المبادرات الرامية إلى تعزيز المحتوى الرقمي العربي على الشبكة في دولة الإمارات العربية المتحدة مبادرة الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم التي تهدف إلى تطوير الأدوات والبرامج باستخدام مجالات الاتصالات وتقنية المعلومات، ويدعم المشروع بنسبة ٧٥٪ من ميزانية المؤسسات الحكومية أو التعليمية وبنسبة ٥٠٪ للشركات الخاصة.

وهناك مكتبة العرب التي أطلقها الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم أيضاً، وهي مكتبة إلكترونية ضخمة تضم كتباً وأعمالاً شعرية وسيراً ذاتية ودوريات ومقالات متاحة مجاناً، وجميعها تهدف إلى سد الفجوة بين عدد متحدثي العربية وبين توفر المحتوى الرقمي لها.

وهناك موسوعة الكتب الإلكترونية العربية التي تعرض الكتب الإلكترونية من خلال الأيفون والأيباد، وأطلق هذا الموقع عام ٢٠١٠.

وتجدر الإشارة إلى أن مدينة دبي للإعلام والإنترنت تعمل على استقطاب المعاهد والجامعات العالمية لإتاحة الفرص أمام طلبة التعليم العالي لاستكمال دراساتهم العليا في هذه المدينة دون الحاجة إلى السفر إلى الخارج.

ومن أهم صروح الثقافة والتراث في الإمارات العربية المتحدة مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، وأطلق عليه «نظام الماجد للمكتبات» ويجري تطويره باستمرار.

وهناك مبادرات من شركات خاصة كمبادرة شركة المنهل في دبي التي

أنشئت عام ٢٠١٠، وتعمل على توفير المحتوى الرقمي العربي من الكتب الإلكترونية والتقارير والرسائل العلمية والمجلات العلمية. وفي دبي أيضاً مبادرة شركة قرطبة التي تقدم خدمات مباشرة في الترجمة (أون لاين).

#### في قطر:

أنشأ معهد الإدارة والتنمية الإدارية بوابة للتعليم والتدريب الإلكتروني تضم أربعة آلاف برنامج تدريبي مجاني يستهدف موظفي الحكومة وطلاب الجامعات وأفراد المجتمع لتنمية مهاراتهم.

#### في الكويت:

أسست جامعة الخليج للعلوم والتكنولوجيا مركز التميز للتعليم الإلكتروني لدعم جهود الجامعة في المجالات التعليمية والأكاديمية وتشجيع الطلبة على التعلم الذاتي.

#### في البحرين:

أنشأت دولة البحرين أحدث مركز للتعليم الإلكتروني على مستوى الشرق الأوسط في جامعة البحرين<sup>(١٩)</sup>.

#### في جمهورية مصر العربية:

من المبادرات الرائدة في جمهورية مصر العربية مكتبة الإسكندرية، ويحتوي موقعها على ست مكتبات متخصصة وما يقارب العشرة ملايين صفحة من النصوص، وهذا المحتوى موثق في موسوعة ويكيبيديا بالعربية. وتعد مكتبة الإسكندرية أكبر مكتبة رقمية باللغة العربية في العالم كله،

(١٩) الأستاذ المهندس الدكتور يحيى حمود حسن البوعلي - واقع اقتصاد المعرفة في دول مجلس التعاون الخليجي وفقاً لمؤشرات المحتوى الرقمي - مجلة الاقتصادي الخليجي - العدد ٢٤ سنة ٢٠١٣ ص ٧.

وقد احتفظت أوائل عام ٢٠٠٩ بوضع أكثر من مئة ألف كتاب عربي على الشبكة لإتاحة المعرفة للجميع.

وفي مصر دار نشر كتب عربية، وهي أول دار نشر إلكترونية عربية تجارية، وكان تأسيسها عام ٢٠٠٥ وتضم ٥٠٠٠ عنوان موزعة على ما يقرب من ٢٩ مجالاً، وهي كتب مرقمنة، وقد عقدت الدار اتفاقاً مع شركة نمساوية متخصصة في نشر المحتوى الرقمي على الهاتف المحمول.

وهناك المكتبة الشاملة، وأُسست عام ٢٠٠٥، ووصل عدد الكتب الإلكترونية المتاحة إلى ٥٣٦١ كتاباً يمكن عرضها بجميع الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية. ومهمة المكتبة استقبال النصوص المختلفة وترتيبها في إطار واحد مع إمكان البحث فيها<sup>(٢٠)</sup>.

#### في السودان:

ثمة اهتمام بالنشر الإلكتروني في السودان وأغلبه في الجامعات، فهناك المكتبة الافتراضية للجامعات السودانية، ويهدف هذا المشروع إلى إنشاء مكتبة افتراضية لإتاحة قواعد البيانات ومصادر المعلومات المتوفرة في الجامعات لجميع أعضاء هيئة التدريس، ويتوفر فيها عدد من الدوريات الإلكترونية المجانية<sup>(٢١)</sup>.

أما المكتبة الإلكترونية بجامعة الخرطوم فقد صممت قاعدة بيانات للرسائل الجامعية باستخدام أنظمة المعلومات للمصادر المفتوحة.

(٢٠) الدكتورة أماني محمد السيد - كلية الآداب بجامعة حلوان - المؤتمر العربي في الإنترنت:

التحديات والطموحات - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ٢٠١١.

(٢١) الدكتور محمد عبد الله محمد عبد الله والدكتورة وفاء عشم غبريال مرقص - بناء المحتوى الرقمي السوداني في المكتبات ومراكز المعلومات - المؤتمر الثالث لجمعية

المكتبات السودانية - الخرطوم - يوليو ٢٠١٣ ص ٨-٩.

وفي دار الوثائق القومية نحو ثلاثين مليون وثيقة وهي ثروة قومية للسودان ودول الجوار العربية والإفريقية.

في تونس:

أنشئت المكتبة الوطنية التونسية عام ١٨٨٥م وتضم مليون كتاب و٤٠,٠٠٠ مخطوطة، و١٦,٠٠٠ دورية. وفي عام ٢٠١٠ اتفقت المكتبة مع شركة Sanalimed التونسية المتخصصة في مجال النشر الإلكتروني على نشر ١٥ كتاباً ومخطوطة نادرة لإتاحتها مجاناً من خلال الـ iPad، وبهدف تعزيز العلاقة بين الشباب والكتاب والتعريف بالثقافة التونسية والعربية<sup>(٢٢)</sup>.

في لبنان:

أسست في لبنان مكتبة (نيل وفرات. كوم) منذ عام ١٩٩٨ لبيع الكتب العربية المطبوعة من طريق الشابكة، وتضم المكتبة ٣٠٠,٠٠٠ كتاب ومجموعة واسعة من البرامج والألبومات والأفلام اللبنانية والسورية والأردنية والمصرية.

وفي عام ٢٠١٠ صممت المؤسسة برنامجاً مجانياً يمكن تحويله على جهاز الـ iPad، بحيث يمكن من خلاله قراءة المجلات الإلكترونية الصادرة عن نيل وفرات وعددها (٤١) مجلة.

وتجدر الإشارة إلى أن المبادرات الداعية إلى تعزيز المحتوى الرقمي العربي تعود إلى أكثر من عقد من الزمن مع انطلاق مبادرة (الإسكوا) في بيروت عام ٢٠٠٣ وما لحق بها من مبادرات ومشروعات أطلقتها بعض المؤسسات الفكرية والثقافية على امتداد الساحة العربية.

(٢٢) الدكتورة أماني محمد السيد - كلية الآداب بجامعة حلوان - المؤتمر العربي في الإنترنت - التحديات والطموحات - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ٢٠١١.

كما تجدر الإشارة إلى أننا لسنا في مجال الحصر، وإنما هي إشارات إلى بعض المواقع التي تعمل على دعم المحتوى الرقمي العربي على الصعيد العربي، ولا بد من الإشارة أيضاً إلى أنه مع الإقرار بأهمية دور الدولة في تقديم الدعم المادي لبعض المبادرات فإن للمبادرات الخاصة الفردية دوراً في دعم المحتوى الرقمي العربي مثل:

- ما أسهمت به مكتبة عبد الحميد شومان في الأردن وشركة سلوى الأردنية التي بدأت عام ٢٠٠٩.
- ما أسهم به مركز جمعة الماجد في الإمارات.
- ما أسهمت به مؤسسة التميمي في تونس على مستوى البحث العلمي.
- ما أسهمت به شركة سنابل ميد في تونس.

#### مسابقات:

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن هنالك مسابقات جرت على الصعيد العربي لدعم المحتوى الرقمي العربي، ومن هذه المسابقات:

١- مسابقة الكندي في سورية: وقد أعلنت عنها الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية، وكان الهدف منها تعرف المواقع على الشبكة التي تعنى بنشر موادها باللغة العربية الفصيحة، وبعد أن تقدم إلى المسابقة عدد من المواقع على الصعيد العربي كان الموقع الفائز الأول لمصلحة تونس، والثاني لمصلحة موقع في جمهورية مصر العربية، والثالث لمصلحة موقع في الجمهورية العربية السورية، وقد وزعت الجوائز المقدمة من الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية على الباحثين الفائزين في جامعة دمشق برعاية السيدة نائب رئيس الجمهورية للشؤون الثقافية الدكتورة نجاح العطار.

٢- مسابقة المحتوى الرقمي العربي في البحرين: وكان الهدف منها



تعزيز الأفكار المبتكرة من رواد الأعمال الاجتماعية بغية تشجيع المحتوى الرقمي العربي، وهي مفتوحة أمام الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٣٠ سنة ممن لديهم أفكار مميزة تتعلق بالمحتوى الرقمي العربي في أحد المجالات الآتية:

- التجارب الإلكترونية.

- الوسائط الاجتماعية.

- التعلم.

- الحفاظ على التراث الثقافي.

- التطبيقات المتنقلة.

وقد نُظِّمَت المسابقة بالتعاون مع اليونسكو وبرعاية هيئة تنظيم الاتصالات (TRA) وبالشراكة مع الإسكوا ومعهد تكنولوجيا المعلومات في مصر وعرب نت.

٣- مسابقة مبادرة الملك عبد الله للمحتوى العربي: تعاونت مع شركة Google لإطلاق مسابقة لكتابة أفضل المقالات في موقع وحدة المعرفة (Knol) حيث تنافس الطلاب وأعضاء هيئة التدريس في الجامعات والمدارس على كتابة المقالات التي تقع في مجالات اختصاصهم، وتخضع هذه المقالات للتقويم وترشيح أفضلها لنيل الجوائز.

٤- مسابقة لأفضل مجلة إلكترونية على مستوى الأندية الصيفية ومراكز النشاط.

### خامساً - توصيات ومقترحات للارتقاء بالواقع

- ١- إجراء مسح شامل لجميع مشروعات المعالجة الآلية للغة العربية في داخل الوطن العربي وخارجه، وتعزيز التواصل بين الجهات التي تقوم بتنفيذها منعاً للازدواجية والتكرار.
- ٢- دعوة وزارات الاتصالات والتقانة في الوطن العربي إلى التنسيق والتكامل فيما بينها من جهة، وبينها وبين اتحاد المجمع اللغوية العربية لاعتماد المصطلحات التي يقرها الاتحاد في مجالات عمل هذه الوزارات.
- ٣- ضرورة التكامل بين الاستراتيجيات الوطنية ذات العلاقة، والتعاون بين استراتيجية تقانة المعلومات والاتصالات واستراتيجية الحكومة الإلكترونية من جهة، واستراتيجية تطوير التربية العربية والاستراتيجية الثقافية والإعلامية من جهة أخرى، وذلك في كل قطر عربي، ثم التنسيق والتكامل بينها وبين الاستراتيجية القومية على الصعيد العربي، وخاصة الاستراتيجية الرقمية التي وضعتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على أن تستأنس الخطط الوطنية في كل قطر عربي بها.
- ٤- تعزيز التعاون بين اللغويين والمتخصصين بالمعلوماتية، ودعم جهود فريق العمل المشترك على ذوي الكفايات اللغوية والحاسوبية.
- ٥- وضع سياسات لإغناء المحتوى الرقمي العربي في ضوء معايير قابلة للقياس.
- ٦- دعوة وزارات الإعلام في الدول العربية إلى تعميم استخدام المصطلحات العلمية المتفق عليها في اتحاد المجمع اللغوية وكليات المعلوماتية والمعاجم اللغوية المتخصصة.

- ٧- «السعي إلى إدخال اللغة العربية في منظمة التجارة العالمية بغية استخدامها بصورة فعالة في المجالات الاقتصادية والتجارية والتقنية»<sup>(٢٣)</sup>.
- ٨- إيجاد تشريعات عربية حاكمة للعمل في البيئة الرقمية، وجميع القضايا المتصلة بالمعلومات وبنها واستخدامها كحماية مُورّدي المحتوى ومستهلكيه وحماية الحقوق الفكرية.
- ٩- دعم حركة الترجمة على الصعيد العربي، والسعي إلى زيادة نسبة ما يترجم إلى اللغة العربية من اللغات الأخرى وخاصة في المجالات العلمية نهوضاً بالمحتوى الرقمي العربي.
- ١٠- إعادة النظر في المناهج التربوية على الصعيد العربي لإعداد جيل عربي يواكب روح العصر، عصر العلوم والتقانة والثقافة الرقمية، بغية تخريج كوكبة من المبدعين القادرين على الفهم والتحليل والتفسير والتوظيف.
- ١١- العمل على تطوير البرامج الأكاديمية في الجامعات وخاصة في أقسام اللغة العربية وكليات التربية المعنية بتأهيل المعلمين، وذلك في مجالات حوسبة اللغة العربية ومعالجتها، والتنسيق مع الكليات المعلوماتية في هذا المجال.
- ١٢- «العمل على افتتاح أقسام دراسية متخصصة في مجال المعلومات والمكتبات في الجامعات التي لا توجد فيها، وتحديث مناهج هذه الأقسام التي تمكنها من تأهيل أطر فنية قادرة على التعامل مع قضايا

(٢٣)أ.د. ناريمان إسماعيل متولي - اللغة العربية بين الانتماء والهوية والتحديات المستقبلية في عصر الرقمنة - المؤتمر الرابع للمجلس الدولي للغة العربية - دبي - مايو ٢٠١٥.

- المعلومات وتقنيات خزنها ومعالجتها واسترجاعها وتوظيفها»<sup>(٢٤)</sup>.
- ١٣- «تشجيع أعضاء هيئة التدريس في الجامعات العربية على ممارسة الأرشفة التراثية لبحوثهم إن من أجل إتاحتها للباحثين الآخرين من طريق الأرشفيات الرقمية، وإن من خلال مواقعهم الشخصية أو مواقع كلياتهم وأقسامهم العلمية على الويب سواء قبل النشر في الدوريات المحكمة أو بعده»<sup>(٢٥)</sup>.
- ١٤- «ضرورة الاعتراف الأكاديمي العربي بالدوريات الرقمية مصدراً للمعلومات»<sup>(٢٦)</sup>.
- ١٥- «الطلب إلى شركة جوجل الاهتمام بعمليات الحفظ الرقمي بعيد المدى، وأن تدرجه ضمن رسالتها وتضعه في أولوياتها»<sup>(٢٧)</sup>.
- ١٦- الحرص على نشر المحتوى الجاد والهادف والدراسات العلمية في كل الاختصاصات، لأن هذا النوع من الإنتاج العلمي هو المؤشر الحقيقي إلى جودة المحتوى الرقمي العربي.

- (٢٤) الدكتور محمد عبد الله والدكتورة وفاء عشم غبريال مرقص - بناء المحتوى الرقمي السوداني في المكتبات ومراكز المعلومات - ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الثالث لجمعية المكتبات السودانية - يوليو ٢٠١٣ ص ٣٠.
- (٢٥) الدكتورة عزة فاروق جوهرى - جامعة الملك عبد العزيز - موسوعة نول (Knol) الرقمية: نموذج للتأليف والوصول الحر - تقييم للدور ومدى الإفادة في مجتمع المعرفة وإثراء المحتوى الرقمي العربي ص ١٦.
- (٢٦) الدكتور طلال ناظم الزهيري - الجامعة المستنصرية - الإتاحة الرقمية للدوريات العربية ودورها في تطوير صناعة المحتوى الرقمي العربي - مدونة الدكتور نفسه المتخصصة بنشر الدراسات والبحوث في مجال تكنولوجيا المعلومات والمكتبات.
- (٢٧) الأستاذة الدكتورة فاتن سعيد بامفلح بجامعة الملك عبد العزيز - دور جوجل في نشر المحتوى الرقمي العربي وحفظه - بحث مقدم إلى مؤتمر المحتوى الرقمي العربي في الإنترنت - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ٢٠١١ ص ٢١.

- ١٧- دعم البحوث العلمية والدراسات التي تتعلق بالمحتوى الرقمي، ودعم إنتاج البرمجيات الخاصة بمعالجة اللغة العربية.
- ١٨- ضرورة إيلاء المكتبات الجامعية العربية اهتماماً، وذلك بتوفير الكتب الدراسية الإلكترونية على أن تكون قابلة للعرض على الهواتف المحمولة لطلابها.
- ١٩- «ضرورة الاهتمام بكيفية ظهور مواقع المكتبات على الشبكة من خلال الهواتف المحمولة، واتخاذ التدابير اللازمة للتأكد من ملاءمتها للشاشات الصغيرة»<sup>(٢٨)</sup>.
- ٢٠- دعم مشروعات أرشفة المحتوى الوطني في كل قطر عربي والمحتوى الخاص بالخدمات الحكومية الإلكترونية.
- ٢١- إجراء دورات تدريبية في مجال الرقمنة العربية وبوجه خاص علم اللغة الحاسوبي والذكاء الاصطناعي وتنظيم المعلومات... إلخ.
- ٢٢- «ضرورة أن تتولى المنظمات بناء مكانز عربية متخصصة بدلاً من الاعتماد على الجهود الفردية»<sup>(٢٩)</sup>.
- ٢٣- «تحفيز إنشاء شركات متخصصة متوسطة وصغيرة تعنى بصناعة المحتوى الرقمي العربي بالتعاون مع الشركات العالمية»<sup>(٣٠)</sup>.

(٢٨) الدكتورة أماني محمد السيد- استخدام الهواتف المحمولة في تعزيز الوصول للمحتوى الرقمي العربي- دراسة لمتطلبات النشر اللاسلكي ومقوماته- مؤتمر المحتوى العربي في الإنترنت- التحديات والطموحات- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض ٢٠١١ ص ٢٤.

(٢٩) بنت عتتر شهاب أحمد- المكانز العربية على شبكة الإنترنت- الواقع ومتطلبات التطوير- جامعة المنصورة بمصر ٢٠١٤.

(٣٠) أ.م.د. يحيى حمود حسن البوعلي- مركز دراسات البصرة والخليج العربي بجامعة البصرة- واقع اقتصاد المعرفة في دول مجلس التعاون الخليجي وفقاً لمؤشرات المحتوى الرقمي- مجلة الاقتصاد الخليجي- العدد ٢٤ عام ٢٠١٣ ص ٣٢.

- ٢٤- «ضرورة التقييم المستمر للمواقع الخاصة بالمحتوى الرقمي للوقوف على مدى القصور أو الجودة ومعالجة القصور إن وجد بصفة مستمرة»<sup>(٣١)</sup>.
- ٢٥- توفير فرص عمل جديدة للشباب في الوطن العربي في ضوء الاستثمار في مجالات اللغة العربية عامة والرقمية خاصة.
- ٢٦- ضرورة الإسراع في تعريب أسماء النطاقات العربية على الشبكة في ضوء معايير اللغة العربية والمعايير الدولية.
- ٢٧- العمل على بث الوعي القومي بأهمية المحتوى الرقمي العربي بالاستفادة من البرامج الإعلامية والثقافية والتربوية، بواسطة الكلمة المسموعة والمطبوعة والمرئية، والتوعية بخطر ظاهرة العريزي على اللغة العربية.
- ٢٨- دعوة المستثمرين العرب إلى توجيه بعض من مشروعاتهم نحو صناعة المحتوى الرقمي العربي والاستثمار في زيادة مساحته على الشبكة.
- ٢٩- إعلان مسابقات على الصعيد العربي لأفضل المواقع الإلكترونية التي تعتمد اللغة العربية الفصيحة في نشر موادها، وتخصيص الجوائز للمواقع المتميزة تشجيعاً لأصحابها، وحثاً للمواقع الأخرى كي تحذو حذوها.
- ٣٠- السعي لإنشاء مكتبة رقمية عربية لإبراز الثقافة العربية الأصيلة وتبيان إسهامها في مسيرة الحضارة البشرية على أن تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

(٣١) الدكتورة عزة فاروق جوهرى - قسم المكتبات والوثائق بجامعة بني سويف - المياداتنا ودعم استرجاع المحتوى الرقمي للصحف العربية الإلكترونية في البيئة الرقمية - دراسة تطبيقية لمدى تمثيلها في بعض الصحف المصرية والسعودية - ص ٢٧.

- ٣١- الحؤول دون إضاعة الوقت في الكتابة للرد والرد المضاد وفي أغراض لا تخدم زيادة المحتوى بالعربية الفصيحة.
- ٣٢- السعي الجاد من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى تنفيذ مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة الذي تقدمت به الجمهورية العربية السورية إلى مؤتمر القمة العربي الذي عقد في دمشق عام ٢٠٠٨ واعتمده المؤتمر، وقدم الشكر للجمهورية العربية السورية على مبادرتها لإطلاق هذا المشروع، وكلف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بإنفاذه، ووضعت آليات تنفيذه في مؤتمر القمة العربي المنعقد في الدوحة عام ٢٠١٠.

\* \* \*

## المصادر والمراجع

### المراجع بالعربية

- الإتاحة الرقمية للدوريات العربية ودورها في تطوير صناعة المحتوى الرقمي العربي - الدكتور طلال ناظم الزهيري - المجلة العراقية لتكنولوجيا المعلومات - بغداد - تشرين الأول ٢٠١١.
- استخدام الهواتف المحمولة في تعزيز الوصول إلى المحتوى الرقمي العربي - الدكتورة أماني محمد السيد - دراسة لمتطلبات النشر اللاسلكي ومقوماته - مؤتمر المحتوى العربي في الإنترنت - التحديات والطموحات - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ٢٠١١.

- إشكالية وجود المحتوى الرقمي العربي على العنكبوتية وسبل دعمه -  
الدكتورة عزة فاروق جوهرى والدكتورة سوسن ضليمي - جامعة بني  
سويف - قسم المكتبات والوثائق.
- بناء المحتوى الرقمي السوداني في المكتبات ومراكز المعلومات - الدكتور  
محمد عبد الله محمد عبد الله والدكتورة وفاء عشم غبريال مرقص - المؤتمر  
الثالث لجمعية المكتبات السودانية - الخرطوم - يوليو ٢٠١٣.
- تجربة المعهد العالي للعلوم التطبيقية في المحتوى الرقمي - الدكتورة  
أميمة الدكاك - المؤتمر الوطني الأول لصناعة المحتوى الرقمي العربي  
بدمشق - حزيران - دمشق ٢٠٠٩.
- دور جوجل في نشر المحتوى الرقمي العربي وحفظه - مؤتمر المحتوى  
الرقمي العربي في الإنترنت: التحديات والطموحات - الدكتورة فاتن  
سعيد بامفلح - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض -  
تشرين الأول ٢٠١١.
- اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الإسكوا) - تعزيز المحتوى  
الرقمي العربي في المنطقة العربية - الأمم المتحدة - الاجتماع السادس  
للجنة الاستشارية للتنمية العلمية والتكنولوجية والابتكار التقني، ٣-٤  
نيسان ٢٠١٢.
- اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا) - مشروع تحفيز  
صناعة المحتوى الرقمي العربي من خلال الحاضنات التكنولوجية -  
الدكتورة نبال إدلبي - بيروت ٢٠١٤.
- اللغة العربية بين الانتماء والهوية والتحديات المستقبلية في عصر  
الرقمنة - الدكتورة ناريمان إسماعيل متولي - المؤتمر الرابع للمجلس  
الدولي للغة العربية - دبي - مايو ٢٠١٥.



- اللغة العربية واقعاً وارتقاءً - الدكتور محمود السيد - الهيئة العامة السورية للكتاب - دمشق ٢٠١٠.
- المحتوى الرقمي العربي - لمحة عن القطاع - مختبر ومضة للأبحاث - آذار ٢٠١٥ Google.
- المكانز العربية على شبكة الإنترنت - الواقع ومتطلبات التطوير - بنت عنتر شهاب أحمد - جامعة المنصورة - نيسان ٢٠١٤.
- موسوعة نول (Knol) الرقمية - نموذج للتأليف والوصول الحر - تقييم للحدود ومدى الاستفادة في مجتمع المعرفة وإثراء المحتوى الرقمي العربي - الدكتورة عزة فاروق جوهرى - جامعة الملك عبد العزيز -
- المبتدات ودعم استرجاع المحتوى الرقمي للصحف العربية الإلكترونية في البيئة الرقمية - الدكتورة عزة فاروق جوهرى - جامعة بني سويف - قسم المكتبات والوثائق ٢٠١٠.
- واقع اقتصاد المعرفة في دول مجلس التعاون الخليجي وفقاً لمؤشرات المحتوى الرقمي - الدكتور يحيى محمود حسن البوعلي - مجلة الاقتصاد الخليجي - العدد ٢٤ سنة ٢٠١٣.

### المراجع الأجنبية

- Beetham, H, and Sharpe, R (2013). Rethinking pedagogy for a digital age, Designing for 21<sup>st</sup> Century learning. N4
- Montgomery k, (2001), Digital kids: the new on line children, S consusmer culture . IND. Siger 8e j. singer (eds), Hand book of children and the media thousand oaks, ch: sage publications, inc.
- UNESCO (2005) The role of UNESCO in the construction of knowledge societies through the UNiT win / UNESCO clairs programme Paris.



## الخلايا الجذعية والموت المبرمج

هاني خليل رزق (\*)

Sunt lacrimae rerum et mentem mortalia tangunt.

L. Publius Vergilus Maro (Virgil)

(70-19 B.C.), Aeneid, 1, 462.

حياة الإنسان تجربة مفعمة بالحزن، وقدر نهايتها مُكْرَبٌ.

«ببليوس فيرجيليوس مارو» (فيرجيل)

(١٩-٧٠ قبل الميلاد)، «الإنيادة»، ٤٦٢، ١.

### أولاً - مقدمة عامة

تشتمل هذه المقدمة على عدد من المفاهيم والتعاريف الأساسية، التي توضح مفهوم الخلايا الجذعية، وأهميتها فيما يتعلق بالجسم البشري. كما تنطوي هذه المقدمة على تعريف الموت الخلوي المبرمج، وغير المبرمج أو العرضي (النخر الخلوي)، والدورة الخلوية، والبروتين P53 ومشابهاته، وعلاقة هذه البروتينات بالسرطن، وأهمية الموت الخلوي المبرمج التخلقي، والبروتينات الوصيفة، وإنزيمات الكاسباز، والمعالجة بالخلايا الجذعية.

### ١ - الخلايا الجذعية:

كما هو معلوم؛ فإنَّ جسم الإنسان البالغ يتكون وسطياً من مئة ألف

---

(\*) ألقى عضو مجمع اللغة العربية بدمشق الدكتور هاني رزق هذه المحاضرة بتاريخ

٢٠١٥/١٢/٣٠.

مليار (١×١٠<sup>١٤</sup>) خلية. يستموت منها بالموت الخلوي المبرمج programmed cell death، أو الانتحار الخلوي cell suicide، أو الاستموات apoptosis (ثلاثة مُسمّيات لظاهرة واحدة)؛ يستموت منها إذن في كل ثانية نحو مليون خلية. أي إنَّ خلايا جسمنا كافة تستموت كل ثلاث سنوات تقريباً. ويجري التعويض عن الخلايا المستموتة بوساطة الخلايا الجذعية. والخلايا الجذعية هي خلايا جنينية توجد في نسيج الجسم كافة، مهية كي تنقسم عندما تستموت أو تموت خلية معينة في النسيج. فتعوض الخلية البنت الناتجة عن الانقسام عن الخلية المفقودة. وبذلك يبقى عدد خلايا الجسم ثابتاً تقريباً. وهذا هو الاستتباب homeostasis الخلوي. وبهذا المعنى؛ فإنَّ الخلايا الجذعية تعتبر أقدم الخلايا في الجسم، لذا فهي أكثر الخلايا عرضة للتسرطن: بسبب انقساماتها المتكررة أولاً، وبسبب قدمها ثانياً. وكما سنرى، يمكن الحصول على هذه الخلايا من نسيج مختلفة.

## ٢- الموت المبرمج أو الاستموات:

ظاهرة فيزيولوجية سوية، تعوض بوساطته الخلايا الجذعية عن الخلايا المستموتة. وتشتمل سيرورة الاستموات، كما سنرى، على عدد من التفاعلات الكيميائية الحيوية، يقودها بصورة رئيسة، البروتين P53 ومشابهاته (P21, P63, P73)، ومستقبلات الموت، وإنزيمات الكاسباز، والجسيمات الكوندرية، وإنزيم السيتوكروم c.

## ٣- النخر الخلوي cell necrosis :

النخر الخلوي هو موت خلوي طارئ، يحدث في كل مرة تتعرض فيه الخلية لأذية ما، كتكسّر جزيء DNA مثلاً بسبب الجذور الحرة (مثل ذرة الأوكسجين، التي تحمل إلكترونات واحداً، O<sup>-</sup>)، أو المواد الكيميائية المؤذية،

أو الرضح trauma الخلوي، الذي ينشأ بتأثير ميكانيكي، أو حراري، أو نقص التروية، وبخاصة فقد الغلوكوز أو الأكسجين.

#### ٤ - الدورة الخلوية cell cycle :

يبدأ الانقسام الخلوي، في خلال تكون الفرد، في إثر إخصاب البيضة، التي تنقسم قرابة ٤٥ مرة كي تعطي ما يقرب من مئة ألف مليار خلية (أي <sup>٤٥</sup>٢). ولكي تنقسم الخلية لتعطي خليتين بنتين عليها أن تمر بالدورة الخلوية. وتتألف هذه الدورة، كما سنبيّن لاحقاً، من أربعة أطوار، هي: الفضوة ١ أو G1، (G من gap)، والطور S؛ أي طور إنشاء DNA (S من إنشاء synthesis)، والفضوة ٢ (G2)، والطور M (M من انقسام mitosis، حيث يحدث انقسام الخلية إلى خليتين ابنتين متساويتين بنية وشكلاً). ففي G1 تستعد الخلية لإنشاء DNA. وفي الطور S تضاعف الخلية في نهاية هذا الطور جزيئات DNA من 2n (أو 2C) إلى 4n (أو 4C). وكما نعلم؛ فإنّ الخلية البشرية تحوي ٤٦ جزيئاً من DNA - صبغياً-، نصفها أتى من الأم، والنصف الآخر أتى من الأب. وكل جزيء من الأم يماثله جزيء من الأب، تماثلاً بنيوياً وشكلياً، ويعرف الفرد الصبغي الواحد بالصبغي المماثل homologous chromosome، ما عدا حالة الصبغين الجنسيين، حيث تحوي الخلية الأنثى الصبغين XX، والخلية الذكرية الصبغين X و Y). أي إنّ الخلية الواحدة تشتمل في نهاية الطور S على ٩٢ جزيئاً من DNA، أو صبغياً. أمّا في أثناء G2؛ فإنّ الخلية تضاعف جميع عضياتها organelles، وجزيئاتها (من أيونات معدنية إلى الجزيئات البروتينية السكرية، وغيرها من الجزيئات). ويحدث في الطور M انشطار الخلية الأم إلى خليتين ابنتين. وعندما تبدأ الخلية بالتمايز، تتوقف عن الانقسام، وتنسحب إلى الفضوة Go، حيث تصبح

وظيفية ذات دور في حياة الفرد محدد تماماً. إنَّ السواد الأعظم من خلايا جسمنا موجود في الطور Go. ولا تعود الخلية إلى الدورة إلا إذا تحولت إلى خلية سرطانية. وما دامت أن الخلية في الدورة الخلوية؛ فإنَّ أجلها لَمَّا يتحدد بعد. ولكن ما إن تصبح وظيفية؛ فإن عمرها يغدو محدوداً، وستستموت في لحظة ما قادمة. لذا؛ فإنَّ الخلايا السرطانية خالدة لأنها لا تتوقف عن الانقسام، ومثالها خلايا (هيللا) Hela (من Henrietta Lax، سيدة زنجية من مدينة (شيكاغو) أُصيبت بسرطان عنق الرحم، وأخذت منها في العام ١٩٥٢ هذه الخلايا، التي وصلت إلى مختبرات العالم كلها، التي تُعنى بالدراسات السرطانية والخلوية. كما أنَّ هذه الخلايا أُرسلت إلى الفضاء بغرض دراسة تأثير الثقالة، وما تزال حتى الآن حية نشطة).

#### ٥- البروتين P53 والتسرطن:

يسمى هذا البروتين أيضاً حارس الجينوم the guardian of the genome. يمكن للخلية وهي في الطور S أن تتعرض لمواد ضارة، وبخاصة الجذور الحرة الناتجة إمَّا من الاستقلاب الخلوي السوي، وإمَّا نتيجة التعرض للإشعاع؛ فتتكسر عند جزيئات DNA ذات الحلزون المزدوج بسبب تحطم الروابط الهدرجينية، التي تسبب تشافع شريطي الحلزون. ولكي لا تتحول الخلية إلى خلية سرطانية بسبب هذا التكسر؛ فإنَّ البروتين P53 والبروتينات الأخرى المشابهة (P21، P63، P73) يحصر الخلية في الطور S، ويمنعها من التقدم في الدورة. تأمر هذه البروتينات عندئذ إنزيمات تصليح DNA (repairing enzymes) كي تقوم بتصليح التكسر، وإعادة الجزيء إلى حالته السوية. فإذا كانت الكسور قابلة للتصليح، يُنجز ذلك، ويرفع P53 الإحصار عن الخلية، التي تستأنف عندئذ الدورة، وتتقدم إلى الطور G2؛ فالطور M.

أمّا إذا كانت الكسور جسيمة، ولا تستطيع إنزيمات تصليح DNA رَأب صدوعها؛ فيأمر P53 الخلية أن تستموت، ويمنعها من التقدم في الدورة. إنّ هذا يعني أنّ P53 يضحى بالخلية المُتأذية بُغية الحفاظ على الجسم (الجينوم)، لأنه إذا سَمَح لهذه الخلية بالانقسام؛ فقد تتحول إلى خلية سرطانية تقضي على كامل الجينوم. ومن هنا أتى اسم هذا البروتين: حارس الجينوم. وكما سبق أن ذكرنا؛ فإنّ الخلايا الجذعية مؤهبة أكثر من غيرها كي تصبح خلايا سرطانية لسببين اثنين: ١- تهيؤها المستمر كي تعود إلى الدورة الخلوية لتتقسم، وتعوض عن الخلايا المستموتة. ٢- كونها أقدم الخلايا في الجسم.

#### ٦- الموت الخلوي المبرمج التخلقي **morphogenetic death** :

يحدث في أثناء تنامي الجنين تكوّن بنى معينة نتيجة استموات الخلايا في مرحلة زمنية محددة تماماً من حياة الجنين. ويحدث هذا الاستموات حتى ولو نُقلت البنية إلى موضع آخر في الجنين لا يحدث فيه موت خلوي؛ فتستموت الخلايا المنقولة في اللحظة نفسها، التي تستموت فيها الخلايا الشاهدة (التي بقيت في مكانها). وهذه هي حال تكون الأصابع في صفيحتي اليد والقدم الجنينيتين، وحال تمزق الصفيحتين الفموية والشرجية، وانفتاح التجويفين الفموي والشرجي، وأيضاً حال الأفلاح البلعومية، وتجوّف المري. ويمكن اعتبار هذا النمط من الاستموات بحق موتاً خلويّاً مبرمجاً حقيقياً لأنه مبرمج من داخل الخلية (لا يحدث نتيجة تأثير عوامل خارجية) من جهة؛ ولأنّه يؤدي ، من جهة أخرى، إلى تكوّن بنى وظيفية أساسية لنظامية التنامي الجنيني.

٧- البروتينات الوصيفة **chaperon proteins** :

تُعرف هذه البروتينات أيضاً ببروتينات الصدمة الحرارية heat shock proteins (HSP)، أو بروتينات الكَرْب stress proteins. تنجز هذه الطائفة من البروتينات، التي تتراوح كتلتها الجزيئية النسبية بين ١٥ و ٩٠ كيلو دالتون، الوظائف الأساسية التالية: أ- تسهر على حسن التنامي الجنيني السوي، وعلى نظامية إنشاء الجزيئات البروتينية السوية. ب- تقي بروتينات الخلية من التمسوخ denaturation (ومن ثم تنقذ الخلية من الموت) في حال التعرض المؤقت لحالات الكرب (ارتفاع درجة الحرارة أو انخفاضها، أو نقص الغلوكوز أو الأوكسجين، أو حالات الرضح، وهلمَّ جراً). ج- تعمل على التخلص من البروتينات الهرمة، أو ذات الإنشاء السيء، أو الطافرة. إن هرم البروتينات الوصيفة يؤدي بالخلية إلى الاستموات، ومن ثم فإنَّ تجددتها يتسبب في إطالة عمر النسيج أو العضو.

لقد جرت هندسة خلايا كبد الفأر جينياً كي تُعبَّر باستمرار عن البروتينات الوصيفة المستقبلية للبروتينات المُتمسخة؛ فبقي الكبد فتياً عمره ستة أشهر، في حين أنَّ عمر بقية أعضاء جسم الفأر أصبح ٢٢-٢٦ شهراً (إنَّ هذا العمر للفأر يعادل في الإنسان العمر ٨٠-٨٥ عاماً). بناء على ذلك، استنتج الباحثون، الذين قاموا بهذه الدراسة، أنَّ الكِبَر يرجع إلى تراكم البروتينات المتمسخة الناتجة عن الكرب، بسبب هرم البروتينات الوصيفة، التي أصبحت غير قادرة على نقل هذه البروتينات المُتمسخة إلى الجسيمات الحالة، التي تعمل على التخلص منها. ويرجع أيضاً إلى تناقص إنشاء البروتينات الوصيفة. إنَّ الإنتاج المستمر لهذه البروتينات الوصيفة يحول إذن دون حدوث الكِبَر.



## ٨- إنزيمات الكاسباز caspase enzymes :

إنزيمات الكاسباز هي طائفة من الإنزيمات يزيد عددها على ١٣ إنزيمًا، يرمز لها بالرمز C، وأشهرها C9؛ إنها تعمل كشلال يتضخم فعله من خطوة لأخرى. تحكّمه إنزيمات الكاسباز الرابطة الببتيدية في السلاسل البروتينية بين حمض السيستئين c، وحمض الأسبارتيك asp، ومن هنا أتى اسمها c-asp-ase. إنَّ إنزيمات الكاسباز تتفعل في الموت الخلوي المبرمج في إثر تَفْعُل مستقبلات الموت death receptors الموجودة في غشاء الخلية؛ فتشرع إنزيمات الكاسباز بتكسير (حلمهة) السلاسل الببتيدية في بنى الخلية المستموتة.

## ٩- المعالجة بالخلايا الجذعية:

يتلخص مبدأ المعالجة بالخلايا الجذعية باستبدال خلايا جذعية محرّضة لأن تكون عديدة الإمكان (iPS) induced pluripotent stem cells بخلايا مستموتة في عضو من أعضاء الجسم. وتؤخذ الخلايا الجذعية إمّا من جلد المريض (الأرومة الليفية fibroblast)، وإمّا من النسيج الشحمي (الخلايا الشحمية adipocytes). تُزرع هذه الخلايا في وسط خاص كي تحرض لتصبح خلايا جذعية محرّضة عديدة الإمكان (iPS)، ثم تزرع مكان الخلايا المستموتة.

## ثانياً - الخلايا الجذعية:

يبدأ التنامي السوي للفرد البشري (أي تكوّن الفرد ontogeny) بالبيضة المخصبة (الزيجوت zygote). وعلى اعتبار أنّ هذه الخلية الفريدة (التي لن يتكرر أبداً ما يساويها مساواة تامة) ستكوّن الفرد كاملاً؛ يُقال عنها إنّها كلية الإمكان totipotent. وبعد أن تنقسم في الزجاج in vitro مدة خمسة أيام تقريباً، يصل الجنين المتنامي مرحلة الكيسة الأريمية blastocyst. وتتألف

الكيسة الأريمية، التي ما تزال بحجم البيضة المخصبة (أي ما يقرب من ٦٠ - ٦٥ ميكرون) من قرابة ١٥٠ خلية، وتشتمل على نمطين من الخلايا: خلايا الأرومة الغذائية trophoblast، التي ستكوّن الأغشية الجنينية (المشيمة placenta)، وخلايا الكتلة الخلوية الداخلية (\*inner cell mass) (أو ما يعرف بالقرص الجنين embryonic disk، أو الزر الجنيني embryonic button)، التي ستكوّن جسم الجنين. وعلى اعتبار أنّ بإمكان الخلية الواحدة (خلية أرومية blastocyte) من الكتلة الخلوية الداخلية أن تتمايز إلى جميع أنماط الخلايا الوظيفية (أنماط نسيج الفرد كلها)؛ فلقد عُرفت بالخلية كثيرة الإمكان (pluripotent)، أو الخلية الجذعية (stem cell)، سواء أخذت هذه الخلية من الأرومة العلوية (epiblast) (خلايا الطبقة الخارجية للكتلة الخلوية الداخلية، ويكون حجمها أصغر قليلاً من حجم خلية من الطبقة الداخلية)، أو من الأرومة السفلية (hypoblast). ومع تقدم التنامي الجنيني، تتمايز خلايا الكتلة الداخلية (التي كانت تتألف حتى الآن من نمطين خلويين) نتيجة تكوّن المُعيدة (gastrulation)، متفارقة إلى ثلاثة أنماط خلوية، ينطبق النمط الواحد منها فوق الآخر: الأديم الظاهر (ectoderm)، والأديم المتوسط (mesoderm)،

(\*) يتألف القرص الجنيني في الأسبوع الثاني تقريباً من طبقة خلوية سطحية هي استمرار للأرومة الغذائية، التي تشكل السطح الخارجي المحيطي للكيسة الأريمية؛ ومن الكتلة الخلوية الداخلية، التي تتألف من نمطين خلويين؛ يشكّلان طبقتين خلويتين: خارجية، هي الأرومة العلوية epiblast. وداخلية، هي الأرومة السفلية hypoblast، خلاياها أكبر قليلاً من خلايا الأرومة العلوية. ويفصل بين الطبقتين جوف مجهري يمثل تطورياً الجوف الأريمي blastocel، أو جوف التقسم. ويهاجر في مرحلة المُعيدة gastrula جزء من خلايا الأرومة العلوية منغلقة في هذا الجوف كي تشكل التلم البدائي primitive streak، والأديم المتوسط (انظر: رزق، هاني، مقدمة في علم الجنين، الصفحات ١٢٧-٢١٣، مطبوعات جامعة دمشق، ١٩٨٧).

والأديم الباطن (endoderm). إن مصائر خلايا هذه الطبقات الثلاث أصبح مقيداً في الحالة السوية بعض الشيء، ولا تُعطي كل طبقة منها، في التنامي السوي، إلا أنماطاً خلوية محددة تماماً. كما لا يمكن لخلية من أديم معين أن تتمايز إلى خلية أديم آخر، مع العلم بأنه يمكن مخبرياً قلب خلايا الأديم الواحد صنعياً إلى خلايا الأديم الآخر بمناملة (manipulation) تشتمل على تأثير مواد كيميائية معينة. زد على هذا التفارق في المصير أن خلايا الأديم الظاهر تتنافر تنافراً تمزيقياً مع خلايا الأديم الباطن إذا ما أضحت على تماس معها. وبمعنى آخر؛ فإن خلية الأديم الواحد فقدت جزءاً من كمونها؛ فهي لا تستطيع بدهاءة أن تكوّن أنماط خلايا الجنين كافة. إنها مرحلة بداية ظاهرة التعبير الجيني التفارقي (differential gene expression). ويقال عن خلية من خلايا الأديم الواحد إنها متعددة الإمكان (polypotent). ومع تقدم التعبير الجيني التفريقي؛ فإن كل طبقة أولية من الطبقات الثلاث ستشكل بداءاتها الأولية الخاصة بها. وإذا ما زُرعت خلية من خلايا البداءة الواحدة في وسط آخر؛ فإنها لن تعطي متميزة إلا خلايا العضو نفسه. ويقال عندئذ عن هذه الخلية إنها عديدة الإمكان (multipotent). ويمكن للبداءة الأولية للعضو أن تنمو وتتمايز من حيث الشكل والحجم؛ فتتحول إلى بداءة ثانوية، ثم ثالثة، وتحقق شكل العضو البالغ، الذي يغدو وظيفياً. وتكون الخلية الواحدة في البداءة الثالثة قد وصلت مرحلة التمايز النهائي (terminal differentiation)، وخضعت للانقسام الكمومي (النوعي)، وبدأت بإنشاء البروتين التمايزي الخاص؛ فتحقق الشكل الأمثل لإنجاز الوظيفة المنوطة بها بأعلى مردود ممكن؛ ووظيفة ليست سوى الخاصية الكيميائية الحيوية الفيزيولوجية للبروتين التمايزي. ويكون مصير الخلية قد حُدد وثبت نهائياً، وكذلك أجلها: لن

تنقسم بعد ذلك أبداً، وسيوافيها الموت عاجلاً أم آجلاً؛ فتعوض عن فقدها خلية جذعية متأهبة لتتنقسم بغية التعويض. ولا تعود الخلية المتميزة الوظيفية إلى الدورة الخلوية إلا إذا انقلبت إلى خلية سرطانية؛ فلا تتوقف عندئذ عن الانقسام إلا بموت الجسم الحاضن لها. ويُقال عن الخلية المتميزة الوظيفية إنها أحادية الإمكان (unipotent). وتكون هذه الخلية في الفضوة (Go)؛ أي إنها خرجت من الدورة الخلوية.

لا بد لنا أن نستنتج منطقياً من هذه المقدمة الموجزة الحقائق التالية:

أ- يموت بالاستموات (أو الانتحار الخلوي، أو الموت الخلوي المبرمج) في جسمنا مليون ( $1 \times 10^6$ ) خلية في الثانية الواحدة؛ أي إنَّ خلايا جسمنا، التي يبلغ عددها وسطياً مئة ألف مليار ( $1 \times 10^4$ ) خلية، تستموت كل ثلاث سنوات تقريباً. أمَّا خلايا الدماغ، التي يبلغ عددها مئة مليار ( $1 \times 10^{11}$ ) خلية فقط؛ فيستموت منها في الثانية الواحدة ألف خلية.

ب- إنَّ كل نسج الجسم وأعضائه تحتوي على خلايا جذعية خاصة بكل نسيج من هذه النسج. وتكون هذه الخلايا الجذعية جاهزة دائماً كي تنقسم فتيلياً إلى خليتين ابنتين.

ج- يحدث التعويض عن الخلية المستموتة بانقسام خلية جذعية في النسيج ذاته انقساماً نووياً متساوياً تماماً، وانقساماً سيتوبلازمياً غير متساوياً. ويعطي هذا الانقسام الفتيلي خلية أمَّ حجمها أكبر قليلاً، تبقى خلية جذعية جاهزة للانقسام من جديد عندما تدعو الحاجة إلى ذلك. وخلية ابنة، تتميز لتعوض عن الخلية المفقودة. وعلى ما يبدو؛ فإنَّ الاستموات يحدث عندما تهرم البروتينات الوصفة (بروتينات الكرب أو بروتينات الصدمة الحرارية)؛ فتغدو غير قادرة على نقل البروتينات التالفة إلى الجسيمات الحالة. فتتراكم

هذه البروتينات الهرمة السامة في السيتوبلازما؛ فتطلب عندئذ الخلية الموت بضرورة الاستموات.

د- كما ذكرنا غير مرة، فإنَّ الخلية الموجودة في الدورة الخلوية (التي تنقسم باستمرار) ليس لها أجل محدد؛ فهي بهذا المعنى خلية خالدة. إنَّ خلايا (هيلا Hela) والخلايا السرطانية كافة هي خلايا خالدة.

ه- بالنظر إلى أنَّ الخلايا الجذعية هي خلايا جنينية كثيرة الإمكان؛ فإنَّها تعتبر أقدم الخلايا في الجسم مقارنة بالخلايا المتميزة الوظيفية. إنَّ هذه الحقيقة تعني - إضافةً إلى كون الخلايا الجذعية متأهبة باستمرار كي تعود إلى الدورة الخلوية وتخضع للانقسام - أنَّ هذه الخلايا مكبوبة prone على التسرطن. وفي الحقيقة؛ فإنَّ الخلايا المولدة للأورام تُشارك الخلايا الجذعية خِلالاً عديدة، ويشمل ذلك الأجل غير المحدود، والمقدرة على توليد طيف واسع من الأنماط الخلوية. لذا؛ فإنَّ هذه الخلايا المولدة للأورام تُعدُّ في واقع الأمر خلايا جذعية سرطانية. ويُعتقد أنَّ الخلايا السليفة (progenitors) الخبيثة انبثقت نتيجة قصور تنظيمي أصاب خلايا جذعية معينة، أو أعقاباً (offsprings) مباشرة لهذه الخلايا. بناءً على ذلك؛ يحق للمرء أن يتساءل فيما إذا لم تكن الخلايا الجذعية هي المتهم الحقيقي في نشوء السرطان.

و- تُعدُّ الخلايا الجذعية مسؤولة عن الاستتباب الخلوي للجسم؛ فهي التي تحافظ على بقاء عدد خلايا الجسم ثابتاً تقريباً؛ أي نحو مئة ألف مليار (10<sup>14</sup>) خلية.

وكما سبق أن ذكرنا؛ فلقد قُدِّر أنَّ عدد الخلايا، التي تموت في الجسم البشري بالاستموات (apoptosis)، أو الموت الخلوي المبرمج (programmed

(cell death)، أو الانتحار الخلوي (cell suicide)، كل ٢٤ ساعة يبلغ مئة مليار (١٠×١٠<sup>١١</sup>) خلية (قراية مليون خلية في الثانية الواحدة). وبكلمة أخرى، وكما ذكرنا للتو، فإنَّ خلايا جسمنا كافة تموت كل ثلاث سنوات تقريباً. ويجري التعويض عن الخلايا المستموتة من قبل الخلايا الجذعية. إنَّ هذه الحقيقة، التي لا بد من تأكيدها، كانت وراء استعمال الخلايا الجذعية في معالجة العديد من الأمراض، معظمها ذات أصل وراثي. وهذا ما ينطبق على الخلايا بيتا في جُزيرات (لانغرهانس islets of Langerhans)، (بول لانغرهانس Paul Langerhans) (١٨٠٢-١٩٠٩) في البنكرياس في مرضى النمط I (type I) من داء السكري المنوط بالأنسولين (insulin-dependent diabetes mellitus type I). وغالباً ما يحدث المرض في سن الطفولة. ويُعزى السبب في موت الخلايا بيتا المفترزة للأنسولين إلى تفاعل مناعي ذاتي (autoimmune reaction). كما يمكن تطبيق معالجة الخلايا الجذعية أيضاً (بين أمراض تنكسية أخرى) على العصبونات المتكسفة، التي كانت تفرز الدوبامين، الموجودة في الجسم المخطط (corpus striatum)، وفي المادة السوداء (substantia nigra) لمرضى (باركنسون Parkinson) (جيمس باركينسون James Parkinson ١٧٥٥-١٨٢٤). وتجدر الإشارة إلى أن الاستعمال الأول لخلايا دماغية جنينية (يفترض أنَّها خلايا جذعية عصبية) أُجريت لمعالجة هذا الداء، وذلك في تسعينيات القرن الماضي. بناء على ذلك؛ فإنَّ المعالجة بالخلايا الجذعية (استبدال الخلايا الجذعية بالخلايا التالفة) تبدو وكأنَّها المعالجة المثالية لمعالجة هذه الأمراض، التي تكاد تكون مستعصية على العلاج الدوائي أو الجراحي. لهذا السبب؛ فإنَّ الأبحاث، التي تتناول الخلايا الجذعية، وكذلك المعالجة بهذه الخلايا،

كانت وراء افتتاح العلماء (باحثين وسرييريين)، وكذلك الشركات الدوائية، التي تهتم بالمعالجات السريرية، وأيضاً وسائل الإعلام، بالعود المأمولة، التي اشتملت عليها هذه الخلايا. لذا؛ فإنَّ بيولوجيا وطب الخلايا الجذعية اكتسبا منذ العام ١٩٩٥ وحتى الآن الخاصيات المميزة والشهرة ذاتها، التي اتسمت بها، في نهاية تسعينيات القرن الماضي، المعالجة الجينية.

ولأسباب جلية الوضوح كان على العلماء أن يبحثوا عن مصادر أخرى للخلايا الجذعية غير الكيسة الأرومية البشرية. ولقد اكتشفوا في نهاية المطاف مصدرين اثنين: خلايا الجلد (خلايا الأرومة الليفية)، وخلايا الأرومة الشحمية (adipoblasts)، والخلايا الشحمية (adipocytes) في النسيج الشحمي. وبالنظر إلى المقدرة الاستثنائية التجديدية، التي تتميز بها خلايا الكبد (hepatocytes)؛ فإنَّ بالإمكان استعمالها خلايا جذعية، مع العلم أنَّ الحصول عليها أشد تعقيداً. وعلى ما يبدو؛ فإنَّ النسيج الشحمي يحوي خلايا جذعية (ناضجة)، جاهزة كي تتحول مباشرة إلى خلايا جذعية دون الحاجة إلى عمليات زرع تحضيرية كي تحولها إلى خلايا كثيرة الإمكان (pluripotent). في حين أنَّ خلايا الجلد صعبة الانقياد نسبياً، إذ لا بد من زرعها (كي تُعرض لتصبح خلايا كثيرة الإمكان) مع نوع معين من الفيروسات على خلايا مُطعمة (feeder)، غالباً فأرية (murine) الأصل كي تعرض على الانقسام. فتسمى عندئذ الخلايا الجذعية كثيرة الإمكان المُحَرَّضة (iPS) induced pluripotent stem cells).

ومع أنَّ الخلايا الجذعية المولدة للدم (HSC) hematopoietic stem cells)) لِنَقِي العظم قد استُعملت بنجاح لمدة تزيد على ٤٠ عاماً لتجديد جميع أنماط خلايا الدم؛ فإنَّ التقنية تقتضي غرسها مباشرة في نَقِي العظم المتلقي؛

أي في ملاذها (niche) الطبيعي. وإضافةً إلى ذلك؛ فإنَّ (HSC) مُبرمجة مسبقاً كي تمتاز لتعطي جميع أنماط خلايا الدم. بناءً على ذلك؛ فإنَّ على الخلايا (iPS)، التي يمكن أن تستعمل كخلايا جذعية (سواء كانت خلايا شحمية، أو خلايا أرومة ليفية، أو خلايا كبدية) كي تأخذ مكان الخلايا المستموتة؛ عليها إذن أن تخضع لسيرورتين اثنتين: إعادة البرمجة كي تصبح خلايا شبيهة بالخلايا الجذعية الجنينية؛ أي خلايا جذعية جنينية كثيرة الإمكان من ناحية. وأن تخضع من ناحية أخرى لعدد من الانقسامات التكاثرية، تنجز بعدها الانقسام الكومومي (النوعي) التمايزي النهائي؛ فتغدو عندئذ وظيفة قادرة على أن تأخذ مكان الخلايا المستموتة.

أما فيما يتعلق بمسألة إعادة البرمجة؛ فلقد تبين من التجارب الأولى، التي أُجريت من قبل (بريغز Briggs) و(كينغ King) في العام ١٩٥٢، ومن قبل (غوردون) Gurdon في العامين ١٩٦٢ و١٩٦٦؛ تبين إذن أنَّ على النواة المنقولة أن تعاني تبدلات جذرية كي تصبح نواة خلية جنينية، منها مثلاً أن تنتفخ انتفاخاً كبيراً جداً.

ولدى استعمال خلايا (iPS) في المعالجات السريرية، فإنَّ حدوث الانقسام الكومومي التمايزي النهائي، وتحول الخلية إلى نمط وظيفي معين، سيكون منوطاً في المقام الأول بالوسط الصغري لملاذ خلايا (iPS) المُغتَرَسَة. ويشمل الوسط الصغري ما يلي: أ- الحالة الفيزيولوجية لخلايا الملاذ، التي تكون على تماس مباشر مع (iPS) المُغتَرَسَة. ب- البنية الوظيفية للحمة (matrix) خارج الخلايا الخاصة بالملاذ نفسه. ج- نوعية وطبيعة الزاد (input) والنتاج (output) الإشاريين لخلايا الملاذ؛ أي التخاطب المتصالب، الذي يحدث بين خلايا الملاذ، وبين خلايا (iPS) المُغتَرَسَة.



د- نسبة المقابلة (matching) بين غُدَيَات ومُذَابَات (solutes) الوسط الصِغري لخلايا (iPS) قبل الغرس وبعده، وبخاصة فيما يتعلق بالتركيب الفيزيائي والكيميائي للوسط، الذي ستعرض له خلايا (iPS).  
 وخلاصة القول إنَّ المعالجة بخلايا (iPS) ستصبح المعالجة المثلى عندما نعرف تماماً كيف نضبط بدقة مطلقة تقريباً جميع العوامل، التي تتحكم بإعادة البرمجة، والعدد الدقيق للانقسامات الفتيلية، التي ستخضع لها خلايا (iPS)، ومرحلة حدوث الانقسام الكومومي التمايزي لهذه الخلايا في الإنسان، وليس فقط بالحيوان أو في الزجاج. وإذا لم يحدث ذلك؛ فإنَّ عواقب المعالجة بخلايا (iPS) قد تغدو كارثية، وقد تكون تكلفتها خارج حدود التحمل: حياة المريض المعالج. ومن الجلي أنَّ أي مناملة (manipulation) غير سوية لخلايا (iPS) قد يحولها إلى خلايا مؤذية؛ فتسلك طريق الخباثة (malignancy).

### ثالثاً - الموت الخلوي المبرمج

#### ١ - جين البروتين ٥٣ (P53)

لقد اكتشف الجين p53 في العام ١٩٩٧، ويتوضع في الذراع القصير (p) للصبغي البشري رقم ١٧. ويُرمز الجين p53 البروتين P53، الذي يشتغل كعامل انتساخ، ويوجد في الخلية عادة بكمية ضئيلة جدًّا، وبشكل جزيئي غير ثابت. بيد أنَّ إنشائه بكميات كبيرة يحدث في حالات إصابة DNA الخلية بأذية ما، وبخاصة تشدُّف الصبغيات. ويؤدي هذا الإنشاء الغزير (في حالة الإصابة) إلى ثبات جزيء P53 بنيةً ووظيفةً. وتتمثل إحدى الوظائف المنوطة بـ P53 بعمله (حاجز تفتيش) (checkpoint) للدورة الخلوية في الطورين G1 وG2، وأحياناً في الطور S، وهذا الأمر يتيح تصليح DNA إذا

كانت الأذية غير فادحة. وبالنظر إلى أن الجين p53 تسهر على سلامة الجينوم كي يبقى سويًا بنيويًا، ومن ثمّ وظيفيًا؛ فإنَّ إخفاقه في هذه المهمة (بسبب الأذية البليغة مثلاً)، يجعله يصدر أمراً للخلية المتضررة كي تنتحر بالموت الخلوي، أو بالاستموات، بغية إنقاذ كامل الجينوم (تمام الجسم). لهذا السبب؛ فإنَّ بعض الباحثين أطلق على P53 اسم حارس الجينوم (the guardian of the genome). وسنعمد فيما يلي إلى تليخيص وظائف P53، ووظائف شبيهاته P53-likes (P21 و P63 و P73) كجزء من نظام ضبط الجودة في الخلية.

## ٢ - P53 والدورة الخلوية:

عندما تدخل الخلية الطور G1 ثم S ثم G2 (G من gap فضوة، و S من synthesis إنشاء أو تركيب DNA) من الدورة الخلوية؛ فإنَّ الجذور الحرة (free radicals) ( $O^-$  مثلاً، الذي يفلت من سيرورة الفسفرة التأكسدية في دورة كريس) Krebs في الكونديريات، و  $H_2O_2$  و  $H_3 O^-$  و  $O_3$ ، التي تنتج عن تأين الماء بسبب تعرض الخلية لفوتونات ذات توترات عالية؛ أي ذات أطوال أمواج قصيرة، وبخاصة الأشعة فوق البنفسجية والسينية وغاما، وجميع الجزيئات، التي تحوي جذوراً تفاعلية (reactive)؛ فإنَّ الجذور الحرة هذه تكسر الروابط الهيدروجينية بين شريطي حلزون DNA المزدوج، وكذلك ضمن الشريطة الواحدة، الأمر الذي يعرض الخلية، وبخاصة في الطور S، للطفر. يأمر P53 عندئذ بإيقاف الدورة الخلوية في الطور G2 أو G1، ويصدر أمراً لنظام إنزيمات تصليح DNA (DNA repairing enzyme system) كي يتولى الاهتمام بالأذية. فإذا ما كان التكسر قابلاً للتصليح، ينجز النظام المهمة، ويرفع P53 الإحصار عن الدورة، وتتابع الخلية إلى الطور S أو إلى

M. أمّا إذا كانت أذية DNA بالغة (غير قابلة للتصليح)، ولكي يتم تجنب احتمال استحالة هذه الخلية إلى خلية سرطانية، يمكن أن تدمر كامل الجسم (الجينوم كلية)؛ فإنّ (P53) يضحى بالخلية المتأذية في سبيل إنقاذ الجينوم. بناء على ذلك؛ فإنّ (P53) يأمر بموت الخلية بالاستموات (أو الموت الخلوي المبرمج، أو الانتحار الخلوي) بإجبارها، عن طريق مستقبلات الموت (death receptors) الموجودة على سطوحها، على فتح قنوات  $Ca^{2+}$  و  $Na^{+}$  الموجودة في الغشاء الخلوي. فتغرق عندئذ الخلية و(كوندرياتها) بهذين النوعين من الأيونات، وهذا الأمر يُفَعِّلُ شلال إنزيمات الكاسباز (caspase enzymes cascade). فَيَشَدِّدُ عندئذ DNA النواة والكوندريات، ويحدث الموت الخلوي. إنّ أيونات  $Na^{+}$  تضخ من الوسط الداخلي (خارج الخلية) إلى العُصارة الخلوية بوساطة مضخات الصوديوم، التي تستعمل (ATP) كمصدر للطاقة، وكذلك الحال فيما يتعلق بـ  $Ca^{2+}$ ، التي تدخل الخلية عبر قنوات خاصة بها. وعلاوة على ذلك؛ فإنّ مَسَامَ نوعية توجد في أغشية (الكوندريات)، تُعرف بمَسَامِ النفوذية العابرة (للكوندريات). ( mitochondrial permeability transition pores (MPTP)) تنفتح؛ فتتيح لإنزيمات السيتوكروم (إنزيمات الفسفرة التأكسدية في سلسلة إنزيمات التنفس) أن ترتحل من (الكوندريات) إلى العُصارة الخلوية. إنّ (السيتوكروم  $c^{(*)}$  cytochrome c)

(\*) يوجد إنزيم السيتوكروم c في الكوندريات، وتكوّن جزءاً أساسياً من سلسلة إنزيمات نقل الإلكترونات التنفسية. وتمثل الوظيفة الأساسية للكوندرية، كونها من بدائيات النوى prokaryote، بتعايشها مع الكائنات الحية الأخرى حقيقيات النوى eukaryotes كي تقيها من تأثير الأوكسجين السام. لقد حدثت. سرورة التعايش قبل ٢, ١ مليار عام؛ أي قبل ٣٠٠ مليون عام من افتراق العالمين الحيواني والنباتي عن بعضهما البعض قبل ٨, ١ مليار عام. وبالنظر إلى أنّ الوظيفة الرئيسة (للكوندريات) =

تُعَدُّ، عندما تصبح في العُصارة الخلوية، مفعلاً شديداً لسيرورة الاستموات، ذلك أنها تُفَعِّل بقوة شلال إنزيمات الكاسباز. وكما ذكرنا سابقاً، فإنَّ إنزيمات الكاسباز هي نوع خاص من بروتينات proteasates السيستئين (تَحَلِّمُه البروتين مباشرة بعد ثمالة السيستئين وقبل ثمالة الأسبارتيك)؛ فالكاسباز تُحَلِّمُه إذن الرابطة الببتيدية بين السيستئين Cys وحمض الاسبارتيك Asp. وكما ذكرنا سابقاً؛ فإنَّ اسم هذه السلسلة من الإنزيمات أتى نتيجة ضغم c و asp وase. إنَّ إنزيمات الكاسباز تستهل إذن الاستموات.

### ٣- P53 والسرطان

إنَّ مُسَبِّبات السرطان متباينة وعديدة بتباين وبتعدد المكونات الرئيسة للخلية عندما تصبح شاذة، وبتباين وبتعدد أنماط خلايا الجسم، وبتباين

= التخلص من التأثير السام للأكسجين باستعماله في أكسدة (إحراق) الغُدِّيَّات؛ فإنَّ جينومها لم يتغير تغيراً جوهرياً طوال ذلك الزمن الطويل (١, ٢ مليار عام)، ومن ثمَّ فإنَّ بنية السيتوكروم c (اللاعب الرئيس في سيرورة نقل الإلكترونات) ليس فقط لم تتغير بل إنَّها تحورت قليلاً كي تغدو أكثر كفاية ومردوداً. إنَّ جزيء الإنزيم صغير الحجم نسبياً، ويتألف من ١٠٤ ثمالة حمض أميني، ٢٦ منها حافظت على ذاتها محافظة غير قابلة للتحوير خلال ١, ٥ مليار عام: من الجراثيم حقيقيات النوى المنشئة ضوئياً photosynthetic، والجراثيم نازعة النتروجين denitrifying، حتى نباتات وحيوانات اليوم كافة. وبحكم طبيعة ipso facto هذه الوظيفة؛ فإنَّ زمرة الهيم في الإنزيم، وفي الهيموغلوبين، وما يقابلها في جزيء الكلوروفيل، حافظت على تركيبها الكيميائي محافظة لم يصبها التغير أبداً. إنَّ بنية السيتوكروم c لأكثر من ٨٠ نوعاً من حقيقيات النوى ذات التوزع الواسع قد حُدِّدت تحديداً دقيقاً بالسلسلة المباشرة للبروتين. إنَّنا نعتقد أنَّ هذه الثمالات الستة والعشرين المحافظة محافظة غير قابلة للتغير أساسية للإنزيم كي تنجز وظيفتها كناقل للإلكترونات. في حين أنَّ تخالفات الثمالات الثماني والسبعين الأخرى، التي جرت طوال ١, ٢ مليار عام، إنَّما حدثت بصورة أساسية بهدف تعزيز وظيفة الإنزيم كناقل للإلكترونات.

وبتعدد المواد والعوامل المسببة أو المحرصة على التسرطن، سواء أكانت داخلية التأثير أم خارجيته. ويمكن الاعتقاد عملياً أنّ عدد أنماط السرطان يساوي عدد الأنماط الخلوية، الذي يبلغ قرابة (٢٠٠) نمط. وإذا أردنا أن نتعرف الآلية الجزيئية الحقيقية، التي تقسر الخلية كي تنقسم انقسامات مستمرة وعشوائية، خارجة عن سيطرة الاستتبابية العامة للجسم؛ فعلينا أن نفهم لماذا على البيضة البشرية المخصبة أن تنقسم انقسامات يبلغ عددها قرابة 45 انقساماً كي تعطي ما مجموعه مئة ألف مليار ( $1 \times 10^{14}$ ) خلية تقريباً، تكوّن جسم الإنسان البالغ، والتي عليها أن تستموت كل ثلاث سنوات تقريباً (بمعدل مليون خلية في الثانية الواحدة)؛ حيث تقوم الخلايا الجذعية بالتعويض عنها. وكما سبق أن ذكرنا؛ فإنّ خلايا الجسم تتوزع فيما يقرب من مئتي نمطٍ مختلف، تنتظم في عشريّة من أنواع النسيج الرئيسة. ومن الواضح أنّ الخلية السرطانية تنقسم انقسامات لا ضابط لها، ولا نهاية، حتى تستولي على كامل الجسم. وبهذا المعنى؛ فإنّ الخلايا السرطانية تعتبر خلايا خالدة، في حين أنّ للخلايا الصحيحة السوية عمراً محدداً تماماً، تعينه اللحظة، التي تتمايز فيها الخلية؛ فتغدو وظيفية: إنّها ستموت عاجلاً أم آجلاً. وبحكم حقيقة الأمر (ipso facto)؛ فإنّ المسرطنات (carcinogens)، سواء أكانت ذات منشأ خلوي داخلي، أم خارجي، تبدي تأثيرها في جزئي (DNA) في الأطوار G1 أو G2 أو S، وليس أبداً في الطور M.

ولقد اتضح أنّ أكثر من ٨٠ في المئة من أنواع السرطان يصيب الخلايا الظهارية، ولعل ذلك يرجع إلى أنّ هذا النمط الخلوي يتعرض مباشرة وأكثر من غيره من الأنماط لتأثير العوامل الخارجية. ولقد تبين أيضاً أنّ أكثر من ٥٠ في المئة من الأورام الصلبة، بما في ذلك سرطان الثدي والرئة

والقولوني المستقيمي (colonorectal) إنما يرجع إلى إنشاء خفيض لـ P53، أو إلى الغياب الكلي لهذا الإنشاء: إمَّا لأنَّ الجين p53 قد طُفرت ففقدت وظيفتها، أو لأنَّ الكبح (suppression) أصابها. ومن نافلة القول إنَّ p53 تكبح عادة الجينات الورمية البدئية (proto-oncogenes)، التي تستهل سيرورة السرطن. وبدون هذه الرقابة الكابحة؛ فإنَّ الجينات البدئية الورمية تنشط كي تتسبب في حدوث السرطان. كما اتضح أيضاً أنَّ أنماطاً عديدة من السرطان تغدو عصية على المعالجات السرطانية التقليدية نتيجة تعطل وظيفة P53. ويمكن القول عموماً إنَّ الإشعاع المؤين للماء ينه إنشاء P53. وبالمقابل؛ فإنَّ تعطل وظيفة P53 يمكن أن يحدث إمَّا بكبح الجين p53 بوساطة الجينات الورمية البدئية ذاتها، وإمَّا بتخريب p53 بوساطة البروتيازوم (proteasome). وفي الحقيقة؛ فقد وُجد أنَّ فيروس الورم الحليمي البشري (HPV) human papilloma virus، الذي يخمج مهبل وعنق رحم معظم النساء، يُرْمِزُ الإنزيم E3، التي تعمل على (بيكنة) (ubiquitination) (ربط جزيء اليوبيكويتين بالبروتين) البروتينات، وعلى تخريب P53 بوساطة نظام البروتيازوم. ولكي يتفادى فعل P53، ويفلت من تأثيرها الكابح، فإنَّ الفيروس ينتج E3، التي (تبيكن P53)، وتوسمه للتخريب بوساطة البروتيازوم. وفضلاً على ذلك؛ وجد أن الإنزيم E3 تكون مُفعلة في أكثر من ٩٠ في المئة من سرطان عنق الرحم. وعلى اعتبار أنَّ السرطن يحدث نتيجة فاعلية HPV؛ تم حديثاً تحضير لقاح ضد هذا السرطان بحقن HPV ذي الفوعة (virulence) المخففة إمَّا حرارياً أو كيميائياً. ويُعد هذا اللقاح البسيط أول لقاح مضاد للسرطان تم تحضيره حتى الآن.

ويمكن تلخيص ما سبق بقولنا إنَّ الجين p53 والبروتين P53 يكونان

بحالة تيقظ دائمة، ويسهران باستمرار على التأكد من أن سرطاناً ما لن يتكوّن نتيجة انقسام خلوي معيب بـ DNA مصاب أو طافر. كما أن P53 يكبح الجينات الورمية البدئية. وعلى العكس من ذلك؛ فإنّ نقصاً في إنتاج P53، أو الغياب الكلي للبروتين (نتيجة طفور p53، أو تخريب P53 بواسطة نظام البروتيازوم) سيتسبب بحدوث دورة خلوية شاذة بـ DNA متأذٍ، مع احتمال تنامي السرطان، كما ويستحث الفيروسات، التي تتخلص من p53 بسيرورة البيكنة. فبدون P53 ذي وظيفة نظامية؛ فإنّ الجينوم (الجسد) سيغدو فريسة السرطان؛ وسيقضي عاجلاً أو آجلاً. وهذا هو السبب، الذي جعل P53 يستحق امتياز تسميته (كما سبق أن ذكرنا) حارس الجينوم.

#### ٤ - P53 والموت التخلقي

يوجد البروتين 53 (p53) عادة في الخلية السوية، وكما سبق أن ذكرنا، بكمية ضئيلة، وبحالة جزيئية غير ثابتة. ويحرض تشدّد DNA على إنشائه، ويحثُّ على ثباته. ويقتضي التنامي الجيني السوي (تكون الفرد ontogeny) استموات أنواع عديدة من الخلايا في أعضاء مختلفة كي تقوم هذه الأعضاء بوظائفها على نحو سوي. وهذا ما يدعى بالموت التخلقي (morphogenetic). وتتمثل الأعضاء الرئيسة من جنين الإنسان، التي يتناولها الموت التخلقي، بما يلي: ١- الصفيحتان (plates) الفموية (stomodeum)، والشرجية (المستقيمة) (proctodeum). ٢- الأفلح البلعومية (pharyngeal clefts). ٣- المريء (esophagus) (على الأقل في الطيور). ٤- راحة اليد (handplat) ٥- صفيحة القدم (footplate).

وفيما عدا المريء، وراحة الكف وصفيحة القدم؛ فإنّ الموت التخلقي يؤدي إلى تمزق صفيحتي الفم والشرح، مؤدياً إلى انفتاح البلعوم على التجويف الفموي، وانفتاح المستقيم على الشرج. كما يسبب أيضاً انفتاح الأفلح

البلعومية. ويفترض أنّ هذا الموت التخلقي، الذي يستهله P53، يبدأ التضاد (antagonism) بين خلايا كل من الأديم الظاهر (ectoderm)، والأديم الباطن (endoderm)، التي يسبب التنامي الجنيني هجرة هذه الخلايا كي تصبح على تماس بعضها مع بعض. وعلى أبحاث المستقبل أن تتعرف الآلية الجزيئية، التي تكمن وراء هذا التضاد. أمّا فيما يتعلق بانفتاح المريء الجنيني، الذي يكون في البداية على شكل جبل صلب، وتكوّن أصابع (fingers)، وأبأخس (toes) القدم من صفائح جنينية مستمرة، فإنّه يتم باستموات، أو بموت خلوي مبرمج، أو بانتحار خلوي صريح وواضح، مُبْتَنًا تَشْبَهُ صَارِمًا بوساطة مجموعة من الجينات تُفَعَّل في لحظة محددة تمامًا بقطع النظر عن موقع الخلايا، التي ستستموت. فعندما جرى نقل بداءة صفيحة اليد أو القدم إلى موقع آخر من الجنين لا يصيبه الاستموات (كالجُسيدات somites مثلاً)؛ فإنّ تكوّن الأصابع أو الأبأخس بالاستموات الخلوي حدث في اللحظة نفسها، التي حدث فيها في الصفيحة الشاهدة (التي بقيت في مكانها). أي إنّ الوسط الصغري للخلايا لا علاقة له باستمواتها، وأنّ هذا الاستموات مبرمج من داخل الخلية، حيث تتفَعَّل جينات، أو بروتينات محددة تمامًا؛ فتستهل هذا الموت المبرمج ذاتيًا.

\* \* \*

## المصادر والمراجع

- Berg, J. M. et al. Biochemistry, W.H. Freeman and Company, New York (2002).
- Clark, M.F. and Baker, M.W. Sci. Am. 295 (1), 52-59 (2006).



- Cookson, C. Sci. Am. 293 (1), A6-A11 (2005).
- Gilbert, S.F. Developmental Biology, Sinaur Associates, Inc. Publisher, Sunderland, Massachusettes, U.S.A. (1994).
- Klingler, C. La Recherche 382, 38-43 (2005).
- Lanza, R. and Rosenthal, N. Sci. Am. 290 (6), 90-99 (2004).
- Lochaurn, M. La Recherche 379, 22 (2004).
- Lodish, H. et al. Molecular Cell Biology, W.H. Freeman and Company, New York (2000). Park, A. Time, P.11 (Sep.06.2010).
- Ratel, H. Science et Avenir 706, 16 (Dec. 2005).
- Rizk, H.K. Am. Zool. 11 (4), 311 (1971).
- Rizk, H.K. Arch. Anat. Hist. Embr. Norm. Exp. 54, 113-122 (1971).
- Rizk, H.K. Evolution Oriented, Genome Personalised (in press).
- Rizk, H.K. and Hamilton, H.L. Am. Zoo1.3 (4), 11 (1963).
- Rizk, H.K. et Ruch, J.V. Compte Rendus de Séance de la Societé de Biologie 165 (5), 1130-1136 (1971).
- Rizk, H.K. et Ruch, J.V. ibid 166 (2,3), 433-438 (1972).
- Rizk, H.K. et Ruch, J.V. ibid 166 (10), 1378-1380 (1972).
- Rizk, H.K. et Ruch, J.V. Arch. Biol. (Liège) 83, 481-497 (1972).
- Watson, J.D. DNA, the Secret of life, Alfred Knoff, New York (2003).
- Weinberg, R.A. Sci. Am. 62-70, September (1992).
- رزق، هاني. موجز تاريخ الكون، من الانفجار الأعظم إلى الاستنساخ البشري، دار الفكر، دمشق (2003).
- رزق، هاني. الجينوم البشري وأخلاقياته: جينات النوع البشري وجينات الفرد البشري، دار الفكر دمشق (2007).
- رزق، هاني. العقل والدماغ البشري، دار الفكر دمشق (2015).



أبناءُ جمعيةٍ وثقافيةٍ



## حفل استقبال الأستاذ الدكتور وهب روميه عضواً في مجمع اللغة العربية

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية في جلسته المنعقدة (في ٢٦ / ١ / ١٤٣٨ هـ - ٢٧ / ١٠ / ٢٠١٦ م) الأستاذ الدكتور وهب روميه عضواً في مجمع اللغة العربية، ليشغل الكرسي الذي شغره بوفاة الأستاذ سليمان العيسى، وصدر المرسوم الجمهوري رقم (٣٧٤) في (١٥ / ٢ / ٢٠١٦ م) بتعيينه.

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ وهب روميه في جلسة علنية عقدها (يوم الأربعاء ١٥ / ٣ / ٢٠١٧ م) في قاعة المحاضرات في المجمع، حضرها نخبة من رجال العلم والسياسة والأدب وأصدقاء المحتفى به.

افتتح الحفلة الأستاذ الدكتور مروان المحاسني رئيس المجمع بكلمة موجزة رحب فيها بالسادة الحضور، مهئناً الزميل المجمعى الجديد، مباركاً انضمامه إلى مجمع الخالدين.

ثم ألقى الأستاذ الدكتور ممدوح خسارة كلمته التي تحدث فيها عن الزميل المحتفى به، ونوه بمكانته العلمية والخلقية.

تقدم بعد ذلك الأستاذ الدكتور وهب روميه، وألقى كلمته التي تحدث فيها عن سلفه الراحل الأستاذ سليمان العيسى.

وننشر فيما يلي الكلمات التي ألقيت:



## كلمة الدكتور مروان الحاسني رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق في حفل استقبال الدكتور وهب رومية

### أيها الحفل الكريم

تتمثل حياة الأمم في لغاتها أكثر منها في منحوتاتها ومصنوعاتها، لأن اللغة ديمومة تتجاوز عثرات التاريخ، وما دامت اللغة مرتكزاً لتعرّف الأشياء من أسمائها، متممة للتواصل الإنساني، حاملة للفكر ومفسّرة لحقائق العالم، فهي تطمح إلى الخلود بصفقتها مكنزاً لروح الأمة.

وهذا ما جعل المدّ الحداثي يعيد النظر في تصنيفه للأعراق البشرية، ويتجاوز تلك التقسيمات التي وصفت الأقوام بألوانها: بيضاء، وسمر، وسوداء، إلى جانب ما أطلق عليه اسم الإنسان الأحمر، في الحضارات الأمريكية التي اكتشفها الاستعمار الأوربي حين اجتازت سفنه الكبيرة مجاهل الأطلسي.

والتصنيف البشري الحداثي البديل هو ما أطلق عليه اسم الإثنيات ethnies، وهي تلك المجموعات التي تضم، في كل منطقة جغرافية، الكتل البشرية التي تتشارك في استعمالها للغة واحدة، تحتوي على لهجات فرعية ترتبط بالحيز الجغرافي الذي تسكنه، وتبقى عناصرها الحضارية متشابهة في أنحاء امتدادها. إنه تصنيف يبرز مركزية اللغة في بناء الحضارة، وتمييزها عاملاً للارتقاء بها.

ومتى دخل المنطوق اللغوي للشعوب في مجالات الاستقرار، فإنه يدخل في مرحلة رواية الأحداث، وتوحيد مستندات الخطاب، وتقوم الذاكرة الجمعية بصبِّ بعض المقولات الماثورة في قوالب، لتضبطها مصهورة، تحمل المعاني المنتقاة، وتُهيكل الصور، وتُرسخ الرموز، متسقةً في رتابة نغمية تعزز نبرات من يقوم بإلقائها.

ولقد وجد الأوروبيون الكثير من هذه المحفوظات في حضارات الأزتك والأنكا<sup>(١)</sup>، وهي تعيد على الأسماع تلك البطولات التي اشتهر بها الأسلاف، وتلك الحكم التي يجب أن تُعتمد نواظم لحياة المجتمع، وتستقر في الذاكرة الجمعية، بما فيها من تخيلات عن منشأ الكون، وتوصيفات للآلهة وما كان بينها من صراعات، وبذلك ارتقت لغة التخاطب المجتمعي لتصبح أدباً تتناقله الأجيال.

ليس هذا الأدب سجلاً لأحداث تاريخية، أو تمثيلاً لمنطلقات فكرية تدور حول متطلبات الحياة اليومية، بل هو مخزون فكري يرتقي بالمتلقي إلى آفاق مثالية لا طاقة للأفراد أن يصلوا إليها، إلا من كان منهم قادراً على تجاوز ما هو خاضع له من تُرّهات وبلاغات تحفل بها حياته اليومية.

هذا هو الأدب الإغريقي، يطلعنا على حروبه ومآسيه، وآلهته التي حطت من أعالي السماوات وتجسدت في شعر (هوميروس)، وفي بطولات (هركولس)، وعن مغامرات (جازون) الملقى بالرموز في غزوة «الجزء الذهبية»<sup>(٢)</sup> في بلاد الأمازونات المقاتلات راكبات الخيول. إنه أدب رؤيوي شامخ، يهز المتلقي حين يعرض عليه ظواهر الأحاسيس وبواطنها، ويأخذه

Incas Aztèques , (١)

La Toison d' or- Jason. (٢)



في رحلات تظهر فيها الأعاجيب من المخلوقات والمواقع، ويُدخله في تيارات فكرية وحسيّة متقاطعة، تجعل من الشاعر رُبَّاناً حاذقاً، ومعلماً مفسّراً لهذه الرحلات.

### أيها السيدات والسادة:

لقد ساد الشعر أدبنا، بل ساد تاريخنا منذ ظهور الأمة العربية على المسرح العالمي، حاملةً للغة أدهشت جميع الذين درسوها، وقالوا إنها لغة دخلت التاريخ كاملة الأوصاف، واضحة النواظم، تمكنت من استيعاب جميع ما أدخل فيها من علوم، يحكم العلاقات بين مركباتها منطوق صارم، وذلك قبل أن يصل منطلق أرسطو إلى أصحابها.

وهكذا فقد حمل إلينا الشعر الجاهلي، إلى جانب تلك الصور الحيّة عن العلاقات الإنسانية في البادية، سجلاً وافياً عن أجواء الحرية والشاعرية، وشذرات عن المستوى العالي من أصالة تجمّع القبائل، في بيئة مترامية الأطراف، حول موروث يتغنى بأعلى المناقب، في حماية العرض وفي الصبر والنجدة.

ولعل الطابع الغالب على شعرنا التراثي دقة استحضاره للأحاسيس البصرية، في لمعان السيوف، واحتشاد الجموع، وتوصيف الطبيعة بعوالمها المختلفة، وهذا ما يجعلنا نقول إن الرؤية التصويرية هي منطلقه الأصلي بما في ذلك من حركية ورموز وتبادلات، وأما الرؤيا، تلك التجربة الوجدانية الحارة، فإنها ظهرت محوراً للشعر فيما بعد، عند الصوفية، وهي كما يسميها أدونيس «قفزة خارج المفاهيم القائمة»، ولاشك بأن الرؤيا تستند إلى مقومات حسيّة مختلفة، أهمها التخيل الذي يستشف ما وراء الواقع. وقد وصفها محيي الدين بن عربي بأنها «المشاهدة بالبصيرة»، على حين يصف الرؤية بأنها «المشاهدة

بالبصر». وقد أراد بعضهم تمثيل الرؤيا بالحلم، إلا أن التخيل يعيد صياغة العالم على شكل جديد، على غرار ما تصنعه ريشةُ فنان يتلاعب بالألوان، وهذا الاختلاف بالألوان هو ما يدفع التخيلَ إلى إعادة ترميز المشهد، للتعمق في ترابط عناصره، ليزيد من قوة الوعي بما يرافقه من أحاسيس.

لقد غاب الشعر الرؤيوي عن شعرنا التراثي، على حين نراه حاضراً في التراث الغربي حاملاً للتهويمات، والمبالغات، طيلة القرون الوسطى، يصف حيوات القديسين وما فيها من خروق للواقع، واستمر كذلك حتى القرن السابع عشر ثم عاد بقوة مع الرومنسية.

فهناك فيكتور هوغو<sup>(٣)</sup> ذلك الشاعر الفرنسي الكبير الذي غمرنا باللوحات والأصوات والأحاسيس في مجموعته الشعرية الكبيرة (حكاية القرون Légende des siècles) حيث تتلاقى الصواعق على الرؤوس، ونشهد لمعان السيوف في الملاحم، وننتبّع قابيل بن آدم بعد جريمته، وهو يجوب البراري هرباً من عين تُطلّ عليه من السُحُب، تلاحقه أينما أراد الاستقرار، ويتهيأ بأن يجدها شاخصة أمامه في رسمه. كما أتحننا (هوغو) بقصيدة الجنّ في مجموعته «الشرقيات» Les Orientales حيث يحيي لنا حركات الجن بأصواتها، متوازية مع حياة البشر.

وكذلك فإن الشاعر الأمريكي (ادغار آلن بو Edgar Allen Poe)، قد أغنى اللغة الإنكليزية بقصيدته «الغراب» The raven حيث يأتيه الغراب في ليلة حزينة يذكر فيها محبوبته، يطير حوله ثم يقف على تمثال رخامي مُكرّراً بصوته الأَجَش «إلى الأبد»، «إلى الأبد»، فيجعله الشاعر رمزاً للشقاء العاطفي، معتبراً ترداده «إلى الأبد» هو صوت القَدَر المحزن المسلّط على صفاء حياة البشر، بأن محبوبته قد ضاعت منه إلى الأبد.

وأما ما نجده في الشعر الصوفي ونطلق عليه اسم الشُّطحات الصوفية فإنما هو انفلات من الواقع الكالح الأرضي، للارتقاء إلى أعالي الروحانيات التي يستحق كل إنسان الوصول إليها، كما نفهمه من شعر السهروردي المقتول، أو من جلال الدين الرومي، أو نغمات في مناجاة ابن الفارض (سائق الأظعان يطوي البيد طيًّا)، أو من شطحات الحلاج.

### أيها الحفل الكريم:

نشكر لكم مشاركتنا استقبال المجمعي الجديد الأستاذ الدكتور وهب رومية أستاذ الأدب في جامعة دمشق، وقد عرفه معظمكم في تخصصه ناقدًا، ومشرفاً على الكثير من الدراسات العليا.

ونحن نأمل الكثير من انضمامه إلى مجمعنا ليساهم في مسعانا الحثيث إلى إعادة اللغة العربية إلى وجدان أبنائها، لا بما يسمونه تبسيطها، وهو ما ليست في حاجة إليه، بل بتوضيح حقائق تمكّنها من مسaire الحداثة، دون الابتعاد عن أصالتها.

وقد طلبنا إلى الأستاذ الدكتور ممدوح خسارة عضو المجمع، ومقرر لجنة اللغة العربية وعلومها أن يبسط أمامكم السيرة الذاتية للمجمعي الجديد ذكراً لإنتاجه العلمي.

ثم سيتكلم الأستاذ الدكتور وهب رومية عن سلفه في المجمع الشاعر الكبير الأستاذ سليمان العيسى ليعدد مآثره ومساره الشعري وحقائق اللغة التي تحكّم الشعر في أيامنا. فقد عرف مجمعنا الشعراء منذ تأسيسه، وكان أولهم خليل مردم بك، وقد تبعه شفيق جبيري، وما زالت دواوينهما تتصدر مكتبة المجمع. والكلمة الآن للأستاذ الدكتور ممدوح خسارة، فليفضل.

## كلمة الدكتور ممدوح خسارة في حفل استقبال الدكتور وهب رومية

الأستاذ الدكتور رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

السادة أعضاء المجمع

السادة الحضور الضيوف الكرام

في رحاب أعرق مؤسّسة لغوية عربية في العصر الحديث، نستقبل اليوم  
الزميل الجديد الكريم الأستاذ الدكتور وهب أحمد رومية ابن لاذقية العرب  
ومن مواليدها لعام أربعة وأربعين وتسع مئة وألف.

حصل زميلنا على الإجازة في اللغة العربية وآدابها من جامعة دمشق  
سنة سبع وستين وتسع مئة وألف، ثم على الماجستير في الدراسات الأدبية  
من جامعة القاهرة سنة أربع وسبعين وتسع مئة وألف، ثم على الدكتوراه من  
الجامعة نفسها بمرتبة الشرف الأولى سنة سبع وسبعين وتسع مئة وألف.

عمل الدكتور رومية مدرّساً فأستاذاً مساعداً فأستاذاً في كل من جامعتي  
دمشق وصنعاء، حيث عهد إليه فيهما برئاسة قسم اللغة العربية، ثم في الهيئة  
العامة للتعليم التطبيقي والتدريب في الكويت، وكلف بأخرة عمادة كلية  
الآداب برئاسة تحرير مجلة جامعة دمشق للعلوم الإنسانية، وعضوية هيئة  
تحرير مجلة (التراث العربي) في اتحاد الكتاب العرب.

درّس زميلنا الفاضل الأدب الجاهلي، والأدب القديم، والأدب الأموي

والأدب العباسي، وعلم الأسلوب وأدب الطفل والدراسات الفنية والجمالية. وكان من الطبيعي والحالة هذه أن يشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه، وأن يُسهم في مناقشات رسائل أخرى كثيرة. وأن يُحَكِّم في كثير من بحوث الترقيات الجامعية، وأن يُقَوِّم بحوث مجلات متخصصة محكمة، وأن يشارك في مؤتمرات محلية وعربية، أدبية ونقدية بدراسات أصيلة مجددة أهله لأن يكون من المجتهدين المعروفين في البحث الأدبي والنقدي في الأوساط الثقافية العربية.

للميل الدكتور رومية خمسة كتب منشورة هي:

- الرحلة في القصيدة الجاهلية.

- قصيدة المدح في العصر الأموي.

- بنية القصيدة العربية.

- شعرنا القديم والنقد الجديد.

- الشعر والناقد من التشكيل إلى الرؤيا.

والكتابان الأخيران من إصدار سلسلة عالم المعرفة الذائعة الصيت، وقد استحق مؤلفه (شعرنا القديم والنقد الجديد) جائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، وهي جائزة قيمة نعتزُّ بعضوين من أعضاء مجمعنا فإزا بها هما: الدكتور رومية في ميدان الأدب، والدكتور هاني رزق في ميدان العلوم. وتذكر السيرة الذاتية للميل خمسة عشر بحثاً نشرت في مجلات علمية متخصصة أو مجلات ثقافية جادة.

الميل الكريم:

لم يَخْصَك أعضاء المجمع إذ انتخبوك بمكسبة أو مغنمة، كما قد يتوهم بعضهم، بل دَعَوَك إلى أمرٍ هو مَتَعَبَةٌ وَمَجْهَدَةٌ، لقد انتدبوك للرباط

معهم على ثغرٍ من ثغور الثقافة العربية، هو ثغرُ لُغتها العريقة حاملة هذه الثقافة وحافظة هويتها، وهو ثغرٌ خطير نحاذر أن نُؤتى من قبِله، على أنه لا يخيفنا، ذلك أن لغتنا عصيَّة على الهزيمة وإن ضَعُفت في حين، إذ هي محفوظة محميَّة، مسوَّرة: محفوظة بحصن لا يُطال ولا يُطاول هو التنزيل الكريم، محميَّة بقلاع من خصائصها الذاتية الخلَّاقة المبدعة بما تختزن من طاقة فائقة على التوليد اشتقاقاً ومجازاً، ومن قدرة عظيمة في التطوير الدلالي ومن استطاعة عالية في التعريب اللفظي ودمج المعرَّب في نسيجها عند الضرورة. مسوَّرة بغابة من شبا المران والقُصْب، هم رجالٌ ونساءٌ مجامعها وجامعاتها واتحاداتها، وهم علماؤها وشعراؤها وأدباؤها والغُيرُ الكثرُ من أبنائها الناطقين بها ومن غير الناطقين بها. وطالما قُلْتُ: نحن لا نخشى على عربيتنا الزوال - كما يهرف من لا يعرف - ودونها هذه القِلاع والحصون، لكنَّ ما نخشاه هو أن نُقَصِّر - نحن أبنائها - في أن نجعل منها لغةً علوم ومعاصرة على قدم المساواة مع غيرها من اللغات الحيَّة المتقدمة القادرة على التعبير عن مناحي الحياة كلها.

### الزميلُ الفاضلُ:

ما نعرفه عنك من جِدِّيَّة وموضوعية يحملنا على الاطمئنان، إلى أن هاتين الخصلتين الطيبتين ستؤقِّفان على خدمة العربية تنمية وتطويراً وعَصْرَنة. لقد وضعتم الإصبع على الجرح في عبارة مُنصَّصة في مقدمة كتابك (شعرنا القديم والنقد الجديد) حيث تقول: «المعادلة الصعبة أن نكون معاصرين وعرباً في الوقت نفسه» وفي هذه المعادلة لا يسعنا إلا الجَمْعُ بين طرفيها، فنكون عرباً ومعاصرين في آن، ذلك أنه لا قيمة لعروبة بلا معاصرة، ففي ذلك خروجٌ من الحياة ودخولٌ في عالم الموات، كما لا

قيمة لمعاصرة بلا عروبة، ففي ذلك خروجٌ من الهوية ودخولٌ في مجاهل التبعية والهامشيّة، بدون عروبتنا سوف ننحدر إلى ما دون الرابطة القومية أي إلى الإقليمية والقَبَلِيَّة والطائفية.

### السادة الحضور:

ما يحول دون تنمية لغتنا وتطويرها وتيسيرها اتجاهان: أحدهما يعاديهما عن جهلٍ بقدرتها على النماء والتجدُّد، والثاني يحبُّها حبًّا شديداً يحمله على الخوف عليها من أيّ نسمةٍ تجديد تُهْبُ نحوها، مما يدفعها إلى أن تجار أنقذوني من هذا الحُبِّ القاسي. وإذا كنا لا نحفل بدعاوى الطرف الأول، فإن الطرف الثاني هم شركاؤنا في حمل العربية وحفظها، والفرق بيننا وبينهم أنهم يريدون أن تبقى العربية تُحفَّةً أثريةً جميلة من تُحف الشقيقات، في حين نريد لها أن تكون حديقة غناء تَمور أزهاراً وثماراً، يجد فيها العالمُ المكبُّ على ترجمةٍ علميةٍ أو تجربةٍ تقانية ما يُسَعفه ويُغنيه عن التوكُّؤ على غيرها للتعبير عن مُرادِه ومَقْصِدِه. كما يجد الأديبُ والفنانُ فيها ما يفتح أمامه آفاق الإبداع الجمالي. ولا يكون لهما ذلك إلا بتفعيل خصائص العربية في التوليد اشتقاقاً ومجازاً وفي الدلالة توسيعاً وتعميماً وتخصيصاً. يعرف اللغويون تلك الخصائص ويتغنون بها من مثل الإبدال أو الإلحاق أو التضمين، ويُلقنونها طلبتَّهم متفاخرين، يتناقلون أمثلة اللغويين القدماء لا يزيدون عليها مثلاً واحداً، ولا يُنْقِصون، ولكن إذا جاء مجتهد - قد يصيب أو يخطئ - فأفاد من خصائصها في إقرار كلمة عربية جديدة ملأت الآفاق شيوعاً، تراهم يُعرضون ويُعارضون وقد يتهمون. إن لغتنا بحاجة إلى من يُعلِّمها ناقلاً وملقناً، ولكنها بحاجة أكبر إلى من يطورها وينميها معتمداً على خصائصها التي لا يجوز الخروج عنها. إنَّ لغة انتقلت

من لغة بيان في الجاهلية إلى لغة عرفان في صدر الإسلام إلى لغة برهان فيما بعد، لَهِي في غُنْيَةٍ عن خوفنا، إننا نَحْبُ لغتنا على المَنَشَط والمَكْرَه، كما نعشق وطننا في نعمائه وبأسائه، وكما نَهْوِي الحبيب في رضاه وفي سَخَطه، في صباه وفي كهولته وما بعدها، وذاك لَعَمْرِي هو الحُبُّ الحقيقي. لا يُزَهِّدنا فيها مقولُهُ غريب مُزْرٍ بها، ولا يُؤَيِّسنا من تطويرها تُهْمَةٌ قريبٍ جَزَعٍ عليها، لأننا نشق بخلود هذه اللغة أنَّى اكتنَفَتْها الظُّلْم أو تناوشتها السَّهَام، ذلك أنها واجهت ما هو أحلك ظلمة ومن هو أحدُّ سهاماً، ولكنها صمدت وانتصرت، ولم تكن تلك الظُّلْم ولا السَّهَامُ إلا وحولاً في طريقها، ومعروف أنه:

إذا اعتاد الفتى خَوْضَ المنايا فَأَيَّسِرُ ما يَمْرُبُه الوُحُولُ  
 كم نَعَاها أقوامٌ، ولكنهم نُعُوا هم وبقيت هي، وكم مَوَّتَها أخصامٌ لكنهم  
 قَضَوْا هم وخلدَت هي، وكأني بها تردَّد مع من ضَمَّن قول أبي محسَّد:  
 كم قد نُعِيْتُ وكم قد مِتُّ عندكم ثم انتفضت فزال القبر والكفن  
 وما كان لها ذلك، إلا لأنها تحمل في خصائصها الذاتية مقومات بقائها  
 وأسرارَ خلودها.

إننا نغار على لغتنا، ولا يعدل غَيْرَتَنَا عليها إلا الثَّقَةُ بها، فما من ضَعْفٍ  
 غيرة عليها نفتح لها النوافذ لتأخذ حقها من الهواء والنور، ولكن من عظيم  
 ثقة بأن من نحبها ليست (لَحْمًا على وضم) ينال منها مَنْ يشاء ما يشاء، بل  
 هي كحرائر العرب: (تجوع ولا تأكل بثدييها).

نحن لا نفكر ولا نتغافل عما تواجهه لغتنا اليوم من مشكلات، وما  
 يفشو فيها من ظواهر الانحراف اللغوي. ولكنها ليست في ذلك بدعاً من  
 بين اللغات فيما تواجهه وتجاوبه، فما من لغة إلا وتشكو من وَهْنٍ وتَرَدُّدٍ في



مستوى الأداء اللغوي لدى متكلميها بدرجة أو بأخرى، حتى إن كثيراً من الأمم وَضَعَتْ قوانينَ لإصلاح لغاتها ومعالجة مشكلاتها، كالصين وفرنسا وإيران وروسيا... ومع ذلك فلم يقف من أبناء تلك الأمم مَنْ يُشَنِّع على لُغَتِهِ ويدعو إلى ما سواها في التواصل أو التعليم، كما يذهب نَفَرٌ من أبناء العربية، أو يُرَوِّجُ لأن نستبدل بلغتنا الفصيحة الموحّدة، لهجّة عاميّة ومفارقة. وربما يخفى على بَعْضِ منا أن المشكلات اللغوية التي نواجهها هي نفسها التي كنا نواجهها في خمسينيات القرن المنصرم، ومن يقرأ ما كتبه اللغوي الكبير محمد الخضر حسين وغيره في تلك السنوات عن أدواء العربية وأدويتها لِيُظَنُّ أنه يقرأ عن العربية ليومنا هذا، فما زالت الازدواجية اللغوية بين فصيحة وعاميّة، وما زالت الثنائية اللغوية بين لغة وطنية ولغاتٍ ضرائرٍ أجنبية، وما زالت المعاناة من ضعف الأداء اللغوي وركاكته. ولكن الذي يخفى على كثيرٍ منا، بل ومعظمنا أنها هي المشكلات والظواهر عينها التي كانت منذ ثمانية قرون والتي أتى عليها ابنُ منظور في مقدمة سفره النفيس (لسان العرب) حيث يقول في لغة عصره: «وذلك لما رأيتُه قد غَلَبَ في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان، حتى لقد أصبح اللّحنُ في الكلام يُعدُّ لحناً مردوداً، وصار النطق بالعربية من المعايب معدوداً، وتنافس الناسُ في تصانيف التّرجمات في اللغة الأجنبية، وتفاصحوا في غير العربية، فجمعتُ هذا الكتابَ في زمنٍ أهلُه بغير لغته يفتخرون، وصنعتُه كما صنع نوحُ الفلك وقومه منه يسخرون»... وهكذا لم يخلُ عصرٌ من الانحراف اللغوي الذي نعاني منه، وكم ضاق دَرْعاً بِحَطَلِ الفهمِ وخطأً الكلام في لغة معاصريه مَنْ قال قَبْلَ أكثر من ألف سنة: «قد أُفْسِدَ القولُ حتى أُحْمِدَ الصَّمَمُ».

ولو كانت لغة القوم قديماً فصيحة سليمة كلُّها لما بدأ تصنيف كتب التصحيح اللغوي منذ القرن الهجري الثاني التي أُرَبَّت على العشرات، عالجت أخطاء الخاصة من علماء وفقهاء وخطباء، بله أخطاء العامة. ولكن كل تلك المشكلات والظواهر لم تحل دون تسيّد العربية لغة أدب وعلم وإدارة حفظت الحضارة العربية الإسلامية فانتقلت منها إلى لغات العالم لذلك العهد.

وبعد: فإذا كنّا لا نُقلُّ من أثر المخاطر والمعوّقات التي تعترض لغتنا اليوم، فإننا نوقن بأن العمل اللغوي الدائب والجاد والمستوي على جناحين من أصالة حقيقية، ومعاصرة فاعلة خلاقة، كفيل ببقاء عربيتنا حيّة علمية وعالمية، ذلك أن اللغة منظومة كسائر المنظومات الفكرية والتقانية، هي بحاجة إلى التحديث والتطوير باستمرار، وإلا تخلفت وتجاوزها الزمن والعلم، بل والسوق. لغتنا بحاجة إلى شجاعة بلا تهوّر وإلى حكمة بلا عجز.

مرّة ثانية نرحّب بمن نستقبله عضواً عاملاً في هذه الهيئة المرجعية العليا للغة العربية في بلدنا، ونتطلع إلى أن يكون نعم المعين ونعم الصّبور، لتحقيق المهمة النبيلة التي شرف الوطن مجمّعنا بحملها.

شكراً لكم والسلام عليكم

## كلمة الدكتور وهب رومية في حفل استقباله يتحدث فيها عن سلفه الأستاذ سليمان العيسى

الأستاذ الدكتور رئيس مجمع اللغة العربية

الأستاذ الدكتور نائب الرئيس

الأساتذة الكرام أعضاء المجمع

السادة الحضور

أسعد الله أوقاتكم، والسلام عليكم ورحمة الله.

والسلام على دمشق... السلام على هذه الحساء المشحة بالسواد منذ سنوات.

السلام على دمشق عاصمة الأميين، وحاضرة التاريخ العربي المعاصر.

ويا ربّ عز من أمية لا انقضى ويا ربّ نور وهج الشرق لا خبا

وبعد:

فقد شرفني مجمع اللغة العربية بترشيحي لعضويته، فأوجب علي حق

الشكر والامتنان والتقدير للأستاذ الدكتور رئيس المجمع، وللأساتذة الكرام

أعضاء المجمع واحداً واحداً.

والشكر أولاً وأخيراً لسيادة الرئيس الدكتور بشار الأسد الذي شرفني

بموافقته على الترشيح، فعزّز إيماني بقيمة العمل وكرامة الصواب، ولم تكن

موافقته تكريماً وتشريفاً لي وحدي، بل كانت تكريماً وتشريفاً لكل محب

لهذه اللغة، ولكل غيور عليها، وكانت تعبيراً عن إيمانه العميق بلغة أمته التي هي أهم مقوم من مقومات هذه الأمة.

وبعد، مرة أخرى فقد تصرّفت بي الأسباب إلى ما صرت فيه، فوجدت نفسي على شاطئ العمر ساعة الغروب، فخلوت إليها أتأمل ... سألني الفتى الذي في إهابي:

ألم تزل تحلم؟

قلت ما قاله صلاح عبد الصبور يوماً: أسعى وراء الشمس والشمس في

ظهري.

قال: ألم تزل تشاق إلى وجود أجمل وأكمل؟

قلت: الأشواق جمر الكلام، ألم تسمع قول المتنبي:

وكثير من السؤال اشتياق وكثير من رده تعليل

قال: والشعر؟

قلت ما قلته منذ سنوات: أيها الشعر، يا يمامة من برق وغمام، هبني

بعض صوتك فأنعتك به، أو بعض ريشك فأطير به إليك.

قال: والحنين؟

قلت: بنفسجة الروح، وسرب قطا أصابه عاصف راعد فيه مطرٌ وبرَد.

قال: والفقراء؟

قلت: أعطوهم الوطنية.

قال: والأثرياء؟

قلت: أخذوا الوطن.

قال: والحزن؟

قلت: حزن السوريين لا ضفاف له.

قال: والمجتمع؟

قلت: لا صلاح ولا فلاح لمجتمع لا يعترف بأخطائه. وعلى السوريين جميعهم أن يعترفوا بأخطائهم إذا أرادوا الحياة.

قال: والتاريخ؟

قلت: على السوريين أن ينسوا جزءاً من تاريخهم، ولا سيما تاريخهم القريب، ليضيفوا على تاريخهم الشعور بالتناغم والانسجام، شأنهم في ذلك شأن أمم الأرض قاطبة.

قال: والخيانة؟

قلت: صارت عند العرب وجهة نظر.

قال: والحياة؟

قلت: علّمتني النسبية في كل شيء.

تأمّلتني هنيهة، ثم توأى في القلب. فالتفت أتفقّد مركبة العمر، وأسمع صرير عجالاتها، ووقع حوافر خيلها... فهتفت «يا حوذّي، يا حوذّي، لا تسرع».

فلم يزل تحت لساني بقية من حديث أخصّ به هذه الفاتنة التي نسميها «اللغة العربية». كلنا نحبّها، ولكننا نخونها سرّاً وعلانية!

كلنا عشاق لها، ولكنها تكاد تقع سبيّة بأيدي الغزاة على مسمع ومرأى منا، ونحن لا نملك الكثير لمساعدتها وإنقاذها! وهل تملك مجامع اللغة إلا ما يطفئ حرقه العطش؟

أيها السادة:

إن مصير اللغة مرهون بمصير أبنائها ترتقي وتنتشر وتتطور بارتقائهم وتطوّرهم وقوتهم، وتنحط وتراجع بانحطاطهم وضعفهم وضمور دورهم الحضاري. إن تاريخ اللغة يقرأ في ضوء انتصارات جنودها وكشوف

مكتشفيها، فقد كانت اليونانية لغة التواصل في الشرق الأوسط بسبب جيوش الإسكندر، وكانت اللاتينية لغة التواصل في أوروبا زمناً بسبب جيوش الإمبراطورية الرومانية، وكانت العربية لغة العلم والثقافة والحضارة قروناً متلاحقة في أصقاع واسعة من العالم بسبب جيوش الفتح العربي الإسلامي. وتهيمن اللغة الإنكليزية على العالم اليوم بسبب التوسع الاستعماري البريطاني، والجيوش الأمريكية التكنولوجية الجرّارة. ولو انتصر «هتلر» في الحرب العالمية الثانية لسادت الألمانية في أرجاء شاسعة من العالم - بتعبير الحسان بو قنطار.

وإذا كان تاريخ اللغة الداخلي يبحث في تطورها وأبنتها ومكوناتها الصوتية، والمعجمية، والصرفية، والتركيبية فإن تاريخها الخارجي يبحث في المكانة التي تتبوؤها في مجتمعاتها، ومدى تقدير أهلها لها.... ويكفي كي نعرف مكانة اللغة العربية بين أهلها أن نتذكر شخصية أستاذ اللغة العربية، وما يحيق بها من السخرية والتهكم والاستخفاف الذي يخالطه الأزدرء في عدد من المسرحيات والأفلام القديمة، وأن نتذكر العبث باللغة العربية وازدراءها في مسرحية مدرسة المشاغبين وغيرها. بل يكفي لمعرفة ما أصاب اللغة العربية من هوان على أيدي أبنائها أن نقرأ أطرافاً مما يكتب في مواقع التواصل الاجتماعي لنكتشف أن ظاهرة «العربي» تكتسح هذه المواقع، وأن نستمتع إلى كثير من أبنائها وهم يحرضون على إدخال الألفاظ والعبارات الإنجليزية في درج كلامهم حتى ولو لم يكونوا متقنين للإنجليزية. واستمع إلى كثير من الفضائيات والإذاعات العربية، وقرأ أسماء المحال التجارية والمطاعم والفنادق. بل - وهذا هو الأدهى والأمر - استمع إلى أساتذة الجامعات وهم يناقشون الرسائل العلمية في الكليات الجامعية قاطبة.

إن مصدر خوفى على «اللغة العربية» ليس ناشئاً من اللهجات العامية التي نلهج بها في شؤون حياتنا اليومية، فهذه مسألة ترافقتنا منذ قرون، وقد تكيّفنا معها. بل هو ناشئ من استخدام هذه العاميات في المنابر الثقافية والإعلامية. وهو ناشئ قبل ذلك من هيمنة اللغات الأجنبية على العربية ومحاصرتها على النحو الذي ذكرته.

إن تجارب الأمم تؤكد أهمية اللغة ونماءها باستخدامها في شؤون الحياة جميعها، ولا بدّ للغة من أن تعاصر تاريخها، وتفتح عليه، وتعبّر عنه، وبقدر ما يتكوّن الفكر باللغة تتكون اللغة بالفكر. إن اللغة هي ابنة المجتمع والتاريخ معاً، إنها ذاكرة الأمة، والثقافة هي مخزون هذه الذاكرة. والعلاقة بين اللغة والثقافة علاقة عضوية، وهل يمكننا الحديث عن ثقافة عميقة بلا لغة، أو عن لغة لا ثقافة لها؟

لقد أصدر الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب عام ١٩٩١م قراراً يقضي بأن تكون اللغة الإنجليزية مادة استراتيجية أولى قبل الرياضيات والفيزياء، وغدت بذلك اللغة الإنجليزية في عالم الثقافة توازي الدولار في عالم الاقتصاد. وليست «العولمة» في وجهها الثقافي سوى هيمنة على الثقافات الوطنية، وهيمنة على اللغات القومية.

#### أيها السادة:

إننا نعيش في عصر يشهد تسارعاً مذهلاً في العلم ومكتشفاته وإنجازاته التكنولوجية، ويشهد تفجراً معرفياً لا عهد للإنسانية به، وعلى «اللغة العربية» أن تستوعب ذلك كله، وتكون قادرة على التعبير عنه. وعلينا أن نتذكر أن اللغة القديمة لا تستطيع التعبير إلا عن الأفكار القديمة، لذا لا مناص لنا من تجديد لغتنا وتنميتها والارتقاء بها لنستوعب روح العصر، وتكون قادرة

على التعبير عن حضارته وعلمه وثقافته. ويجب أن نتذكر أن اللغة لا تؤخذ من بطون الكتب وحدها، بل تؤخذ من أفواه الناس أيضاً  
 إن النهوض باللغة العربية ليس قضية لغوية، بل هو قضية ثقافية سياسية. وما من تبعية لغوية إلا جلبت معها تبعية ثقافية، وكل تبعية ثقافية هي جزء من تبعية سياسية واقتصادية، لأن «التبعية» حالة حضارية شاملة لا تقتصر على وجه من وجوه الحياة دون آخر. وحين يغشى اللغة ضعف أو تراجع في انتشارها فهذا دليل على ضعف يغشى الثقافة نفسها، ويهدد «الهوية». وانطلاقاً من هذه الرؤية أحيي تجربة الجمهورية العربية السورية الرائدة في اتخاذ اللغة العربية لغة للبحث العلمي والتعليم العالي على الرغم مما يشوبها.

إن اللغة نشاط روحي خلاق، وهي مثقلة بالأفكار لأن دلالتها دلالة داخلية كامنة فيها، وهي دلالة تختزن سياقاً تاريخياً اجتماعياً ضخماً. إنها - أي اللغة - تعكس تصوّرنا للعالم وأشياءه، وحين نستخدمها فإننا لا نستخدمها عارية من هذا التصور، بل هي مفعمة به. وأكبر دليل على ذلك التسميات، فالتسميات غير محايدة، بل هي تكشف عن تصوّر مستخدميها لها. ويكفي أن أذكر أمثلة قليلة لذلك. فلننظر في هذه التسميات التي تدلُّ كل اثنتين منها على الأمر نفسه على الرغم من الاختلاف الشديد في تصوره، والموقف منه:

الشهيد/ القتيل، الفدائي/ الانتحاري، مواطنون/ رعيّة، عمال/ أجراء، الإصلاح الزراعي/ مصادرة أملاك الإقطاعيين، ترشيد الاستهلاك/ ارتفاع الأسعار... ولم تُسمّ أمريكا غزو العراق احتلالاً بل سمّته تحريراً، ولكنها اضطرت بعدئذ إلى الاعتراف بأنه احتلال. والحديث قياس.



وإذن ليست اللغة أداة محايدة كباقي الأدوات، ولكنها تصوّرات في هيئة رموز منحازة ثقافيًا في كثير من شؤون الحياة؛ لأنها ذات مرجعيّات ثقافية. إنّ دلالتها ليست دلالة خارجيّة كدلالة الدخان على النار أو الغيم على المطر، بل هي دلالة داخلية كامنة فيها كما قلت منذ قليل.

ولقد أعلم - كما تعلمون - إضافةً إلى ما تقدّم، أنّ اللغة العربيّة اليوم تواجه عقبات شتّى، ويعتريها ضعف أو قصور في أمور كثيرة لا يسمح الوقت بالحديث عنها.

ولكنني أعني جيّدًا أنّ ما تصنعه الظروف والممارسات التاريخيّة قابل للتغيير، وليس قدرًا مقدورًا لا فكاك منه إلّا عند الذين ينظرون إلى التاريخ نظرة سكوّية لا تليق بإنسان مثقّف، فالتاريخ صيرورة مستمرة لا تعرف الثبات والسكون. ولعلّ جدارتنا بالإنسانيّة تتحدّد بمدى قدرتنا على التحدّي والتغيير.

ولعلّ «سليمان العيسى» خير شاهد على «الإنسان العربي» المؤمن بالصيرورة التاريخيّة، والمتمرّد على واقعه، والمتحدّي لشروطه التاريخيّة، والجدير بالإنسانية، والحالم -ككلّ المصلحين الكبار في التاريخ- بغدٍ أجمل وأكمل. لم يستطع الواقع الضيق الفقير أن يقيدّه يوماً، بل ظلّ يحلم بالممكن الرحب الغنيّ. وظلّ يلوذ بحلمه العربي الكبير كما يلوذ مقاتل عنيّد بسيفه وهو يوغل في الطّراد.

لست أدري لماذا تعاسرنى اللغة كلما هممت أن أحدثكم عن «أبي معن»؟ ولقد عاسرت اللغة وعاصت الشاعر الكبير «عبد العزيز المقالح» حين أراد أن يتحدّث عنه، فقال مخاطباً نفسه: (كيف تقف في السفح لتحدّث عن القمّة؟ وكيف تقف عند رمال الشاطئ لتصف البحر؟).

وأنا أسأل: كيف يمكن أن يتحدث إنسان في نفسه رسيس من الشكّ عن يقين جيل، وأحلام أمة جسدها «سليمان العيسى»؟ نحن في مرحلة تاريخية معقدة وشائكة يراجع فيها الوعي نفسه، فيطرح أسئلة على المأزوم من يقينه، فكيف يتحدث يقين مأزوم عن يقين راسخ تصونه وتقويه صلابة الروح؟ ثمّ عن أي «سليمان» أحدثكم؟ أحدثكم عن سليمان الإنسان المفعم بالإنسانية، والمملوء بدويّ التاريخ العربي؟ أم أحدثكم عن «سليمان» شاعر العروبة، وشاعر الكبار والأطفال، وصاحب الشعر (الحلمنتيشي) الساخر؟ أم أحدثكم عن «سليمان» المترجم، وعضو مجمع اللغة العربية؟ هل أحدثكم عن شعره ديواناً ديواناً، وعن الجوائز التي نالها؟ ما أصعب أن تختصر البحر في موجة، والغابة في شجرة، وسليمان العيسى في بُعد واحد من أبعاده الإنسانية والفنية الرحبة!!

لم تكن حارة بساتين العاصي في قرية النعيرية القريبة من أنطاكية التي ولد فيها سليمان العيسى عام ١٩٢١م تحلم يوماً أن تدخل التاريخ. ولا كان الشيخ أحمد العيسى، شيخ القرية ومعلمها وصاحب كُتابها الذي هو بيته، يحلم يوماً أن تردّد الجماهير في دنيا العرب قاطبة قول ابنه سليمان:

من المحيط الهادر

إلى الخليج الثائر

ليبك عبد الناصر

أو أن تردد قوله في ذكرى قيام الوحدة السورية المصرية:

سمراء صحرائي، ونسري أسمرُ ورسالتي ورق الخلود الأخضر

..... إلى أن يقول:

حُلم الثرى أن تستفيق حضارة ويجدد الدنيا نبي أسمر

ولعلّ سليمان نفسه لم يكن يحلم يوماً أن يكون شاعر العروبة الأول، والمعبر عن أحلام مرحلة النهوض العربي وأشواقها، وأن يكون معلّم الأجيال: كيف تحلم وكيف تغضب وكيف تحب؟ ولا يزال صوته العميق الساطع العصبيّ على اليأس يتردّد في مسامعنا.

ولد سليمان العيسى في أسرة رقيقة الحال، وتلمذ لأبيه، فحفظ القرآن الكريم، وديوان المتنبي، وعشرات القصائد من عيون الشعر العربي القديم والحديث. ثم أتمّ دراسته الابتدائية في أنطاكيّة، وكانت ثورة لواء الإسكندرون على الأتراك قد بدأت، فاشترك - وهو طفل - في مظاهرات الاحتجاج، وألقى بهذه المناسبة قصائد لفتت إليه الأنظار، ولا سيّما نظر زكي الأرسوزي الذي كان يشرف على نادي «العروبة» يومئذ.

ولم يلبث أن غادر اللواء في قافلة التشرّد الأولى، فأصبح طالباً في القسم الداخلي في تجهيز حماة. ثم تابع دراسته في اللاذقية ودمشق. وفي دمشق توطدت علاقته بالأستاذ زكي الأرسوزي، وبعدد من الشبان اللواتيين المهاجرين. وهؤلاء هم النواة الأولى التي أسّست حركة نضال قومي باسم «البعث». في عام ١٩٤٤م سافر إلى العراق في بعثة علمية، والتحق بدار المعلمين العالية ببغداد، ومنذ اليوم الأول في دار المعلمين التقى فتى ضامراً نحياً مثله قادماً من أبي الخصيب في البصرة اسمه: بدر شاكر السيّاب، الذي أصبح بعدئذ من أهمّ رواد الشعر العربي المعاصر. وبعد رجوعه من العراق استقرّ مدرّساً في حلب حتى عام ١٩٦٧م، وفي هذه الأثناء التقى رفيقة دربه وكفاحه الدكتورّة ملك أبيض. ثم انتقلت الأسرة الصغيرة إلى دمشق عام ١٩٦٧م، فعين موجّهاً أوّل للغة العربية في وزارة التربية، وعيّنت د. ملك مدرّسة في جامعة دمشق. وبعد أن أحيل على التقاعد تلقى دعوة

كريمة من د. عبد العزيز المقالح، رئيس جامعة صنعاء، ومؤسس الجامعات اليمنية قاطبة ما عدا جامعة عدن، فأجاب الدعوة هو ورفيقة دربه، واستقرّا في اليمن خمس عشرة سنة. وكانت هذه المرحلة أغنى مراحل حياته، وأغزرها شعراً. وفي عام ١٩٩٠م انتخب عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق. وظلّ فيها يحيا حياة بسيطة وادعة إلى أن أغمض عينيه إغماضتهما الأخيرة على أحلام من ورد ونار عام ٢٠١٣م.

كان سليمان العيسى أحد مؤسسي «اتحاد الكتاب العرب»، ورئيس تحرير مجلة «المعلم العربي» زمناً، ونال جوائز رفيعة أهمها: وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة، وشهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة صنعاء، وجائزة اللوتس، وجائزة شعر الأطفال، وجائزة مؤسسة البابطين للإبداع الشعري.

وكان يتقن اللغتين الفرنسية والإنجليزية، ويلمّ باللغة التركية. وقد ترجم مع رفيقة دربه د. ملك أبيض عدداً من روائع الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، وكانت تربطه صداقة بهؤلاء المبدعين، فترجم بالاشتراك مع د. ملك ديوان «الشقاء في خطر» لمالك حداد، ورواية «نجمة» لكاتب ياسين، وعدداً من مسرحياته، ومنها: «الأجداد يزدادون ضراوة» و«الجثة المطوّقة»، كما ترجم مئة قصيدة من روائع الشعر الحديث، ورواية «حارس الشيلم أو الشوفان» للكاتب الأمريكي (ج.د. سالنجر).

وترجم بالاشتراك مجموعة كبيرة من قصص الأطفال، أهمها: «روائع من أدب القارات الخمس للأطفال». وتُرجم بعض شعره إلى الإنجليزية.

لقد عاش «سليمان العيسى» تاريخ أمته يوماً يوماً، وناضل لتحقيق أحلامها نضالاً مريراً أدخله السجن عدة مرات، ولكنه استعصى على الوهن

والياس. ولم يُغوه المال، ولا بهرته الشهرة، فأنفق معظم عمره يعيش في قبوبين، أحدهما في حلب، والآخر في دمشق. وقد صور مدخل الثاني فقال: درجات عشر هبطن نزولاً هن مثل التمهيّد للأبدية ولقد تحدث الباحثون كثيراً عن بساطته ووداعته، وتواضعه. وأجمل ما قرأته عنه، وعرفته فيه عن قرب، هو قول ابنه «معن»:

«النادر في شخصية «سليمان العيسى» هو ذلك المزج العجيب بين «البساطة» التي تصل إلى حدّ البراءة المطلقة، وبين «العمق» الذي يجعل منه كنزاً معرفياً وإنسانياً وفلسفياً ولغوياً يسير على قدمين». ويضيف: «العمود الفقري، كما أراه أنا، لشخصية الوالد، أو هذا الشريان الذي غذى خلاياه بمزيج نادر من الأنفة والزهد الشخصيين، ومن الرغبة التي تصل إلى حدّ الطمع في تحقيق كل أمانيّ أمتنا العربية، ورغبات شعبنا في التوحد والتقدم والغنى. الزائر لمنزله البسيط في دمشق قد يكون فكرة عن قناعته وزهده، ولكن الناظر إلى واقع أمتنا العربية الحالي يعرف إلى أي حدّ «شديد الطمع» هو سليمان العيسى».

لقد درجنا في النقد المعاصر على القول: إن النقاد والمؤرّخين يتحدثون عن أسطورة الشخصية الإنسانية أكثر مما يتحدثون عن حقيقتها التاريخية. فهل يصحّ هذا القول على «سليمان العيسى»؟ أرجو ألا أكون مبالغاً إذا قلت: إن الفرق بين أسطورة سليمان العيسى وحقيقته التاريخية فرق طفيف جدّاً لا يكاد يرى. ولعل مفهومه للشعر وشعره خير شاهدين على ما أقول.

### مفهومه للشعر:

من المشكلات الأساسية التي تؤرق حياتنا النقدية المعاصرة مشكلة

«مفهوم الشعر»، ولا سيما بعد التحولات الضخمة التي طرأت على القصيدة العربية. وتدور هذه القضية في حدود ثلاث قضايا هي:

١- وظيفة الشعر، وهي تتصل اتصالاً وثيقاً بمفهوم «الرؤية أو الموقف».

٢- ماهية الشعر.

٣- أداة الشعر.

ومن هذه القضايا تنشأ أسئلة حول الشعر، أهمّها:

- ما العلاقة بين البنية والرؤية؟

إن الحياة هي مادة «الشعر» الغُفل (الخام) الأولى والأهم، ويضيف الشعراء إلى هذه المادة فهمهم لها، وموقفهم منه. إنهم يلقون على كواهل الموجودات مشاعرهم وأشواقهم ومخاوفهم ورؤاهم. والحياة هي أيضاً غاية الشعر، فليس في الشعر إلا قضايا الإنسان.

الشعر أصالة وإبداع، إنه معاناة للحياة، وهذا هو معنى الأصالة. وهو يقلق المتلقي، ويرجّ الثابت فيه، وهذا هو معنى الإبداع. فكيف فهم سليمان العيسى وظيفة الشعر، أو كيف عبّر شعره عن موقفه أو رؤيته للعالم؟

يقول: الشعر نبض الحياة العميق، وقمة كفاح الإنسانية. وحين قُدّر للكلمة أن تحمل جناحين أخذ الإنسان يحقق معناه، بدأ تاريخه الجميل. ولا أستطيع أن أتصور إنسانية بلا شعر. ألا يذكرنا هذا بقول أحد الفلاسفة: لولا الفن لكانت الحياة خطأ يصعب تصحيحه.

ويضيف سليمان: حملت القضية العربية كما تحمل جلدك، ولون عينيك.

الكلمة هي الإنسان.... إلى الجحيم كل كلمة لا يخرج من إهابها إنسان.

وإذن، إن وظيفة الشعر كما يراها «سليمان العيسى» هي قضية الإنسان

عامة، والإنسان العربي خاصة. وليذهب إلى الجحيم كل شعر لا يتحدث

عن قضايا الإنسان. ومن يقرأ شعر «سليمان» يعرف معرفة دقيقة أن جُلّه موقوف على قضايا أمته في كفاحها من أجل غد أكمل وأبهى. وقد تتغير الرؤية الشعرية، فنراه في مجموعاته الأخيرة «ثمالات» لا يكتفي بالحديث عن أمته، بل يضيف إليها شعراً وجدانياً مملوءاً بالألفة والحنين والشجن. وقد نراه قبل ذلك يتجه إلى الأطفال. أو إلى الشعر الساخر كما في «الديوان الضاحك» الذي يطلّ منه الهم القومي. ولكن هل ترى في هذا التغيير أمراً خارجاً عن قضايا الإنسان العربي؟ إن الرؤية الشعرية قد تتغير، ولكن القضية الشعرية تظل هي هي، إنها قضية الإنسان العربي في بحثه الدؤوب عن ذاته وأمته، وما يحدوه من شوق إلى وجود أكمل.

وقد صرّح سليمان بذلك، فقال: الشعر القومي يلقي بظلاله وألوانه على كل ما في الوجود من حولي، على كل ما يمرّ بي في الحياة... هذا الشعر القومي هو السمة الأولى لإنتاجي، والطابع المميّز لكل ما قلت، وما سأقول.

بعبارة واحدة: لقد كان سليمان العيسى أهمّ شاعر غنّي للعروبة والوحدة العربية. ولم يقع حدث ضخم في تاريخ العرب المعاصر لم يواكبه سليمان العيسى بشعره. فشعره النضالي هو الوثيقة الفنية لأحداث أمته. وكان إيمانه باللغة العربية راسخاً لا يتزعزع، ولكنه إيمان منفتح على روح العصر. يقول: أما اللغة... ففيها يكمن سرّ الشعر والشاعر. كنت وما زلت أعنى بالعبارة المشرقة الواضحة. ويردف «يجب أن يتجدّد التعبير كل يوم كما تتجدد الحياة، ولا حدود لهذا التجديد... ويجب أن يكون هذا التجديد إحياء لهذه اللغة مع المحافظة على أصولها وفروعها واشتقاقاتها وصرفها ونحوها، وبالتالي مع جذورها».

ثم يضيف: «الكلمة التي لا تخرج من كنفها المعجمي لتواجه الحياة

بجناحين قويين، وبكشف جديد، تسقط مكانها، حيث لا مسوّغ لوجودها، ولا للحديث عنها.... الكلمة مخلوق متمرد حين تصدر عن إنسان متمرد... هي - عندئذ - كالأنثى المتوحشة القادمة من غابات النفي».

لقد عرف عن «سليمان» عنايته الفائقة باختيار ألفاظ شعره. وقال الشاعر فاروق شوشة: «إن لغة سليمان العيسى لغة شعرية شديدة الصفاء والنقاء والتدفق، وإن نثره متوهج بكيمياء الشعر، نديّ بماء الشعر».

وما أكثر ما شكا الشعراء من الكلمات المسكونة بأصوات الآخرين!

وما أكثر ما بحثوا عن لغة عذراء لم يمسه الآخرون!

هل تسمحون لي أن أحول هذا الكلام كله إلى لغة نقدية؟ إن الشعراء هم ملوك الكلام حقاً، ولكنهم لا يخترعون ألفاظاً جديدة. والشعر لا يملك أداة خاصة به كالرسم والنحت والموسيقا... ولكنه يستخدم أداة عامة هي «اللغة» التي يستخدمها الناس في دنياهم. وهذا هو مصدر الشقاء والعبقرية معاً في إبداع الشعر على نحو ما نعرف من شقاء الفرزدق وغيره في إبداعهم. باقتضاب شديد: إن الشعراء يستخدمون هذه الأداة العامة «اللغة» بكيفية خاصة، ولا يكون ذلك إلا ببناء التراكيب، وعلى مستوى التركيب يتجلّى جوهر الشعر، وفيه يمارس الشاعر كل شعائره السحرية محاولاً أن يعيد إلى «اللغة» وظيفتها السحرية القديمة. فتشكيل الكلمات في تراكيب هو مبدع القصائد، وأما الأغراض الشعرية، والمحمولات الأخلاقية والاجتماعية والسياسية وسواها فلا علاقة لها بإبداع القصيدة. أريد أن أقول: إن الشعراء لا يخلقون ألفاظاً جديدة، ولا يبدعون قصائدهم بأغراض الشعر ومحمولاته، بل هم يخلقون علاقات لغوية جديدة، فتبدو اللفظة في المعجم غير مكافئة لنفسها في الشعر على نحو ما أشار سليمان العيسى بلا



زيادة ولا نقصان. وأذكر أنني سألته مرة: يا أبا معن ما الذي يعجبك في قول  
«بدوي الجبل» مخاطباً أبا العلاء:

يا ظالم التفاح في وجناتها لو ذقت بعض شمائل التفاح  
فصمت لحظة ثم قال: كلمة «شمائل» ههنا رائعة. قلت: فتح الله عليك،  
هذا ما كنت أبحث عنه.

ويتحدث «سليمان» عن موسيقا الشعر، فيقول: «أما الموسيقا فقد كنت  
وما زلت أراها أهم عنصر من عناصر الفن، ولا سيما في البيان العربي...  
«إن من البيان لسحراً». الموسيقا عصب الكلام الجميل... نشراً كان أو  
شعراً.. تبلغ ذروتها في الشعر».

إن الشعر في رأي «سليمان» إنشاد وغناء على نحو ما كان لدى العرب  
القدماء:

«تغنّ بالشعر إمّا أنت قائله إن الغناء لهذا الشعر مضمّار»  
«وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً»  
وبهذا الإنشاد أو الغناء يختلف الشعر العربي عن الشعر الفرنسي أو  
الإنجليزي الذي يقرؤه أهله كما يقرؤون أي أمر آخر، على نحو ما أخبره  
شاعر أجنبي صديق.

ويرى «سليمان» القافية قيّداً من ذهب، والقصيدة العمودية أشبه بفرس  
الجنّ. لا يستطيع أن يمتطي صهوتها إلا فارس من الجنّ، ولكنه كتب الشعر  
على وفق أنماط موسيقيّة شتى استغرقت - أو كادت - هندسة إيقاع الشعر  
العربي المعاصر.

لقد عرف الشعر العربي الحديث ظاهرة تستحق التأمل، هي ظاهرة  
الشعراء المناضلين، أو المناضلين الشعراء كمحمود الزبيري في اليمن،

ومفدي زكريا في الجزائر، وسميح القاسم في فلسطين، وسليمان العيسى في سورية، وسواهم. وكانت وظيفة الشعر في رأيهم وظيفة نضالية، يقاتلون به، ويرونه سلاحاً شديداً المضاء.

إنهم يرافقون بشعرهم الأحداث التاريخية لأوطانهم حدثاً حدثاً، ويسجلونها بعد أن يضيفوا عليها من ذواتهم عناصر عاطفية وعقلية وخيالية، فيتجلى فهمهم لها، ومواقفهم منه، ولعلّ هذا هو السبب الأول الذي طبع شعرهم بطوابع الصدق، والعفوية، والانفعالية، والوضوح والمباشرة، وعلوّ النبرة، ويتكشف بلاغي واضح. وهذه هي خصائص شعر «سليمان» النضالي، إن التفاعل بين الذات المبدعة وموضوعها هو جوهر «اللحظة الشعرية». وهذه اللحظة هي التي طبعت شعر «سليمان» بالطوابع التي ذكرتها. ولهذا السبب استعصى شعره على التصنيفات المدرسية، فرآه بعضهم رومانسياً، ورآه بعضهم واقعياً، ورآه آخرون أتباعياً (كلاسيكياً جديداً) ... والحقيقة أن هذه الملامح كلّها موجودة في شعره، ولكنه - وهذه حقيقة أيضاً - ليس رهينة لأي مذهب من هذه المذاهب. وهو يصريح بذلك، يقول: «ومررت في تجربتي بالمدارس الشعرية من الكلاسيكية إلى الرومانسية إلى الرمزية فالواقعية الجديدة... وكان لكل من هذه المدارس أثرها في كتاباتي... ومع هذا فقد بقيت تجربتي الشعرية تجربة عربية تضرب بجذورها في أعماق الصحراء، وتناهى أن تنزياً بغير زيّها العربي الأصيل».

ويفخر «سليمان» بخلوّ شعره من أية أسطورية يونانية على كثرة قراءاته، وانفتاحه على الآداب العالميّة (كالأدب الإنجليزي والفرنسي والألماني والأمريكي والإسباني والروسي). لقد تعدّدت مصادر شعره، ولكن الواقع العربي والتراث العربي هما أهم هذه المصادر. ومن يقرأ «ثمالاته» يكتشف

حضوراً كثيفاً للتراث فيها، ولكن ذلك كله يظلّ في حدود «الترميز» الساطع الخاطف البعيد عن تقنية «القناع» التي شاعت في الستينيات لسببين هما: الرغبة في التجريب بحثاً عن تقنيات شعرية جديدة، وحالة القمع السياسي التي دفعت الشعراء لبث آرائهم، والتعبير عن مواقفهم من وراء أقنعتهم الفنية على نحو ما نرى عند شعراء القناع كصلاح عبد الصبور والبياتي وآخرين كثيرين. ويظلم «سليمان العيسى» ظلماً فادحاً من يقرأ الرموز التراثية في شعره - وهي كثيرة جداً - بصفتها أقنعة فنية، فسليمان ليس شاعر قناع، ولا خطر بباله يوماً أن يكون كذلك.

ويرى بعض الباحثين أن وظيفة الشعر أو رسالته قد غلبت على فنّيته في شعره النضالي، وقد خامر «سليمان» نفسه إحساساً بذلك. قال: «صحيح أن الشاعر قد يضحّي بشيء من «فنيّة» القصيدة عندما يعيش في صميم الجماهير، في صميم الحدث، ولكنه مطالب أبداً بأن يحقق المعادلة الصعبة... أن يرقى بالناس إلى مستوى الجمال والفن، دون أن يضحّي بأحد طرفي المعادلة، وتلك هي المشكلة: ما أصعب أن يكون الإنسان شاعراً! وما أروع أن يكون!».

هذه هي ضريبة الإبداع، وهذه هي المعاناة الفدّة التي عاناها كبار شعراء العربية الذين كانوا يسهرون بأبواب القوافي، وربما جاء وقت كان فيه قلع ضرر من أضراسهم أيسر من قول بيت من الشعر. إن العبقرية مقترنة بالشقاء أبداً لا انفكاك لها عنه.

لقد قلت: إن في شعر «سليمان» النضالي تقشفاً بلاغيّاً واضحاً على نحو ما لاحظ الباحثون، فقد ظلّ خياله في حدود التشبيه والاستعارة والكنائية، ولم يخرج على الخيال البلاغي القديم. وحقاً إن الصورة ركيزة

أساسية من ركائز الشعر، ومفتاح ذهبي من مفاتيح أسرارهِ. ولكنها ليست كل هذه الأسرار، ولو كانت كذلك لسقط فنيًا كل شعر الحنين في الفتوح الشرقية في صدر الإسلام، وكثير جدًّا من الشعر العذري والشعر الوجداني، بل لسقط كثير من الشعر القديم عامة.

ما أودّ أن أقوله هو أن في الشعر «عناصر تعويضية» يعزّ حصرها، تعوّض عن غياب الصورة البلاغية الفدّة، وتجبر الصدوع الشعرية التي أحدثها التقشف البلاغي. ولعلّ قراءة أخرى لشعر سليمان النضالي في ضوء هذه الفكرة تعدّل قليلاً أو كثيراً آراء الباحثين في فنيّة هذا الشعر.

لقد كان «سليمان العيسى» شاعر مبدأً وقضية، ولم تكن العروبة في رأيه - كما يقول أنطون مقدسي - مفهوماً قابلاً للتحليل والمناقشة، أو أيديولوجياً تفرضها مرحلة تاريخية وتنتهي بانتهائها، أو فلسفة يناقشها. بل كانت وجوداً. وكان حالماً كبيراً، ولكن حلمه تصدّع وانكسر، فأجبره على مراجعة اختياره، والتساؤل عن مدى صوابه:

هل كان حلم العاشقين ضلالة؟ أم أننا خيط النهار الرائد؟  
ومنذ ذلك الحين حدثت انعطافة واضحة في شعره على نحو ما يتجلّى ذلك في «ثمالاته» إنها - كما يقول الشاعر عبد العزيز المقالح - «انعطافة نحو طريق آخر أحفل بالشعر الوجداني الهامس، مملوءة بالألفة والشجن والحنين». ويضيف: «تقترب هذه الثمالات من ذكريات الماضي في لغة هادئة عذبة، وفي أسلوب رائع قريب من لغة الحياة اليومية».

وتقول د. ملك أبيض: «كان الهمّ القومي يسيطر على كتاباته.... ولكن مرّ السنين أيقظ فيه شاعرية عميقة إزاء أشياء صغيرة لم يُعرها في الماضي الاهتمام الذي تستحقه. الثمالات حياة يومية، ومشاعر يومية، ونفثات يومية». وإذن لقد

تغيّرت موضوعات شعره تغيراً كبيراً، وحلّ محلّها: غيمة، مطر، الأشجار، الوعول، قطرة ندى، كلما دلف المساء، نافذة، شاعر وذئب، لمسة ودّ، أعشاب، الوردة.... إنها مفردات الحياة الصغيرة التي هي «لبّ الحياة». ورافق التحول إلى موضوعات جديدة تحوّل إلى رؤية شعرية جديدة، ولغة شعرية جديدة، وموسيقا شعرية جديدة، وإلى بوح إنساني صافٍ عميق، ومشاعر إنسانية حميمة يضيفها على موضوعاته كلها. ولنستمع إليه في ثمّالته «شاعر وذئب»:

خلعتني عشيرتي من جذوري

ورمت بي

إلى الفراغ الرهيب

موحشٌ موحشٌ نهاري وليلي

رابعٌ رابعٌ سُهادٌ وجيبي

أيها الذئب..

أنت أدنى إلى نبضي..

فقرب خطأك.. واسكن دبيبي

والتصق بي.. فربّما جمعتنا

وحشة الروح في الزمان الجديد

لقد كان من حسن طالع الشعر العربي أن الطفل الذي كان يلعب تحت شجرة التوت في حارة بساتين العاصي في النعيرية ظلّ طفلاً نابضاً بالحياة في أعماق سليمان العيسى، ولم يكبر، فظلّ يتعامل مع الحياة وأبنائها ببراءة وبساطة وعمق، وظلّ قادراً على الدهشة والانفعال والفرح، وعلى ابتكار الأحلام وصياغتها صياغة عليها ضوء الصدق واليقين. وظلّ قادراً على أن

يتعامل مع مفردات الكون معاملة سحرية. يقول:

أمدّ على السبعين ظلّ عباءتي وأدرج طفلاً في الحواكير يلعبُ  
 ويعرفني عشبُ الحديقة كلّهُ هو السرُّ.. عمرٌ بالطفولة معشبُ

لقد كان سليمان العيسى حالماً كبيراً ككل المصلحين والثوار في التاريخ، كان حامل قيم، وصانع قيم ولذا كان جديراً بالإنسانية. لقد أدرك أن في الدهر شراسةً ولياناً، ولكنه - على الرغم من ذلك - ظل يطير في أعقاب ذلك الزمن الذهبي النبيل الذي يحلم به.

هذا هو سليمان العيسى الذي نعمتُ بصحبته أوقاتاً قصيرة متباعدة بحكم الظروف، لكنها أوقات مفعمة بأريج الإنسان، عابقة بعبير الودّ، ثرية بأنوار المعرفة، تظللها دوحة الشعر بظلالها الوارفة.

\* \* \*

## من قرارات مجلس المجمع في الألفاظ والأساليب (\*)

(١٠٠)

«انقسم نصفين»، «انقسم إلى نصفين»

١ - المسألة:

يشيع في الاستعمال اللغوي قولهم: «ينقسم الناس إلى صالحين وطالحين»، و«ينقسم الشيء قسمين أو نصفين». ويخطئه بعضهم والصواب عنده: «ينقسم الناس على صالحين وطالحين لأن الفعل (انقسم) يتعدى بـ (على).

٢ - الاقتراح:

جواز قولهم: «ينقسم الناس إلى قسمين» و«ينقسم الشيء قسمين».

٣ - التعليل: أ - في المعاجم:

- اللسان: «قسم الشيء يقسمه قسماً فانقسم وقسمه جزأه».
- الوسيط: «انقسم الشيء تجزأ أجزاء . قسم الشيء: جزأه وجعله نصفين».

---

(\*) هذه قرارات مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق، وهي قابلة للتعديل في مؤتمر المجمع. (يرجى ممن له ملاحظات عليها أن يتفضل بإرسالها إلى المجلة).

## ب- في الاحتجاج:

- قال الشاعر دريد بن الصمة: ص ٢٦  
قَسَمْنَا بِذَاكَ الدَّهْرَ شَطْرَيْنِ قِسْمَةً      فَلَا يَنْقُضِي إِلَّا وَنَحْنُ عَلَى شَطْرٍ
- وقال ابن المقفع في كليله ودمنة ١/ ١٩: «ينبغي للناظر في هذا الكتاب أن يعلم أنه ينقسم إلى أربعة أغراض».

## ج- في الاستئناس:

- جاء في إعراب القرآن لابن سيده ٣/ ٤٣٨: «وإذا كان المراد به الجنس انقسم إلى الفريقين».
- وجاء في البحر المحيط لأبي حيان ١٦/ ٢٣٧: «أن الإنسان انقسم إلى هذين القسمين».
- ويشيع في العلوم قولهم - كما في المصطلحات العلمية والفنية ٣/ ٢١ - قولهم: «انقسام البيضة إلى خلايا كثيرة».

العضو: د. ممدوح خسارة

## ٤- قرار اللجنة:

جواز قولهم: «ينقسم الناس إلى قسمين» و«ينقسم الشيء قسمين» ونحوهما.

\* \* \*

(١٠١)

تأقلم

«تأقلم المهاجر مع بيئته الجديدة»

## ١- المسألة:

يشيع في الكتابة المعاصرة استعمال الفعل (أقلم) ومطاوعه (تأقلم)



بمعنى تطويع النفس للتواؤم مع الشيء وتعوّده. ولم يرد هذان البناءان من الفعل (قلم) في المعاجم.

## ٢- الاقتراح:

جواز قولهم: «تأقلم مع البيئة» ونحوه بمعنى تكيف وطوّع نفسه للتواؤم مع حالة ما أو ظرف ما، وإضافة هذه الدلالة إلى المعجم.

## ٣- التعليل: أ- في المعاجم:

- لسان العرب: «قَلَمَت الشيء: بَرَيْتَهُ.. وأقاليم الأرض: أقسامها، وواحد إقليم».
- الوسيط: «قَلَمَ العود ونحوه: قطع منه شيئاً، وقَلَمَ الظفر: قصّه.. والإقليم: منطقة من مناطق الأرض تكاد تتحد فيها الأحوال المناخية والنظم الاجتماعية».
- ويتضح من هذا أن هذين الفعلين (أقلمَ وتأقلمَ) لم يردا في المعاجم.

## ب- في الصرف:

يمكن أن يعدَّ الفعلان (أقلمَ وتأقلمَ) على بناءي (فعللَ وتفعللَ) مشتقين من الاسم (إقليم)، الذي هو أحد أقسام الأرض، أو منطقة تكاد تتحد فيها الأحوال المناخية أو النظم الاجتماعية، سواء أكان هذا الاسم عربياً أم معرباً. والمعروف أن العربية تجيز الاشتقاق من الأسماء الجامدة ثلاثية كانت أم غيرها عند الضرورة، فقد جاء في اللسان: «كَبُرَت الشيء إذا عالجه بالكبريت.. وكَرَسَعَه: إذا ضرب كُرسوعَه» ومطاوعهما تكبرت وتكرسع. وعلى هذا فإن قولهم: «أقلمَ نفسه» يعني جعلها متوائمة مع الإقليم أي الموضع والناحية التي يعيش فيها من حيث المناخ أو النظام.

ولا يشترط في مثل هذا الاشتقاق إلا الدلالة على الملابس. ومن نظائر ذلك ما جاء في تاج العروس (صهرج): «صهرج الحوض إذا طلاه» مع أن صهرج مشتق من الصهريج الذي هو مصنعة الماء أو الحوض، فالصهرجة هنا تعني الملابس فقط، كأنه قال: صهرج الحوض إذا طلاه كما يُطلق الصهريج، وليس معناه جعله كالصهريج لأن الحوض هو الصهريج. فما دامت المعاجم قد ذكرت الاسم الجامد (الإقليم)، وما دام الاشتقاق من الجوامد ثلاثية كانت أم غيرها جائزاً، وما دام بناء فعلل يعني فيما يعني الملابس، فإنه يصح قبول (أقلم) ومطاوعه (تأقلم) بمعنى لاءم نفسه مع ما يحيط به من أحوال مادية أو معنوية.

العضو: د. ممدوح خسارة

٤ - قرار اللجنة:

جواز قولهم: «تأقلم مع البيئة» ونحوه بمعنى تكيف وطوع نفسه للتواءم مع حالة ما أو ظرف ما، وإضافة هذه الدلالة إلى المعجم.

\* \* \*

(١٠٢)

أكثر من واحد

«غاب أكثر من واحد، وقرأت أكثر من كتاب»

١ - المسألة:

يخطئ بعضهم عبارة: «غاب أكثر من واحد أو قرأت أكثر من كتاب» لأن (أكثر) بناء تفضيل، وأنه لا تفضيل هنا.

## ٢- الاقتراح:

جواز قولهم: «غاب أكثر من واحد، أو قرأت أكثر من كتاب» وشبههما،  
بمعنى: غاب غير ما واحد، وقرأت غير ما كتاب.

## ٣- التعليل: أ- في المعاجم:

- الصحاح: «كره بعضهم بيع الرطاب أكثر من جَزَّة واحدة».
- اللسان: «قول الشافعي: أن يُعْرِي الرجل الرجلَ النخلةَ وأكثرَ من حائطه».

## ب- في الصرف والدلالة:

- لا يَتَحْتَمُّ أن يأتي بناء (أفعل) للتفضيل، فهو قد يأتي لغير التفضيل، وبه فسَّر جماعة قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] أي هو هيِّن، إذ المخلوقات كلها ممكنة وهيئة على الله سبحانه.

## ج- في الاستئناس:

أجازها محمد علي النجار في الأخطاء الشائعة ص ٣١ ردًّا على مَنْ كان خطأها.

العضو: د. ممدوح خسارة

## ٤- قرار اللجنة:

جواز قولهم: «غاب أكثر من واحد أو قرأت أكثر من كتاب» وشبههما،  
بمعنى: غاب غير ما واحد، وقرأت غير ما كتاب.

(١٠٣)

أَمَعَنَ النَّظَرَ

«أمعن النظر في المسألة»

١- المسألة:

يخطئ بعضهم عبارة «أمعن النظر»، لأن (أمعن) فعل لازم متعدّ بـ (في). والصواب عندهم «أمعن في النظر في المسألة» أو «أنعم النظر».

٢- الاقتراح:

جواز قولهم: «أمعن النظر» متعدياً بنفسه بمعنى (أنعم النظر).

٣- التعليل: أ- جاء في المعاجم:

- اللسان: «أمعنم في كذا أي بالغتم».

- التاج: «أمعن في الأمر: أبعد».

- الوسيط: «أمعن في الطلب: جدّ وبالغ، ويقال: أمعن في النظر».

ويُفهم من هذا أن الفعل (أمعن) جاء في المعاجم متعدياً بـ (في).

ب- ولكن مما ورد في كلام العرب:

- قول عمرو بن كلثوم:

وأما يوم لا نخشى عليهم فنُمعِنُ غارةً متلبّينا

- وقول عترة بن شداد:

ومدجج كره الكُماة نزاله لا ممعِنٍ هرباً ولا مستسلم

أي إن الفعل (أمعن) جاء متعدياً بـ (في) في المعاجم، ومتعدياً مباشرةً في الشعر العربي. وإذا لم تُحمل كلمة (غارةً وهرباً) في البيتين على أنهما مفعول به لـ (نمعن وممعن) فلا مناص من حملهما على النصب بنزع

الخافض. فإذا لم يُحمل نصب كلمة (النظر) في قولهم: «أمعن النظر في المسألة» على المفعولية فليُحمل على نزع الخافض كما في البيتين.

### ج- في الاستئناس:

- تكررت عبارة «أمعن النظر» في كتب ما بعد عصر الاحتجاج مئات المرات، وأهمها:
- تاج العروس / نطس: «وكذلك كلُّ من أمعن النظر في الأمور واستقصى عليها فهو متنطس».
- البحر الرائق في شرح كنز الدقائق للحنفي ١١٣/١٥.
- أسد الغابة لابن الأثير ٢٦٧/٢.
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢٣٧/٦.
- تاريخ ابن خلدون ١٤٨/٤.
- الكليات للكفوي ٣/٢.
- أقرها مجمع القاهرة في الألفاظ والأساليب ١٠٦/٢.

العضو: د. ممدوح خسارة

### ٤- قرار اللجنة:

جواز قولهم «أمعن النظر» متعدياً بنفسه.

\* \* \*

(١٠٤)

امتنان وممتنّ

### ١- المسألة:

يشيع في الاستعمال المعاصر كلمتا (امتنان وممتنّ) بمعنى شُكر

وشاكر في مثل قولهم: «أعبر عن امتناني لك»، أي عن شكري. ويخطئها بعضهم لأنه ليس لها هذا المعنى في المعاجم القديمة

## ٢- الاقتراح:

جواز قولهم: «امتنان ومُمتن» بمعنى شكر وشاكر.

## ٣- التعليل: أ- في المعاجم:

• جاء في التاج: «منَّ عليه: أنعم وأحسن.. ومنَّ عليه: اصطنع عنده صنيعه، مثل امتنَّ عليه. المنُّ: إحسان المحسن غير معتدِّ بالإحسان. منَّ فلان على فلان: إذا أثقله بنعمه الثقيلة. والممنون: الضعيف والقوي ضدُّ. والمَنَّان: المعطي ابتداءً، من أسماء الله تعالى. والمَنَّان: هو من لا يعطي شيئاً إلا مِنَّة واعتدَّ به على من أعطاه».

• في الوسيط: «منَّ عليه منَّا: أنعم عليه نعمة طيبة. منَّ الشيءُ: نَقَص. ومنَّ الأمرُ فلاناً: أضعفه. امتنَّ على فلان: آذاه بمنَّه. المِنَّة: الإحسان والإنعام. المَنَّان: الفَخُور على من أعطى حتى يفسد عطاءه. المَنَّان: الغامر العطاء، واسم من أسماء الله تعالى.

## ب- في الصرف:

(الامتنان) مصدر (امتنَّ) على وزن (افتعل). ومن معاني هذا البناء الاتخاذ نحو اختدم، والتصرف والاجتهاد نحو: اكتسب واعتمل، والمطاوعة نحو أضرمه فاضطرم. وبمعنى تفاعل نحو اضطربوا وتضاربوا، وبمعنى فعل نحو ارتقى ورقِّي، وبمعنى الإظهار في نحو اعتذر: أظهر العذر.

ويستنتج مما سبق:

لا خلاف في ورود (امتنَّ) ومصدره واسم الفاعل منه.

ما دام (افتعل) يمكن أن يفيد معنى الإظهار فيصح أن يكون الامتنان هو إظهار الإحسان والإنعام لصاحبه، فقولهم: «أنا ممتنُّ له» أي مظهرٌ لإحسانه وإنعامه.

إذا كان هذا التسويغ مؤدياً إلى أن (امتَنَ) صار من الأضداد، إذ يعني الإدلال بالنعمة والتفاخر بها كما يعني إظهار الشكر والحمد لمن أنعمَ وأحسنَ، فإن التضاد ظاهرٌ في مادة (مَنَ) ذلك أن (المَنَّان) هو من يُدُلُّ على من أعطى حتى يُفسد عطاءه، وهو أيضاً الغامر العطاء، وهو من أسماء الله تعالى، فكما حُمِلَ هذا المعنى على التضاد يمكن أن يحمل في (امتَنَ) على التضاد ليصبح للفعل معنيان: امتَنَ إذا مَنَّ وفخرَ مفسداً العطاء، وامتَنَ إذا أظهرَ المنعمَ عليه عطاء المُعطي وإنعامه للتعبير عن شكره إياه.

وما دام ورد: «مَنَّ فلان على فلان إذا أثقله بنعمه الثقيلة» وما دام امتَنَ بمعنى مَنَّ، فيمكن أن يكون المُمْتَنُّ «هو المثقل بالنعمة والعطاء» والإشعار بثقل نعم فلان وعطاءه هو شكرٌ له.

أجازها مجمع القاهرة في الألفاظ والأساليب ١٧٤ / ٣.

العضو: د. ممدوح خسارة

٤ - قرار اللجنة:

جواز قولهم: « امتنان ومُمتنَّ » بمعنى شُكرٍ وشاكرٍ.

\* \* \*

(١٠٥)

أنتج وإنتاج ومُنتجات

١ - المسألة:

يشيع في الاستعمال المعاصر قولهم: «أنتج المصنع بضاعة جيدة» أو

«تصدّر الدولة المنتجات الزراعية» أو «بلغ إنتاج البئر ألفي برميل». وغيرها من مشتقات الفعل (أنتج) بمعنى (أعطى) أو أثمر. وليس للفعل هذه الدلالة في معاجمنا القديمة.

## ٢- الاقتراح:

جواز استعمال (أنتج) ومشتقاتها بمعنى (أعطى أو أثمر).

## ٣- التعليل: أ- في المعاجم:

- اللسان: «تَجَّتْ الناقةُ أَنْتَجُهَا إذا وليتُ نِتاجها، فأنا ناتج، والناقة مُتَوَجَّة، والتَّاج اسمٌ يجمع وَضْع [ولادة] جميع البهائم.. ولا يقال: أَنْتَجْتُ الناقة إذا وضعت، ويقال: نِتَجْتُ الناقة فهي مُتَوَجَّة.. وَتَجَّتْ الناقة أَنْتَجها إذا وَلَدَتْها. أَنْتَجْتُ الحاملُ وبعضهم يقول: نَتَجْتُ.. وقال كراع مرّة: أَنْتَجْتُ الناقة وهي نَتُوج إذا ولدت».
- أساس البلاغة للزمخشري: «وَتَنَاتَجَتِ الإبل وَأَنْتَجَت: توالتت. وفي المثل: إن العجز والتواني تزأوجا وَأَنْتَجَا الفقر [وَلَدَا]».
- الوسيط: «نَتَجَ الناقة نَتَجاً وَنَتَاجاً: أولدها، فهو ناتج، والناقة مُتَوَجَّة.. وَأَنْتَجَ فلان الشيء: تولاه حتى أتى نِتاجه (مو). والمُتَوَجَّة: الأشياء المستثمرة ج. مُتَوَجَّات. النِّتَاج والنتيجة: ثمرة الشيء (مو)».

## ب- في الصرف:

جعل أحمد بن يحيى ثعلب الفعل (نتج) من باب ما لا يُتكلّم به إلا على الصيغة الموضوعية للمفعول.. وقال الجوهري: نُتِجَتِ الناقة على ما لم يُسمَّ فاعله، تُنتِج نِتَاجاً، كما في اللسان والصحاح.

ولكن لا شيء يمنع من استعمال هذا الفعل مبنياً للمعلوم ما دام قد



ورد: «والنَّتُوج من الخيل وجميع الحافر الحامل، وقد أنتجت وبعضهم يقول نتجت».

يفهم من هذا أن نتج وأنتج جاءا بمعنى ولد، فلا مشاحة في استعمال الفعل مبنياً للمعلوم، وهي الصيغة الفاشية اليوم في الكتابة.

### ج- في الدلالة:

يستعمل المعاصرون اليوم (أنتج) بمعنى (أعطى) كما في قولهم: «أنتج الحقل عشرين قنطاراً من القمح» أو «أنتجت الشركة أصنافاً جديدة من الملابس». وهذه الدلالة قريبة من المعنى التراثي، وهو الولادة، لأن الولادة عطاء، وهي قريبة أيضاً من معنى الإثمار بحسب ما ورد في المعاجم الحديثة من أن المنتوجة هي الأشياء المستثمرة. فإذا صحَّ (أنتج) بمعنى أعطى أو أثمر صحَّ قول المحدثين السابق.

### د- في الاستئناس:

أجازها مجمع القاهرة في الألفاظ والأساليب ٢/ ٢٥٩.

تكررت كلمة أنتج في مؤلفات قديمة وحديثة آلاف المرات، أهمها:

- رسائل ابن حزم الأندلسي ٤/ ٢٥١: «أنتج ذلك بطلان كل قسم».
- البرهان للزركشي ٢/ ٨٧ و ٣/ ٣٥١: «أنتج الأمر عكسه».
- الذخيرة لشهاب الدين القرافي ٥/ ٤٥: «قال أبو الطاهر: أنتج قوله وقول فضل الخلاف في علم أحد المتبايعين».
- التحرير والتنوير لابن عاشور ٦/ ٩٢: «فأول التفكير أنتج لهم أن المخلوقات لم تُخلق باطلاً».

العضو: د. ممدوح خسارة

٤ - قرار اللجنة:

جواز استعمال (أَنْتَجَ) و(المُتَّجَات) ومشتقاتها بمعنى (أعطى أو أثمر)، وتضاف هذه الدلالة إلى دلالة الفعل في المعجم.

\* \* \*

(١٠٦)

الأنشطة

١ - المسألة:

يخطئ بعضهم استعمال كلمة «الأنشطة» جمعاً لـ (نشاط)، لأن (النشاط) مصدر، والأصل فيه ألا يثنى ولا يُجمع لأنه يدل على القليل والكثير، وجمعه على (أفَعلة) غير مسموع.

٢ - الاقتراح:

جواز استعمال كلمة «الأنشطة» جمعاً لـ (نشاط).

٣ - التعليل:

تستعمل كلمة «الأنشطة» جمعاً لـ (نشاط) في كتب التربية والتعليم خصوصاً وفي اللغة المعاصرة، في الصحف والمجلات، عموماً. وكان هناك مَنْ منع استعمال هذا الجمع بحجة أن (النشاط) مصدر، والأصل فيه ألا يثنى ولا يُجمع لأنه يدل على القليل والكثير، ثم إن جمعه على (أفَعلة) غير مسموع.

وتسويغ استعمال هذا الجمع أن من المعروف أنه يجوز جمع المصدر إذا تعددت أنواعه، والنشاط متعدد الأنواع، وقد ذكر سيبويه (٣ / ٤٠١) «أن العرب قد تجمع المصادر فيقولون: أمراض وأشغال وعقول».

وقد ذكر الأستاذ علي النجدي ناصف أن (أنشطة) على وزن (أفَعلة)،

وهو وزن مطّرد في كل اسم رباعي مذكر قبل آخره مدّ مثل: زمان وأزمنة. وقد اجتمعت هذه الشروط في كلمة (نشاط)، فجمعها على (أنشطة) قياس لا مأخذ عليه. العضو: د. ممدوح خسارة

٤- قرار اللجنة:

جواز استعمال كلمة «الأنشطة» جمعاً لـ (نشاط).

\* \* \*

(١٠٧)

اسْتَهْتَرَ وَمُسْتَهْتِر

١- المسألة:

يشيع في الاستعمال كلمة: (استهتر) بالبناء للمعلوم، ومنها اسم الفاعل: (مستهتر) ويخطئها بعضهم، والصواب عندهم: (استهتر) بالبناء للمجهول، ومنها اسم الفاعل: (مستهتر) كما ورد في اللغة.

٢- الاقتراح:

جواز قولهم: «استهتر، مُستهتر» بالبناء للمعلوم.

٣- التعليل: أ- في المعاجم:

«هتّره يهتّره هتراً إذا مزّق عرضه، والهتّر ذهاب العقل، وقد أهتّر الرجل فهو مهتّر: فقد عقله من كبر أو مرض أو حزن، وأهتّر إذا أولع بالقول في الشيء، والمستهتّر بالشيء: المولع به، واستهتّر بفلانة وأهتّر بها: لا يبالي فيما قيل فيه لأجلها. وقد نصّ التاج على شذوذ مهتّر من الفعل أهتّر وألحقه بمسهب ومحصن ومفلج..

والأصل في الأفعال أن تكون مبنية للمعلوم، فإذا ورد فعل بالبناء

للمجهول سماعاً لسبب، فما المانع أن يُستعمل على الأصل ما دام المعنى المعبر به عنه ذا صلة بالمعنى الأصلي؟ وقد أجاز أحد اللغويين العدول من يُهرع المسموعة إلى يهرع المستعملة، ثم إن هناك فرقاً معنوياً، فاستعمال الفعل بالبناء للمجهول يعني أن هناك مجهولاً جعل الفاعل يُهرع ويُستهتر، فكأن الفاعل أضحي مفعولاً حقيقياً لفاعل خفي، ولكن إذا كان الفاعل يقوم بالاستهتار بإرادته فما المانع من استعمال الفعل مبنياً للمعلوم وإسناده إلى فاعله الحقيقي كما هو الأصل؟ من باب معاودة أصل مهجور.

ب- في الاستثناس:

- أجازها مجمع القاهرة في الألفاظ والأساليب ٣/ ١٧٩.

العضو: د. ممدوح خسارة

٤- قرار اللجنة:

جواز قولهم: « استهتر، فهو مستهتر » بالمعلوم، والأولى الالتزام بالبناء

للمجهول.

\* \* \*

**الكتب والمجلات المهداة  
إلى مكتبة مجمع اللغة العربية  
في الربع الأول من عام ٢٠١٧م**

أ. أنور درويش<sup>(\*)</sup>

**أ - الكتب العربية**

- ١- أحاديث حول اللامرئي : جان أودوز، جان كارير، ميشيل كاسيه، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٠ .
- ٢- الأصول في معرفة حقوق الرسول ﷺ: محمد غسان الجبان، دار أفنان، دمشق، ٢٠١٧ .
- ٣- الإمام محمد الخضر حسين وجهوده اللغوية القياس في اللغة العربية أنموذجاً: كمال مجيدي، دار النوادر اللبنانية، بيروت، ٢٠١٤ .
- ٤- التأثير الآرامي في الفكر العربي: محمد عبد الحميد الحمد، دار الطليعة الجديدة، دمشق، ١٩٩٩ .
- ٥- تاريخ الفنون والصناعات الدمشقية : توفيق يوسف بولاد، ترجمة، إلياس بولاد، ألف باء الأديب، دمشق، ٢٠٠٣ .

---

(\*) أمين المكتبة العربية في المجمع.

- ٦- الرياضيات والشكل الأمثل: ستيفان هيلدبرانت، أنتوني ترومبا، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ٢٠٠٠.
- ٧- غرفة تجارة دمشق توثيق لتاريخ حافل منذ العام ١٨٣٠م، تقديم: محمد غسان القلاع، غرفة تجارة دمشق، ٢٠١٦.
- ٨- الفوضى والحتمية: داهان دالمديكو، ج. ل شابير، ك. شملا، ترجمة: هاني حداد، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٢، (سلسلة الدراسات الفلسفية؛ ٥٠).
- ٩- ماهو العلم؟: آلان ف. شالمرز، ترجمة: لطيفة ديب عنروق، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٧، (دراسات فكرية؛ ٣٤).
- ١٠- مختارات من الجغرافيا الرياضية والكرتوغرافيا عند العرب والمسلمين واستمرارها في الغرب: فؤاد سزكين، نقلها إلى الألمانية: مازن عماوي، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ألمانيا، ٢٠٠٠.
- ١١- المعجم في الكلمات القرآنية وفق ترتيب السور: زين العابدين التونسي، اعتنى به: علي الرضا الحسيني، دار الفارابي، دمشق، ٢٠١٠.
- ١٢- مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية: مصطفى الأعظمي، عماد الدين خليل، جعفر إدريس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٥، الجزء الأول.

## أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق في مطلع عام (١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م)

### أ - الأعضاء

#### تاريخ دخول المجمع

- ٢٠٠٨ الدكتور محمد محفل  
٢٠٠٨ الدكتور عيسى العاكوب  
٢٠٠٨ الدكتورة لبانة مشوح  
٢٠٠٨ الدكتور عبد الإله نبهان  
٢٠١٠ الدكتور هاني رزق  
٢٠١٠ الدكتور أحمد قدور  
٢٠١٠ الدكتور محمد سعيد الصفدي  
٢٠١٦ الدكتور وهب رومية  
٢٠١٦ الدكتور رفعت هزيم  
٢٠١٦ الدكتور عبد الناصر عساف  
٢٠١٦ الدكتور عبود السراج  
٢٠١٦ الدكتور محمد طيب تيزيني

#### تاريخ دخول المجمع

- ١٩٧٦ الدكتور محمد هيثم الخياط  
١٩٧٩ الدكتور محمد مروان المحاسني  
«رئيس المجمع»  
٢٠٠١ الدكتور محمود السيد  
«نائب رئيس المجمع»  
٢٠٠١ الدكتور محمد مكّي الحسني  
«أمين المجمع»  
٢٠٠٢ الدكتور موفق دعبول  
٢٠٠٦ الدكتور مازن المبارك  
٢٠٠٨ الدكتور أنور الخطيب  
٢٠٠٨ الدكتور ممدوح خسارة  
٢٠٠٨ الأستاذ مروان البواب  
٢٠٠٨ الدكتور عمر شابسيغ

## ب - الأعضاء المرسلون في البلدان العربية (\*)

تاريخ دخول المجمع

- الدكتور عبد اللطيف عبيد ٢٠٠٢  
الجمهورية الجزائرية
- الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ١٩٧٢
- الدكتور عبد الملك مرتاض ٢٠٠٢
- الدكتور العربي ولد خليفة ٢٠٠٢
- الدكتور صالح بلعيد ٢٠٠٧
- الدكتور عثمان السعدي ٢٠١٥  
المملكة العربية السعودية
- الدكتور أحمد محمد الضبيب ٢٠٠٠
- الدكتور عبد الله صالح العثيمين ٢٠٠٠
- الدكتور عبد الله الغدامي ٢٠٠٠
- الدكتور عبد الله بن الرحيم عسيلان ٢٠٠٧  
جمهورية السودان
- الأستاذ علي أحمد بابكر ٢٠٠٧  
«رئيس المجمع»

تاريخ دخول المجمع

- المملكة الأردنية الهاشمية
- الدكتور عبد الكريم خليفة ١٩٨٦  
«رئيس المجمع»
- الدكتور محمود السمرة ١٩٨٦
- الدكتور عدنان بنخيت ٢٠٠٢
- الدكتور علي محافظة ٢٠٠٢
- الدكتور سمير الدروبي ٢٠١٥  
الجمهورية التونسية
- الدكتور رشاد حمزاوي ١٩٨٦
- الأستاذ أبو القاسم محمد كرو ١٩٩٣
- الدكتور إبراهيم شيوخ ١٩٩٣
- الدكتور إبراهيم بن مراد ١٩٩٣
- الدكتور عبد الوهاب بوحدية ٢٠٠٠  
«رئيس بيت الحكمة»
- الدكتور عبد السلام المسدي ٢٠٠٢

(\*) ذكرت الأقطار وفقاً للترتيب الهجائي، والأسماء وفقاً للترتيب الزمني.



تاريخ دخول المجمع

- الدكتور عبد الحلیم منصور ٢٠٠٧  
 الدكتور عماد الصابوني ٢٠٠٧  
 الدكتورة أسيدة بشير شهنذر ٢٠١٥  
 الدكتور عبد الجبار الضحاك ٢٠١٥  
 الدكتور عدنان بركة ٢٠١٥  
 الدكتور عقيل المرعي ٢٠١٥  
 الدكتور فاير الداية ٢٠١٥  
 الدكتور فيصل الحفيان ٢٠١٥  
 الدكتور قاسم سارة ٢٠١٥  
 الدكتور محمد عبدو فلفل ٢٠١٥  
 الأستاذ محمد عدنان سالم ٢٠١٥  
 الدكتورة منى إلياس ٢٠١٥  
 الدكتور ميخائيل معطي ٢٠١٥  
 الجمهورية العراقية  
 الدكتور ناجح الراوي ٢٠٠٠  
 الدكتور أحمد مطلوب ٢٠٠٠  
 «رئيس المجمع»  
 الدكتور محمود حياوي حماش ٢٠٠٢  
 الدكتور بشار عواد معروف ٢٠٠٢

تاريخ دخول المجمع

- الدكتور حسن بشير صديق ٢٠١٥  
 الدكتور وافي صلاح الدين حاج ماجد ٢٠١٥  
 الجمهورية العربية السورية  
 الدكتور عمر الدقاق ١٩٩٢  
 الدكتور أحمد دهمان ٢٠٠٠  
 الدكتور عدنان حموي ٢٠٠٠  
 الدكتور عدنان درويش ٢٠٠٠  
 الدكتور محمد مراياتي ٢٠٠٠  
 الدكتور رضوان الداية ٢٠٠٢  
 الدكتور صلاح كزاره ٢٠٠٢  
 الدكتور عبد الكريم رافق ٢٠٠٢  
 الدكتور علي أبو زيد ٢٠٠٢  
 الدكتور علي عقلة عرسان ٢٠٠٢  
 الدكتورة فتن محجازي ٢٠٠٢  
 الدكتور محمد حسان الطيان ٢٠٠٢  
 الدكتور محمود الربداوي ٢٠٠٢  
 الدكتور يحيى مير علم ٢٠٠٢  
 الدكتور أحمد الحاج سعيد ٢٠٠٧  
 الدكتور صادق فرعون ٢٠٠٧

تاريخ دخول المجمع

- جمهورية مصر العربية
- ١٩٨٦ الدكتور رشدي الراشد
- ١٩٨٦ الأستاذ وديع فلسطين
- ١٩٩٣ الدكتور محمود علي مكّي
- ١٩٩٣ الأستاذ مصطفى حجازي
- ١٩٩٣ الأستاذ محمود فهمي حجازي
- ٢٠٠٠ الدكتور جابر عصفور
- ٢٠٠٢ الدكتور حسين نصار
- ٢٠٠٠ الدكتور عبد الحافظ حلمي
- ٢٠٠٢ الدكتورة وفاء كامل فايد
- ٢٠٠٧ الدكتور نبيل علي
- ٢٠١٥ الدكتور صلاح فضل
- المملكة المغربية
- ١٩٨٦ الدكتور محمد بن شريفة
- ١٩٩٣ الدكتور عباس الجراري
- ٢٠٠٠ الدكتور عبد اللطيف بريش
- ٢٠٠٢ الأستاذ عبد القادر زمامة
- ٢٠٠٢ الدكتور الشاهد البوشيخي
- الجمهورية العربية اليمنية
- ٢٠٠٠ الدكتور عبد العزيز مقالح

تاريخ دخول المجمع

- ٢٠٠٧ الدكتور داخل حسن جريو
- ٢٠٠٧ الدكتور علي القاسمي
- ٢٠٠٧ الدكتور صلاح مهدي الفرطوسي
- ٢٠١٥ الدكتور مسارع الراوي
- فلسطين
- ٢٠٠٧ الدكتور أحمد حسن حامد
- «رئيس المجمع»
- الكويت
- ١٩٩٣ الدكتور عبد الله غنيم
- ٢٠٠٠ الدكتور علي الشمالان
- ٢٠٠٠ الدكتور سليمان العسكري
- ٢٠٠٠ الدكتور سليمان الشطي
- ٢٠٠٢ الأستاذ عبد العزيز البابطين
- الجمهورية اللبنانية
- ١٩٧٢ الدكتور فريد سامي الحداد
- ٢٠٠٠ الدكتور عز الدين البدوي النجار
- ٢٠٠٢ الدكتور جورج عبد المسيح
- الجمهورية العربية الليبية
- ١٩٩٣ الدكتور محمد أحمد الشريف

## ج - الأعضاء المرسلون في البلدان الأخرى

تاريخ دخول المجمع

٢٠٠٢ الدكتور فتحي مهدي

٢٠٠٢ الدكتور محمد أرناؤوط

## تركية

١٩٧٧ الدكتور فؤاد سزكين

١٩٨٦ الدكتور إحسان أكمل الدين أوغلو

## رومانية

٢٠٠٢ الدكتور نقولا دويرشيان

## الصين

١٩٨٥ الأستاذ عبد الرحمن ناجونغ

٢٠٠٧ الدكتورة أمل قوه شوه هوه

## فرنسة

١٩٨٦ الأستاذ أندره ميكيل

١٩٩٣ الأستاذ جاك لانغاد

١٩٩٣ الأستاذ جورج بوهاس

١٩٩٣ الأستاذ جيرار تروبو

## الهند

٢٠٠٢ الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاح

تاريخ دخول المجمع

## أزبكستان

١٩٩٣ الدكتور نعمة الله إبراهيموف

## إسبانية

١٩٩٢ الدكتور خيسوس ريو ساليديو

## ألمانية

١٩٩٢ الدكتور رودلف زهايم

٢٠٠٢ الدكتور فولف ديتريش فيشر

## إيران

١٩٨٦ الدكتور فيروز حريرجي

١٩٨٦ الدكتور محمد باقر حجتي

١٩٨٦ الدكتور مهدي محقق

٢٠٠٢ الدكتور محمد علي آذر شب

٢٠٠٢ الدكتور محمد علي التسخيري

٢٠٠٢ الدكتور محمد مهدي الآصفي

## باكستان

١٩٩٣ الدكتور أحمد خان

## البوسنة والهرسك

٢٠٠٢ الدكتور أسعد دراكوفيتش

## أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

### أ- رؤساء المجمع الراحلون

مدة تولّيه رئاسة المجمع	رئيس المجمع
(١٩١٩ - ١٩٥٣)	الأستاذ محمد كرد علي
(١٩٥٣ - ١٩٥٩)	الأستاذ خليل مردم بك
(١٩٥٩ - ١٩٦٨)	الأمير مصطفى الشهابي
(١٩٦٨ - ١٩٨٦)	الدكتور حسني سبح
(١٩٨٦ - ٢٠٠٨)	الدكتور شاكر الفحام



## أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

### ب- الأعضاء الراحلون

الوفاة	الوفاة
١٩٥١	الدكتور جميل الخاني
١٩٥٢	الأستاذ محسن الأمين
١٩٥٣	الأستاذ محمد كرد علي
	«رئيس المجمع»
١٩٥٥	الأستاذ سليم الجندي
١٩٥٥	الأستاذ محمد اليزم
١٩٥٦	الشيخ عبد القادر المغربي
	«نائب رئيس المجمع»
١٩٥٦	الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف
١٩٥٩	الأستاذ خليل مردم بك
	«رئيس المجمع»
١٩٦١	الدكتور مرشد خاطر
١٩٦٢	الأستاذ فارس الخوري
١٩٦٦	الأستاذ عز الدين التنوخي
	«نائب رئيس المجمع»
١٩٢٠	الشيخ طاهر السمعوني الجزائري
١٩٢٦	الأستاذ إلياس قدسي
١٩٢٨	الأستاذ سليم البخاري
١٩٢٩	الأستاذ مسعود الكواكبي
١٩٣١	الأستاذ أنيس سلوم
١٩٣٣	الأستاذ سليم عنحوري
١٩٣٣	الأستاذ ميري قندلفت
١٩٣٥	الشيخ سعيد الكرمي
١٩٣٦	الشيخ أمين سويد
١٩٣٦	الأستاذ عبد الله رعد
١٩٤١	الشيخ عبد الرحمن سلام
١٩٤٣	الأستاذ رشيد بقدونس
١٩٤٥	الأستاذ أديب التقي
١٩٤٥	الشيخ عبد القادر المبارك
١٩٤٨	الأستاذ معروف الأرناؤوط

الوفاة	الوفاة
١٩٨٦ الدكتور حسني سبوح «رئيس المجمع»	١٩٦٨ الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي «رئيس المجمع»
١٩٨٨ الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٧٠ الأمير جعفر الحسيني
١٩٩٢ الأستاذ أحمد راتب النفاخ	«أمين المجمع»
١٩٩٢ الأستاذ المهندس وجيه السمان	١٩٧١ الدكتور سامي الدهان
١٩٩٥ الدكتور عدنان الخطيب «أمين المجمع»	١٩٧٢ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
١٩٩٩ الدكتور مسعود بوبو	١٩٧٥ الأستاذ عارف النكدي
٢٠٠٠ الدكتور محمد بديع الكسم	١٩٧٦ الأستاذ محمد بهجة البيطار
٢٠٠١ الدكتور أمجد الطرابلسي	١٩٧٦ الدكتور جميل صليبا
٢٠٠٢ الدكتور مختار هاشم	١٩٧٩ الدكتور أسعد الحكيم
٢٠٠٢ الدكتور عبد الوهاب حومد	١٩٨٠ الأستاذ شفيق جبيري
٢٠٠٢ الدكتور عادل العوا	١٩٨٠ الدكتور ميشيل الخوري
٢٠٠٥ الأستاذ محمد عاصم بيطار	١٩٨١ الأستاذ محمد المبارك
٢٠٠٦ الدكتور عبد الحلیم سويدان	١٩٨٢ الدكتور حكمة هاشم
٢٠٠٧ الدكتور محمد عبد الرزاق قدورة	١٩٨٥ الأستاذ عبد الكريم زهور عدي
٢٠٠٨ الدكتور شاكر الفحّام «رئيس المجمع»	١٩٨٥ الدكتور شكري فيصل «أمين المجمع»
٢٠٠٨ الدكتور عبد الكريم اليافي	١٩٨٦ الدكتور محمد كامل عياد

<u>الوفاة</u>	<u>الوفاة</u>
٢٠١٣	الأستاذ جورج صدقني
٢٠١٣	الدكتور محمد زهير البابا
٢٠١٥	الدكتور عبد الله واثق شهيد
٢٠١٦	الأستاذ شحادة الخوري
	«عضو شرف»
	٢٠١٢
	الدكتور محمد إحسان النص
	٢٠١٢
	الدكتور محمد عزيز شكري



## ج - الأعضاء المراسلون الراحلون من الأقطار العربية

الوفاة

- الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي ١٩٦٥  
 محمد العيد محمد علي خليفة ١٩٧٩  
 الأستاذ مولود قاسم ١٩٩٢  
 الأستاذ صالح الخرفي ١٩٩٨  
 الدكتور أبو القاسم سعد الله ٢٠١٣  
 الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ٢٠١٧  
 المملكة العربية السعودية  
 الأستاذ خير الدين الزركلي ١٩٧٦  
 الأستاذ عبد العزيز الرفاعي ١٩٩٣  
 الأستاذ حمد الجاسر ٢٠٠٠  
 الأستاذ حسن عبد الله القرشي ٢٠٠٤  
 الأستاذ عبد الله بن خميس ٢٠١١  
 الدكتور عوض القوزي ٢٠١٣  
 جمهورية السودان  
 الشيخ محمد نور الحسن ١٩٧٠  
 الدكتور محيي الدين صابر ٢٠٠٣  
 الدكتور عبد الله الطيب ٢٠٠٣  
 الأستاذ حسن فاتح قريب الله ٢٠٠٥  
 الأستاذ سر الختم الخليفة ٢٠٠٦

الوفاة

- المملكة الأردنية الهاشمية  
 الأستاذ محمد الشريقي ١٩٧٠  
 الدكتور محمود إبراهيم ١٩٩٩  
 الدكتور سامي خلف حمارنة ٢٠١٠  
 الدكتور ناصر الدين الأسد ٢٠١٥  
 الدكتور نشأت حمارنة ٢٠١٧  
 الجمهورية التونسية  
 الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب ١٩٦٨  
 الأستاذ محمد الفاضل بن عاشور ١٩٧٠  
 الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور ١٩٧٣  
 الأستاذ عثمان الكعاك ١٩٧٦  
 الدكتور سعد غراب ١٩٩٥  
 الدكتور سليم عمّار ١٩٩٩  
 الدكتور محمد السويسي ٢٠٠٧  
 الدكتور صالح الجابري ٢٠٠٩  
 الأستاذ محمد المزالي ٢٠١٠  
 الدكتور محمد الحبيب بلخوجة ٢٠١٢  
 الجمهورية الجزائرية  
 الشيخ محمد بن أبي شنب ١٩٢٩



<u>الوفاة</u>	<u>الوفاة</u>
الأستاذ محمد سليمان الأحمد ١٩٨١	الجمهورية العربية السورية
«بدوي الجبل»	الدكتور صالح قنباز ١٩٢٥
الأستاذ عمر أبو ريشة ١٩٩٠	الأب جرجس شلحت ١٩٢٨
الدكتور شاكر مصطفى ١٩٩٧	الأب جرجس منش ١٩٣٣
الدكتور قسطنطين زريق ٢٠٠٠	الأستاذ جميل العظم ١٩٣٣
الدكتور خالد الماغوط ٢٠٠٠	الشيخ كامل الغزي ١٩٣٣
الأستاذ عبد المعين الملوحي ٢٠٠٦	الأستاذ جبرائيل رباط ١٩٣٥
الدكتور عبد السلام الترماني ٢٠٠٦	الأستاذ ميخائيل الصقال ١٩٣٨
الدكتور عبد السلام العجيلي ٢٠٠٦	الأستاذ قسطنطين الحمصي ١٩٤١
الدكتور عبد الله عبد الدايم ٢٠٠٨	الشيخ سليمان الأحمد ١٩٤٢
الدكتور صلاح الدين المنجد ٢٠١٠	الشيخ بدر الدين النعساني ١٩٤٣
الدكتور عدنان تكريتي ٢٠١١	الأستاذ ادوارد مرقص ١٩٤٨
الأستاذ مدحة عكاش ٢٠١١	الأستاذ راغب الطباخ ١٩٥١
البطيريك مار أغناطيوس ٢٠١٤	الشيخ عبد الحميد الجابري ١٩٥١
زكا الأول عيواص	الشيخ محمد زين العابدين ١٩٥١
الدكتور برهان العابد ٢٠١٤	الشيخ عبد الحميد الكيالي ١٩٥٦
الدكتور عمر موسى باشا ٢٠١٦	الشيخ محمد سعيد العرفي ١٩٥٦
الأستاذ محمود فاخوري ٢٠١٦	البطيريك مار اغناطيوس افرام ١٩٥٧
الدكتور صادق فرعون ٢٠١٧	المطران ميخائيل بنخاش ١٩٥٨
الجمهورية العراقية	الأستاذ نظير زيتون ١٩٦٧
الأستاذ محمود شكري الألوسي ١٩٢٤	الدكتور عبد الرحمن الكيالي ١٩٦٩

الوفاة

- الأستاذ أحمد حامد الصراف ١٩٨٥  
 الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى ١٩٨٨  
 الدكتور جميل سعيد ١٩٩٠  
 الأستاذ كوركيس عواد ١٩٩٢  
 الشيخ محمد بهجة الأثرى ١٩٩٦  
 الأستاذ محمود شيت خطاب ١٩٩٨  
 الدكتور فيصل دبوب ١٩٩٨  
 الدكتور إبراهيم السامرائى ٢٠٠١  
 الدكتور محمد تقي الحكيم ٢٠٠٢  
 الدكتور صالح أحمد العلي ٢٠٠٣  
 الدكتور عبد العزيز البسام ٢٠٠٥  
 الدكتور جميل الملائكة ٢٠٠٥  
 الدكتور عبد اللطيف البدرى ٢٠٠٦  
 الدكتور حسين علي محفوظ ٢٠٠٩  
 الدكتور عبد العزيز الدوري ٢٠١٠  
 الدكتور محمود الجليلي ٢٠١١  
 الأستاذ هلال ناجي ٢٠١١  
 الدكتور يوسف عز الدين ٢٠١٣  
 فلسطين  
 الأستاذ نخلة زريق ١٩٢١  
 الشيخ خليل الخالدي ١٩٤١

الوفاة

- الأستاذ جميل صدقي الزهاوي ١٩٣٦  
 الأستاذ معروف الرصافي ١٩٤٥  
 الأستاذ طه الراوي ١٩٤٦  
 الأب انستاس ماري الكرملى ١٩٤٧  
 الدكتور داود الجلبي الموصلي ١٩٦٠  
 الأستاذ طه الهاشمي ١٩٦١  
 الأستاذ محمد رضا الشبيبي ١٩٦٥  
 الأستاذ ساطع الحصري ١٩٦٩  
 الأستاذ منير القاضي ١٩٦٩  
 الدكتور مصطفى جواد ١٩٦٩  
 الأستاذ عباس العزاوي ١٩٧١  
 الأستاذ كاظم الدجيلي ١٩٧٢  
 الأستاذ كمال إبراهيم ١٩٧٣  
 الدكتور ناجي معروف ١٩٧٧  
 البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث ١٩٨٠  
 الدكتور عبد الرزاق محيي الدين ١٩٨٣  
 الدكتور إبراهيم شوكة ١٩٨٣  
 الدكتور فاضل الطائي ١٩٨٣  
 الدكتور سليم النعيمي ١٩٨٤  
 الأستاذ طه باقر ١٩٨٤  
 الدكتور صالح مهدي حتوش ١٩٨٤

الوفاة

- ١٩٤٠ الأستاذ أمين الريحاني  
 ١٩٤١ الأستاذ جرجي يني  
 ١٩٤٥ الشيخ مصطفى الغلاييني  
 ١٩٤٦ الأستاذ عمر الفاخوري  
 ١٩٤٨ الأستاذ بولس الخولي  
 ١٩٥١ الشيخ إبراهيم المنذر  
 ١٩٥٣ الشيخ أحمد رضا «العالمي»  
 ١٩٥٦ الأستاذ فيليب طرزي  
 ١٩٥٧ الشيخ فؤاد الخطيب  
 ١٩٥٨ الدكتور نقولا فياض  
 ١٩٦٠ الأستاذ سليمان ظاهر  
 ١٩٦٢ الأستاذ مارون عبود  
 ١٩٦٨ الأستاذ بشارة الخوري  
 «الأخطل الصغير»  
 ١٩٧٦ الأستاذ أمين نخلة  
 ١٩٧٧ الأستاذ أنيس مقدسي  
 ١٩٧٨ الأستاذ محمد جميل بيهم  
 ١٩٨٦ الدكتور صبحي المحمصاني  
 ١٩٨٧ الدكتور عمر فروخ  
 ١٩٩٦ الأستاذ عبد الله العلايلي  
 ٢٠٠٦ الدكتور نقولا زيادة

الوفاة

- ١٩٤٧ الأستاذ عبد الله مخلص  
 ١٩٤٨ الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي  
 ١٩٥٣ الأستاذ خليل السكاكيني  
 ١٩٥٧ الأستاذ عادل زعيتر  
 ١٩٦٣ الأب أوغسطين مرمرجي اللومنيكي  
 ١٩٧١ الأستاذ قدري حافظ طوقان  
 ١٩٩٦ الأستاذ أكرم زعيتر  
 ٢٠٠٣ الدكتور إحسان عباس  
 ٢٠٠٣ الأستاذ أحمد صدقي الدجاني  
 ٢٠٠٣ الدكتور إدوارد سعيد  
 ٢٠١٥ الدكتور أحمد شفيق الخطيب

الكويت

- ٢٠١٣ الدكتور خالد عبد الكريم جمعة

الجمهورية اللبنانية

- ١٩٢٥ الأستاذ حسن بيهم  
 ١٩٢٧ الأب لويس شيخو  
 ١٩٢٧ الأستاذ عباس الأزهرى  
 ١٩٢٩ الأستاذ عبد الباسط فتح الله  
 ١٩٣٠ الشيخ عبد الله البستاني  
 ١٩٣٠ الأستاذ جبر ضومط

الوفاة	الوفاة
١٩٤٤ الأمير عمر طوسون	٢٠٠٩ الدكتور محمد يوسف نجم
١٩٤٦ الدكتور أحمد عيسى	الجمهورية العربية الليبية
١٩٤٧ الشيخ مصطفى عبد الرازق	الشعبية الاشتراكية
١٩٤٨ الأستاذ أنطون الجميل	١٩٨٥ الأستاذ علي الفقيه حسن
١٩٤٩ الأستاذ خليل مطران	٢٠١١ الدكتور علي فهمي خشيم
١٩٤٩ الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	جمهورية مصر العربية
١٩٥٣ الأستاذ محمد لطفي جمعة	١٩٢٤ الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي
١٩٥٤ الدكتور أحمد أمين	١٩٢٥ الأستاذ رفيع العظم
١٩٥٦ الأستاذ عبد الحميد العبادي	١٩٢٧ الأستاذ يعقوب صروف
١٩٥٨ الشيخ محمد الخضر حسين	١٩٣٠ الأستاذ أحمد تيمور
١٩٥٩ الدكتور عبد الوهاب عزام	١٩٣٢ الأستاذ أحمد كمال
١٩٥٩ الدكتور منصور فهمي	١٩٣٢ الأستاذ حافظ إبراهيم
١٩٦٣ الأستاذ أحمد لطفي السيد	١٩٣٢ الأستاذ أحمد شوقي
١٩٦٤ الأستاذ عباس محمود العقاد	١٩٣٣ الأستاذ داود بركات
١٩٦٤ الأستاذ خليل ثابت	١٩٣٤ الأستاذ أحمد زكي باشا
١٩٦٦ الأمير يوسف كمال	١٩٣٥ الأستاذ محمد رشيد رضا
١٩٦٨ الأستاذ أحمد حسن الزيات	١٩٣٥ الأستاذ أسعد خليل داغر
١٩٧٣ الدكتور طه حسين	١٩٣٧ الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
١٩٧٥ الدكتور أحمد زكي	١٩٣٨ الأستاذ أحمد الإسكندري
١٩٨٤ الأستاذ حسن كامل الصيرفي	١٩٤٣ الدكتور أمين المعلوف
١٩٨٥ الأستاذ محمد عبد الغني حسن	١٩٤٣ الشيخ عبد العزيز البشري

<u>الوفاة</u>	<u>الوفاة</u>
١٩٦٢ الأستاذ عبد الحي الكتاني	١٩٩٧ الأستاذ محمود محمد شاكر
١٩٧٣ الأستاذ علال الفاسي	٢٠٠٢ الأستاذ إبراهيم التريزي
١٩٨٩ الأستاذ عبد الله كُنُون	٢٠٠٣ الدكتور عبد القادر القط
١٩٩١ الأستاذ محمد الفاسي	٢٠٠٣ الدكتور أحمد مختار عمر
١٩٩٤ الأستاذ محمد المكي الناصري	٢٠٠٦ الدكتور شوقي ضيف
٢٠٠١ الأستاذ عبد الرحمن الفاسي	٢٠٠٧ الدكتور عز الدين إسماعيل
٢٠٠٨ الأستاذ عبد الوهاب بن منصور	٢٠٠٩ الدكتور أمين علي السيد
٢٠٠٨ الأستاذ الأخضر الغزال	٢٠١١ الدكتور محمود حافظ
٢٠١٥ الدكتور عبد الهادي التازي	٢٠١٥ الدكتور كمال بشر
الجمهورية العربية اليمنية	٢٠١٥ الدكتور محمود فوزي المناوي
٢٠٠٨ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع	٢٠١٦ الأستاذ فاروق شوشة
	المملكة المغربية
	١٩٥٦ الأستاذ محمد الحجوي



## د - الأعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الأخرى

الوفاة

١٩٧١ الدكتور ريتير «هلموت»

إيران

١٩٤٧ الشيخ أبو عبد الله الزنجاني

١٩٥٥ الأستاذ عباس إقبال

١٩٨١ الدكتور علي أصغر حكمة

١٩٩٥ الدكتور محمد جواد مشكور

٢٠٠٧ الدكتور هادي معرفت

إيطالية

١٩٢٥ الأستاذ غريفييني «اوجينيو»

١٩٢٦ الأستاذ كاتاني «ليون»

١٩٣٥ الأستاذ غويدي «اغنازيو»

١٩٣٨ الأستاذ نلينو «كارلو»

١٩٩٦ الأستاذ غبرييلي «فرنسيسكو»

باكستان

١٩٧٧ الأستاذ محمد يوسف البنوري

١٩٧٨ الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي

١٩٩٦ الأستاذ محمد صغير حسن المعصومي

الوفاة

الاتحاد السوفيتي «سابقاً»

١٩٥١ الأستاذ كراتشكوفسكي «اغناطيوس»

١٩٥٧ الأستاذ برتل «ايفكني ادواردوفيتش»

٢٠٠٦ الدكتور غريغوري شرباتوف

إسبانية

١٩٤٤ الأستاذ آسين بلاسيوس «ميكيل»

١٩٩٥ الأستاذ اميليو غارسيا غومز

ألمانية

١٩٢٨ الأستاذ هارتمان «مارتين»

١٩٣٠ الأستاذ ساخاو «إدوارد»

١٩٣١ الأستاذ هوروفيتز «يوسف»

١٩٣٦ الأستاذ هوميل «فريتز»

١٩٤٢ الأستاذ ميتفوخ «أوجين»

١٩٤٨ الأستاذ هرزفلد «أرنست»

١٩٤٩ الأستاذ فيشر «أوغست»

١٩٥٦ الأستاذ بروكلمان «كارل»

١٩٦٥ الأستاذ هارتمان «ريتشارد»

الوفاة

١٩٣٢ الأستاذ زكي مغامر

تشكوسلوفاكية

١٩٤٤ الأستاذ موزل «ألوا»

الدانمرك

١٩٣٢ الأستاذ بوهل «فرانز»

١٩٣٨ الأستاذ استروب «يحيى»

١٩٧٤ الأستاذ بدرسن «جون»

السويد

١٩٥٣ الأستاذ سيترستين «ك.ف.»

١٩٨٦ الأستاذ ديدرينغ سفن

سويسرة

١٩٢٧ الأستاذ مونتة «إدوارد»

١٩٤٩ الأستاذ هيس

فرنسة

١٩٢٤ الأستاذ باسيه «رينه»

١٩٢٦ الأستاذ مالانجو

١٩٢٧ الأستاذ هوار «كليمان»

١٩٢٨ الأستاذ غي «أرثور»

الوفاة

٢٠١٠ الأستاذ محمود أحمد غازي الفاروقي

البرازيل

١٩٥٤ الدكتور سعيد أبو جمرة

١٩٨٤ الأستاذ رشيد سليم الخوري

«الشاعر القروي»

البرتغال

١٩٤٢ الأستاذ لويس «دافيد»

بريطانية

١٩٢٦ الأستاذ إدوارد «براون»

١٩٣٣ الأستاذ بفن «أنطوني»

١٩٤٠ الأستاذ مرغليوث «د.س.»

١٩٥٣ الأستاذ كرينكو «فريتز»

١٩٦٥ الأستاذ غليوم «ألفريد»

١٩٦٩ الأستاذ ابري «أ.ج.»

١٩٧١ الأستاذ جيب «هاملتون أ.ر.»

بولونية

١٩٤٨ الأستاذ «كوفالسكي»

تركية

.... الأستاذ أحمد اتش

الوفاة

- ١٩٢٩ الأستاذ جبر «رودلف»  
 ١٩٦١ الدكتور موجيك «هانز»  
 الهند  
 ١٩٢٧ الحكيم محمد أجمل خان  
 ١٩٨١ الأستاذ آصف علي أصغر فيضي  
 ١٩٩٩ أ. أبو الحسن علي الحسيني الندوي  
 ٢٠٠٥ الدكتور عبد الحلیم الندوي  
 ٢٠١٠ الدكتور مختار الدين أحمد  
 هولاندة  
 ١٩٣٦ الأستاذ هورغرونج «سنوك»  
 ١٩٤٣ الأستاذ هوتسا  
 «مارتينوس تيودوروس»  
 ١٩٤٧ الأستاذ اراندونك «ك. فان»  
 ١٩٧٠ الأستاذ شخت «يوسف»  
 الولايات المتحدة الأمريكية  
 ١٩٤٣ الدكتور مكدونالد «ب»  
 ١٩٤٨ الأستاذ هرزفلد «ارنست»  
 ١٩٥٦ الأستاذ سارطون «جورج»  
 ١٩٧١ الدكتور ضودج «بيارد»

الوفاة

- ١٩٢٩ الأستاذ ميشو «بلير»  
 ١٩٤٢ الأستاذ بوبا «لوسيان»  
 ١٩٥٣ الأستاذ فران «جبريل»  
 ١٩٥٦ الأستاذ مارسيه «وليم»  
 ١٩٥٨ الأستاذ دوسو «رينه»  
 ١٩٦٢ الأستاذ ماسينيون «لويس»  
 ١٩٧٠ الأستاذ ماسيه «هنري»  
 ١٩٧٣ الدكتور بلاشير «ريجيس»  
 الأستاذ كولان «جورج»  
 ١٩٨٣ الأستاذ لاوست «هنري»  
 ١٩٩٧ الأستاذ نيكيتا إيليسف  
 فنلندة  
 ... الأستاذ كرسيكو «يوحنا اهتنن»  
 المجر  
 ١٩٢١ الأستاذ غولدزيمير «أغناطيوس»  
 ... الأستاذ ماهلر «إدوارد»  
 ١٩٧٩ الأستاذ عبد الكريم جرمانوس  
 النرويج  
 ... الأستاذ موبرج  
 النمسا  
 ... الدكتور اشتولز «كارل»